هرمس الحكيم

بين الألوهية والنبوة

الطبعة الرابعة

1431 هـ - 2010 م

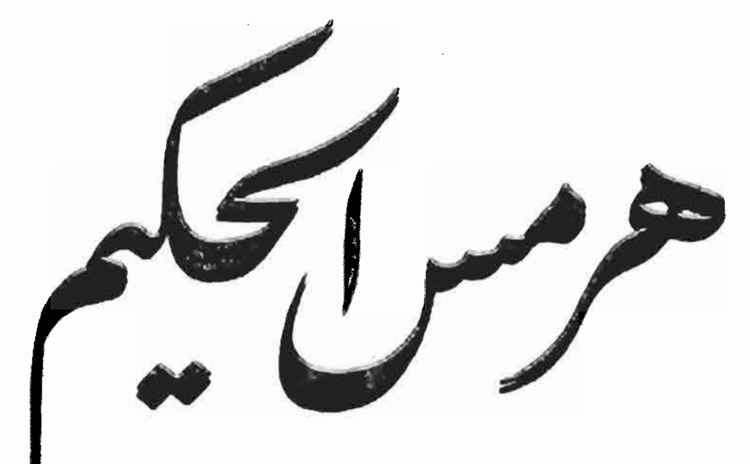
ISBN 978-993-34-0812-1



للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق - سوريا - ص.ب: 13414
هاتف: 30 24 224 11 963+
فاكس: 36 10 245 11 963+

www.kotaiba.com
E-mail : dar@kotaiba.com
كتبنا متوفرة على موقع: www.neelwafurat.com



بين الألوهية والنبوة



هرمس ما نسب إليه وما كتب عنه

إعداد
أحمد غسان سبانو




بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

مع أن الكثيرين يجهلون اسم هرمس إلا أن هـذه الشـخصية عاشـت في عالمنـا منـذ بضـع آلاف من السنين، وستبقى تعيش فيناوفي تراثنـا وفي كياننـا إلـى الأبـد نحـن أبنـاء آدم في شـرق الأرض وغربهـا وشـمالها وجنوبهـا بمختلـف أجناسـنا وألواننـا ولغاتنـا وثقافاتنـا، وبمختلــف أدياننا ومذاهبنا. لذلك كان من البديهي أن يكون لهرمس الكثـير مـن الأسـماء والشـخصيات تبعاً لتباين الحضارات والشعوب، فكان هرمـس وهرمـز وأخنـوخ وخنـوخ وإدريـس وسـواه. كذلك اتخذ هرمس شخصية إله ونبي وطبيب وفيلسوف وعالم.

ونظراً لعالمية هرمس فقد تنازعتـه الأمـم والثقافـات، وكـل ينسـبه إليـه، وتنـازعت كتبـه أيضاً الأمم واللغات وكل إليها تنسبه.

فمن هو هرمس هذا؟ كيف بدأ وإلى أين انتهى؟ ومن البداية وحتى النهاية كيف تطور؟

هل هرمس شخص عادي أو إله أو نبي؟

هل يتمتع بشعبية محلية أوقومية أو عالمية؟

إلى أي أمة ينتسب؟

ما الذي قدمه ليستحق التخليد الذي حصل عليه؟

هذه الأسئلة هي غيض من فيض. إذ ترسم الكثـير الكثـير مـن التسـاؤلات أمامنـا؟ فهـل هناك جواب علمي؟ أو أن التخبط الذي وقع فيه أهل العلم منذ القديم مازال قائماً؟

ولكن يبدو، على كل حال، أن هرمـس يتمتـع بشـخصية ذات سـحر وتـأثير كبـير دخـل حياة النـاس في مختلـف الأوطـان والأقطـار. فهـو في كـل مكـان وفي كـل زمـان يتمتـع بنفـس الشعبية وقوة التأثير.

فهرمس اسم أطلق في وقت محدد (في الثقافة اليونانيـة) علـى شـخصية يبـدو أنهـا تسـبق الثقافة اليونانية بأجيال، وهو نفس الشخصية التي سمتها الفرس (ابنجهـد)، وسـماها اليهـود

أنوش أو أنوخ و أخنوخ، وسمتها الصابئة بوذاسيف، وسماها المسلمون إدريس النبي ﷺ. إضافة لأسماء أخرى.

ولمنع التخبط الذي قد وقع فيه الباحثون عن شخصية هرمس وأصله أرى من الواجب علينا تلمس شخصية هرمس، وبعد ذلك تدقيق الأسماء التي أطلقت على نفس الشخصية في مختلف العصور والمناطق. وتبين فيما بعد مدى الارتباط فيما بينها وحقيقة هذا الارتباط.

أجمعت الآراء والأبحاث التي جاءت عن هرمس في مختلف الأزمان والحضارات (الشعوب) على إعطاء هذه الشخصية الصفات التالية:

1 ـ هرمس شخصية فريدة مميزة.

2 ـ ذات ثقافة واسعة وعلم مميز في زمن ساده الجهل.

3 ـ لهذه الشخصية صفة تتعلق بالله، فهي عند البعض صفة إله، وعند الآخرين نبي مرسل، إلا أنه في كل الحالات احتفظ بتقديس ما.

4 ـ تحدد فترة هرمس بزمن سابق على الطوفان (طوفان نوح)، أو بعبارة علمية، عند فجر عصر الكتابة أو بزمن يسبقه، أي حوالي الألف الرابعة أو الثالثة قبل الميلاد.

5 ـ كان هرمس حكيماً متعبداً طاهراً هادياً (أو داعياً لدين ما) وقد كوفئ من عند الله (بعضهم يقول بأنه خالد في الجنة أو أنه رفع مكاناً علياً. . .). هذه هي الملامح المميزة لشخصية هرمس.

والملاحظة الأولى الناتجة عن تطبيق ملامح هذه الشخصية على الأسماء المختلفة باختلاف الثقافات والديانات التي أطلقت على شخصية هرمس أو ما يشابهها، لابد أنه كان في فترة ما (شخصاً أو على الأقل، عدة أشخاص) يتمتعون بهذه الصفات وهذه الشخصية، وأن التواتر للأخبار التي وصلتنا عن الشخصية بقوته وديمومته وانتشاره يدل دلالة قاطعة على وجود أساس ما لهذه الشخصية!.

حياة هرمس:

إن ولادة هرمس تعود لفترة الألف الثالثة أو الرابعة قبل الميلاد وذلك بسبب مايلي:

حددت الروايات الدينية أنه إمّا قبل الطوفان أو بعده، والطوفان يقدر حوالي الألف الرابعة أو الثالثة قبل الميلاد، وهذا موافق لبعض الحسابات التي أوردتها الروايات اليهودية

والمسيحية فهو عندهم نبي ولكنه غير يهودي، ولم يعدّه اليهود من أنبيائهم. كذلك الإسلام عدَّ إدريس سابقاً لإبراهيم (الألف الثانية)، والروايات التي تعُدُّه بابلياً تقرنه مع بناء بابل بعد الطوفان، أما الروايات التي تعُدُّه مصرياً فهي تقول أيضاً بأنه وجد بعد الطوفان، وأنه بنى الأهرام، أي من زمان الفراعنة (عصر بناة الأهرام) وهذا يطابق افتراضنا. أما الفرس فهم أيضاً يعُدّونه أول المتنبئين وهو بوذاسيف الذي ظهر بعد مضي سنة من ملك طهمورث، وأنه أول من أتى بالكتابة الفارسية، وهو ما يؤكد نفس الفترة. كذلك ادعت الفرس أنه هو (أنجهْد) وأن جده جيومرت أي آدم.

كذلك يمكننا التأكد من هذا الافتراض لما نسب إلى هرمس من تأسيس: فهو أول من حفظ العلوم بالكتابة، وذلك كما جاء لدى المصريين والبابليين والفرس، والكتابة ظهرت في الفترة التي قدرناها.

وهو أول من تكلم في الأمور السماوية أي علم الفلك والنجوم والتقويم، فلهرمس ارتباط كبير بما يسمى (الأسطورة الشمسية) فهو السابع بعد آدم عند العبرانيين، ورقم سبعة يعني الأسبوع، وهو قد عاش (365 سنة) وهذا الرقم هو عدد أيام السنة وهو خالد دائماً رمز الشمس التي تتجدد كل يوم، وقد قبضت روحه عند مطلع الشمس (كما جاء في بعض الروايات) وهو ذو ارتباط مع أخناتون (مؤسس ديانة عبادة الشمس أول الموحدين).

وهذا مايؤكد الزمن المفترض؛ لأن اكتشاف التقويم وعلم الفلك يعود لتلك الفترة.

كذلك هو أول طبيب، وتاريخ الطب سواء في مصرَ أو بابل يعود للألف الرابعة والثالثة قبل الميلاد.

وهو أول من خاط الثياب، وثابت علمياً وأثرياً أن أول طريقة كانت في استخدام ما يستر الإنسان كان لف القماش لفاً، وأن أوائل الخياطة قد وجدت في مصر وبابل في فجر حضارتها بنفس المدة المقترحة. أما عند اليونان أو الرومان فهو قديم جداً أيضاً، فقد أورد ذكره هوميروس من العصور المتقدمة في اليونان، واعتباره إلهاً هناك يعني خلوده من الأزل إلى الأبد. ومن دراسته في تراثنا العربي وتراثنا القديم يمكن إثبات انتقال فكرته إلى اليونان والرومان عبر سوريا وعبر المنطقة العربية.

أما اسمه فهو عند الفرس (أبجهد) أو (بوذاسيف)، وعند العرب هرمس أو هرمز أو

إدريس، وعند اليهود والمسيحيين أخنوخ أو خنوخ أو أهنخ أو أنوش وأنوك وأشنخ، وهو أيضاً (الباز). وعند الرومان (مركوري) وأرميس، وقد قابله (نولدكه) بأندرياس (طاهي الإسكندر) وقيل هو أخناتون التي حولت إلى أخنوخ. و(أوزريس) التي حولت إلى (إدريس)، وقيل أخو إلياس أو الخضر. . . أو غيره من الأسماء كما سنرى، ويرتبط اسمه في معناه بالحجر أو الأشياء القاسية، فهرمس من (هيرما) وهي كومة الحجارة التي تعتبر فاصلاً أو علامة للحدود سواء كانت أرضاً محددة أو دولة. وفي العربية قد تكون إدريس محولة من (درس) أي القوي القاسي، وذلك في بعض الروايات كما سنرى. واستناداً لذلك وللمدة التي افترضنا وجودها، ولكونه مؤسس الديانات وأول من تعبد وبنى الهياكل، فهل لهرمس ارتباط بنصب الحجارة التي دعيت (كولومي)، والتي حيرت العلماء حتى الآن، والتي تعود بتاريخها لتاريخ يقارب نفس المدة المقترحة لهرمس تلك الحجارة التي تؤلف من حجر أفقي ضخم مقام على حجرين قائمين ضمن دائرة مشكلة من حجارة ضخمة، والتي فسرت باتصالها بالنظام الشمسي أو بالشمس، والتي اكتسبت وما تزال نوعاً من التقديس؟

مكان ولادته وأصله:

ادعت الفرس أنه ولد فيها، وادعت بابل نسبه إليها، ومصر أيضاً، واليمن التي اعتبرته من أجدادها، وابن كثير جعله يتصل بعمود النسب مع النبي ﷺ، واليونان اعتبرته من آلهتها والرومان كذلك. أما اليهود فصحيح أنهم لم يعتبروه يهودياً ومن أنبيائهم إلا أنهم أحاطوه بتقديس كبير، كذلك لدى المسيحية. إلا أن التحديد المنطقي لمكان ولادة وحياة هرمس (ونقول هرمس كشخصية ولا نقصد ماتعنيه من اتصال مع اليونانيين فقط). فإنه واضح بأن تحديد منطقة محددة يعتبر مستحيلاً، إلا أن المنطقة الكبرى هي ارتباطه بمناطق الحضارات الأولى أي بلاد فارس وتركيا والعراق وسوريا وشبه الجزيرة مع اليمن ومصر، وبتحديد أكثر فإن لهرمس ارتباط خاص وقوي مع الفلك الذي نشأ في بابل، ومع بناء بابل، وهناك، كما سنرى، ارتباط كبير بين هرمس وبناء مدينة (الرها)، وكذلك الارتباط مع الطوفان الذي وقع في نفس المنطقة على الغالب.

وإن ادعاء ارتباطه باليمن لايشكل عائقاً؛ لأن أهل بابل، على الغالب، هم عرب بالأساس يمثلون هجرة من هجرات العرب القدماء من اليمن إلى العراق أو سورية أو مصر.

وإن ارتباط هرمس بمصر لايشكل عائقاً؛ لأن أكثر الأنبياء قد وجدوا هناك. وهناك رحلات وهجرات ثابتة قد تمت من العراق إلى مصر، فهذا إبراهيم الخليل عليه السلام قد سافر من بابل إلى مصر وموسى عليه السلام قد دخل مصر من المناطق السورية (بمعناها الواسع).

ويؤكد هذا الاتصال بمنطقة مابين النهرين ومن ثمة مصر قضية اعتباره مبدع الكتابة والخياطة وعلم الفلك والطب والفلسفة وغير ذلك. إذا يمكننا الافتراض أن منطقة مولده قد تكون منطقة الرافدين (وليس مابين النهرين) ومن ثم انتقل لمصر.

وثبت إطلاق اسم هرمس لأكثر من شخص، فقد قيل هناك ثلاثة هرامسة. وجاءت التوراة لتخبرنا عن شخصين باسم خنوخ أو أخنوخ.

أما ماقيل عن أن أصله من أركاديا من جبل (سيلون) فإن هذا يعني انتشار ونشأة الاعتقاد به حسب الاعتقادات اليونانية وهو لايؤثر على افتراضنا.

ويبدو أن هناك تعاليم متوازية نقلت بالتواتر عن هرمس، فقد ارتبط اسمه دائماً بمعاني دينية، فهو عند الديانات المقدسة المرسلة نبي، وهو عند الفرس قد ارتبط بتقديس ما، وهو في التاريخ القديم أيضاً ارتبط بنفس القدسية، وهو عند الصابئة أيضاً مؤسس ديانتهم كما يعتقدون. وقيل: إن معنى (دين القيمة) في القرآن الكريم إنما قصد بها دين هرمس. وهرمس إله عند اليونان والرومان، وفي التاريخ القديم عموماً، أضف إلى ذلك تمتع شخصية هرمس بنفس القدسية والاحترام لدى الطوائف المنبثقة عن الكثير من الأديان، سواء منها السماوية أو الأديان الأخرى المعروفة في منطقة الحضارات القديمة.

وفي اعتقادنا نحن المسلمين وجب علينا التقيد بنص القرآن الكريم، فإدريس نبي مرسل ورفعه الله مكاناً علياً، وقد كان صالحاً تقياً. وليس من شيء أكيد عن ارتباط إدريس، عليه السلام، بشخصية هرمس أو أخنوخ سوى ما جاء من الإسرائيليات التي دخلت إلينا في كتب السيرة والتفسير، ثم إلى التاريخ، وهذا ناتج عن تشابه في بعض نواحي الشخصية لكل من إدريس وهرمس وأخنوخ. ولكن إدريس، عليه السلام، هو النبي الوحيد الذي قال عنه الله تعالى بأنه رفعه مكاناً علياً. وعلى الرغم من ذلك فإن شخصية هرمس (التي لاتؤكد أو نشكك باتصالها مع إدريس النبي) قد أثرت في تراثنا وفي فلسفتنا العربية وفي مذاهبنا الإسلامية، وإن تأثيره هذا أيضاً قد سبق ظهور الإسلام والمسيحية واليهودية، فعبد في

رؤوس الجبال، وبنيت له الهياكل، وقد كان يعادل أيضاً الإله العربي القديم (حدد).

عاش أخنوخ أو هرمس أو إدريس اثنين وثمانين سنة حسب الكثير من الروايات، أما الروايات العبرية فقد قالت بأنه عاش ثلاثمائة وخمسةً وستين عاماً.

أما وفاته فقد أحيطت بهالة من الغموض. فعند الأمم التي اعتبرته إلهاً لا مجال للبحث في وفاته، لأن صفة الألوهية تجعله خالداً، أما في الديانة اليهودية والمسيحية فقد عاش خنوخ مع الإله وسار معه، وقد خلد في الجنة جسداً وروحاً، على اختلاف في الروايات بين ذوقه الموت أو عدمه.

أما في الإسلام، فإذا تجاهلنا الروايات الإسرائيلية عنه، فإن القرآن الكريم لايذكر عن وفاته أو مدة حياته شيئاً. ولكن عبارة «كان صدِّيقاً نبياً ورفعناه مكاناً علياً» فـ (كان) تعني الماضي. و(رفعناه مكاناً علياً) قد تعني المنزلة والمكانة وقد تعني سواها.

هرمس عند العرب:

كما وقع الاختلاف بين الأمم على نسبة هرمس وعلى دينه، فقد وقعت نفس الاختلافات عند العرب، فاليمن تعتبره يمنياً والعراق بابلياً ومصر مصرياً، وله في جبل لبنان ضيعة باسمه، فقد أورد ابن عساكر في تاريخ دمشق عند ترجمته للقاسم بن شهر أبي سفيان الدمشقي الذي كان بعث في عام 197 هـ فقال: «وحكى عنه أنه كان بساحل دمشق مرابطاً، إلى أن وقعت فتنة هناك وكثر البلاء فتنحى عن موضعه، وخرج إلى ذروة جبل لبنان مما يقابل الساحل في موضع يقال له «هرميسيا»».

ويؤكد ذلك ماجاء في كتاب تاريخ لبنان تأليف، العلامة الأب مرتين اليسوعي ترجمة رشيد الخوري الشرتوني ص593 طبعة بيروت 1889 قال:

«إن التثليث الجبلي (الذي كان لأهل مدينة جبل أو جبيل) له الأهمة الكبرى في ديانة لبنان... وعندهم أيضاً تثليث ثالث مؤلف من أوران (السماء) وملك وثوت (هرمس أو هرمس وهو عطارد).

ويذكر الهروي في كتاب (الإشارات إلى معرفة الزيارات) أن في الكوفة مقاماً لإدريس عليه السلام ص78، بينما يذكر في ص16 عن ذكر زيارات بلد حوران بأن «قرن الحارة قرية مولد إدريس عليه السلام».

ومن دراسة هرمس في الأدب العربي، كما سنرى، نجد أن أقدم إشارة لإدريس قد جاءت منذ عصر النبوة، استناداً لما جاء في القرآن الكريم عنه، وفي الأحاديث النبوية (دون مناقشتها الآن) وعلى الأخص الأحاديث المتعلقة بالإسراء والمعراج، وأقدم ماقيل عنه جاء منسوباً إلى حسان بن ثابت شاعر النبي ﷺ، كما أورده صاحب الإكليل المتوفى عام 350هـ. أما ماورد مباشرة فقد جاء عن طريق الإسرائيليات، كما أوردت معتقدات اليهود في شرح وتفسير القرآن الكريم، وخصوصاً، كما سنرى، عن طريق كعب الأحبار ووهب بن منبه، يساندهم ابن عباس وغيره، وهؤلاء هم أول من قال بأن إدريس هو أخنوخ الوارد ذكره في التوراة. وكان الطبري أول من توسع في إيراد أخبار أخنوخ نسبة إلى إدريس. وأن صاحب الفهرست (النديم) قد أخذ عن الفرس ما يعتقدونه بأنه إدريس. واعتباراً من القرن الرابع وبتأثير حركة الترجمة التي نشطت في ذاك العهد، أخذت الأفكار اليونانية عن هرمس تدخل في تراثنا العربي، ولعل أوسع ماذكر عن هرمس ماجاء في كتاب (تاريخ الحكماء) للقفطي ناقلاً نصوصاً عنه ورسائل أو كتباً صغيرة. بل نرى أن ابن العبري يقول بأن القدماء قد نقلوا عن هرمس، وأنَّ نسخة بالسريانية موجودة لدى السريان (وهو أحدهم) في زمانه. كذلك هو أول من أشار إلى تمثال هرمس (يوناني) تتلمس به بعض معلوماتنا عن هرمس (لدى اليونانيين).

كتبه:

نسب إلى هرمس الكثير من الكتب التي جاءت مفصلة لدى بعض مصادرنا العربية كما يرد معنا. كذلك أوردت بعض الموسوعات، كما سنرى، بعضاً من كتبه. وقد أوردت في النصوص ثلاثة نماذج مما نسب إلى هرمس وإن اختلفت كثيراً فيما بينها بكل الوجوه، ولكن مامن شيء يمكن أن يؤكد صحة نسب هذه الكتب إلى إدريس أو هرمس.

تأثيره:

كان لهرمس تأثير دياني كبير، فهو إدريس النبي عليه السلام، ولو أن ذلك قد جاء نتيجة تغلغل الإسرائيليات في تفسيرها للقرآن الكريم، وهو بالنسبة إلينا كحقيقة أكيدة «أنه كان صديقاً نبياً ورفعناه مكاناً علياً».

إلا أنه قد دخل في تراثنا، كما سنرى، بقوة وشاعت أفكاره في طوائفنا الإسلامية، وقد

نقلنا عن إخوان الصفا (إسماعيليي الصبغة)، وعن ابن فاتك الموحدي، وكذلك نسيب مكارم. (ولكمال جنبلاط بعض الأبحاث عن هرمس). ودخل في فكرة الإشراق كما سنرى في عرض الدكتور سامي النشار، وكما هو وارد في كتاب (عبقرية الحضارة العربية) الذي ترجمه عبد الكريم محفوض ص121 وما بعدها، كذلك له تأثير في فكرة التصوف، حتى نراها واضحة عند ابن العربي في الفتوحات المكية وقوت القلوب. وفي الفلسفة التي هي أساس تلك الأفكار المذكورة، يضاف إلى ذلك تأثيره (عن طريق مانسب إليه من كتب) في الفلك والتنجيم والطب والأدوية والكيمياء وغيرها، والمهم في هذا التأثير هو اتساع في المدى واستمرار في الزمن وقوة في التأثير. ضمن إطار الأفلاطونية المحدثة.

خطة الكتاب:

قدَّمت ثلاثة من الكتب أو القطع التي نسبت إلى هرمس الأول (كتاب زجر النفس) لهرمس الحكيم، وذلك كما جاء في النص العربي بتحقيق الخوري فيلمون الكاتب، والنص الثاني هو الذي أورده المبشر بن فاتك في (مختار الحكم ومختار الكلم) وكان لابد من اختيار نص (وهو غير جاد ولايتصف بالعلمية في زماننا مع أهميته في الزمان الغابر) هو كتاب (الكواكب السبعة السيارة) وهو كتاب صغير متكامل اخترته من عدة كتب ومخطوطات تكبره حجماً وتفوقه (خيالية) نسبت إلى هرمس.

ثم أخذت في ذكر هرمس في الكتب المقدسة، فقد ورد ذكره في القرآن الكريم، كما ورد ذكره في التوراة أكثر من مرة، ولأكثر من شخصية، وقد أوردت النص الأساسي الذي يهمنا في بحثنا، كذلك أخذت النص الذي ورد في العهد الجديد عنه، كما ورد في التوراة الباطنية، وهي نصوص محذوفة من التوراة كان اليهود قد كتبوها في زمان السبي في بابل، إلا أنهم أنكروا قانونيتها بعد السبي، واختلفوا بين عدم قانونيتها أو اعتبارها درجة ثانية من النصوص المقدسة، وقد انتقل الخلاف حولها أو حول بعض النصوص منها إلى الطوائف المسيحية فأنكرتها بعضها تماماً مثل البروتستانت، واعتبرتها بعضها درجة ثانية مثل الأرثوذكس، ثم اتبعتُهُ بفصل عن كتب التفسير مختاراً أربعة نصوص مختلفة في تاريخها، ثم قدمت هرمس في النصوص العربية متتبعاً التسلسل التاريخي قدر الإمكان، وقد ورد ترتيب هرمس لدى إخوان الصفا في غير مكانه اضطراراً، وقد قصدت من اتباع التسلسل الزمني إبراز تطور فكرة

هرمس أو إدريس لدى العرب كما قلنا.

ثم قدمت بعض النصوص المختارة عن هرمس في كتاباتنا المعاصرة. ومن ثـم هرمـس في التراث اليوناني، وبعدها في دوائر المعارف والموسوعات وكتب الأعـلام، وقـد قمـت بترجمـة أكثر هذه النصوص الأخيرة. راجياً أن أكون قد وفقت لإبراز شخصية وأهمية هرمس الذي، لأول مرة، يصدر عنه كتاب مستقل والله الموفق.

* * *

هرمس
بين مؤلفاته وما نسب إليه

كتاب «زجر النفس» لهرمز الحكيم
كما نشره الخوري فيلمون

تمهيد:

ليس من كتاب تضاربت فيه أقوال العلماء، وذهبت فيه كل مذهب مثل هذا الكتاب الذي لايعرف بالتحقيق واضعه ولازمان وضعه ولامكانه ولا لغته. مع أنه من الأهمية في مكان. تتلألأ من خلال سطوره أنوار حكمة الأولين، وتوفيقهم العقل على أمور الدين، وزجرهم النفس بمناهي العقل عن سفاسف الدنيا، لتسلك في جادة الحق وراء حقائق الآخرة.

وما اتصل إلينا من أهم نسخة:

نسخة (رومية) وجدت في مكتبة الفاتيكان، أحضرها السمعاني من الشرق فيما أحضره، يُنسب فيها الكتاب لهرمس الحكيم الفاضل.

ونسخة (لبسيك) من مدن ألمانيا، وهي أقدم نسخة كتبت بالخط الكوفي ونقلت إلى الألمانية.

ونسخة (أوبسال) من مدن الدانمارك، معجمة يظهر أنَّ ناسخها لم يكن يفهم ما يكتب وهي مبتورة.

ونسخة (بونة) من مدن سويسرا في مكتبة الأكاديمية، أتى بها من الشرق المعلم شلر، وهي مبتورة وفيها أيضاً نسخة أخرى تامة مكتوبة بالسريانية لا يعرف زمان نسخها.

ونسخة (باريس) في المكتبة العمومية ترتقي إلى الجيل الخامس عشر كتبها المعلم ذوثمبرغ[1].

ونسخة (ليون) نسخت في القسطنطينية سنة 1654 ينسب فيها الكتاب لأفلاطون.

ونسخة (المطران يوسف داود) المثلث الرحمات، نسخها إذ كان قساً وقدمها لمكتبة بربغندا، مع ما قدمه ينسب فيها الكتاب لأرسطاطاليس نسخها الأب قسطنطين الباشا.

---

(1) هو مستشرق أفرنسي وضع برنامج مكتبة باريس.

وقابلها على نسخة وجدت في صيدنايا وعلى أخرى وجدت مع أحد الرهبان المخلصين.

ونسخة (بغداد) وجدتها في مكتبة دير المخلص منذ تسع سنوات.

ونسخة (صور) وجدتها فيها منذ سبع سنوات بين كتب أحد المتطببين، وهي أضبط وأسد من أختها البغدادية.

وقد عني المستشرق أوتوبَرْدَنهوير بطبعه في مدينة (بونه) سنة 1873 مع ترجمته اللاتينية بعد أن قابله على سبع النسخ الأولى، وذكر في حواشيها ما اختلفت فيه النسخ، ومع كل ذلك فيها أغلاط عديدة لأن النُّسخ كلها يكثر فيها الخطأ والتقديم والتأخير وما شابه ذلك. فإن نسخة (بونه الثانية) مثلاً تجعل الفصول الثلاثة والأربعة فصلاً واحداً، ثم تأتي بفصل في غاية الإيجاز. إضافة إلى تداخل فصوله الواحد في الآخر، وهذا ما سبب فقد عنوان الفصول.

وعدا ما تحتوي هذه النسخ من الاختلاف والتراكيب الركيكة والمعاني المشوشة والألفاظ الغريبة، وتداخل الفصول، فإنها تختلف أيضاً في عنوان الكتاب، فبعضها يسميه (كتاب زجر النفس لهرمس المثلث الحكمة) والآخر (كتاب معاذلة النفس لأرسطاطاليس) وهذا كتاب (معاتبة النفس لأفلاطون) وغير ذلك.

وادعى بعضهم أن مؤلفه مسلم، بحجة أن بعض النسخ تذكر البسملة المعروفة عند المسلمين. وقال الآخر إنه مسيحي بالحجة نفسها لابتدائه في بعض النسخ بما اعتاده المسيحيون في صدور كتبهم. وقال الآخر إنه وضع في اللغة اليونانية في مصر مستنداً على أسماء هؤلاء الفلاسفة وإن هرمس مصري. وقالت العرب إنه تأليف عربي، لأسلوبه العربي ولعدم وجود أصل يوناني له أو غيره حتى إنه لم يأت أحد من الأعاجم على ذكره. وأما كتّاب العرب فإن كثيرين ذكروه كأبي البركات في (مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة) وصاحب كشف الظنون، وغيره، ما يدل على أنه وضع قبل القرن العاشر، ولكنهم لم ينسبوه لمؤلف عربي، بل أكثرهم نسبه لهرمس المثلث الحكمة، وعللوه بأن العرب تابعوا بعض الأحيان خطة اليونان في نسبة تآليفهم الحكمية لهرمس الذي ألّهوه وجعلوه محامي العلوم والحكمة.

ومهما يكن الأمر فإن تسابق كل أمة في نسبته إليها والاستئثار به دون سواها يدل على قدر الكتاب وأهميته وشدة اعتباره عند كلٍّ منها.

وقد كانت النفس تنزع إلى استكشاف حقيقة بعض نسخه، حتى وقعت إليَّ، عفواً، في بيروت في هذه الأيام، العطلة المدرسية، فانتهزت الفرصة الوجيزة واستخلصت من جميع هذه النسخ البالغة اثنتي عشرة نسخةً أسدّ وأضبط وأشكل بأصلها. وقد علقت عليها شرحاً عند مسيس الحاجة وحواشي التقطت فرائدها من كتب القوم[1].

وكل من عنده اطلاع على هذا الكتاب ونسخه الغاصة بالأغلاط الفاحشة والاختلافات التي يضيع في مجاهلها فكر المتأمل الحائر إذْ يراها نكرة ولاتتعرّف. فلا تَنـدُّ عنه إذ ذاك يجزم بوعورة المشروع وصعوبته، ويحكم أنه لأسهل على الحائك حياكة ثوب جديد من رتق ثوب بال كثر فيه الفتق حتى لم تبق فيه لُحْمَة على سَدَى. فلاحمته قدر الإمكان وبذلت فيه جهد المستّطاع. وإنما ذكرت ماذكرت لكي لا أحرم من جانب المعذرة نصيراً، ولا أعدم من عفو الكرام ظهيراً، والحمد لله أولاً وأخيراً.

❊ ❊ ❊

(1) ككلّيّات أبي البقاء. وتعريفات الجرجاني وغيرهما.

زجر النفس
لهرمس الحكيم

وهو معاتبة النفس. وزجرها[1] عن الأمور السافلة. وحثها على مايلائمها ويشاكلها من الأمور العُلْويَّة[2] وقسرها[3] على الرجوع عما يؤذيها ويوكفها[4] وحضّها على مافيه استقامتها وصلاحها. وقد أوضح الحكيم الدلائل والبراهين على ما شرحه من ذلك. ولم يقتصر على بسيط تفسير[5] المعنى، بل قد أغرق[6] في كشفه لكل أحد. ليس بتنميق اللفظ بل بما يقوم في العقل. ويقبله كل ذي لب[7] صحيح. إذ كان ذلك مما يردع عن الانحطاط في الشغف[8] بهذه الدنيا الفاتنة والتمسك بحبال غرورها. ويرشد إلى عمل الخير والإكثار منه، مما تقرب به من خالقها، وتزلف لديه، فنشكر نعمته التي لاتزول ولا انقضاء لمدتها، شكراً مستمراً[9].

* * *

(1) الزجر، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمنع مما لايليق والدعوة إلى الحق. والنفس هي الشيء الذي يشير إليه كل واحد بقوله أنا. وهي الجوهر اللطيف الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الإرادية. وهي مجردة عن المادة قائمة بنفسها غير متحيزة مشتبكة بالبدن اشتباك الماء بالعود الأخضر ومتعلقة به للتدبير والتحريك، قال أفلاطون وقوم من الأقدمين إنها قديمة. وقال أرسطو وأتباعه إنها حادثة وهو الصواب.

(2) العلوية : أي الرفيعة الشريفة.

(3) القسر : الإكراه والقهر.

(4) يوكفها : أي يوقعها في الإثم.

(5) التفسير : الكشف والإظهار بقول ليس إيضاحه البراهين والدلائل، بتفسير بسيط، بل بتحققها والجأ في كبد الحقيقة وبإثباتها بنتائج صادقة بضروب الأمثال.

(6) أغرق أي بالغ فيه والإغراق إفراط في وصف الشيء بالممكن القريب وقوعه عادة وهو فوق المبالغة.

(7) اللب هو العقل الخالص من الشوائب، أو هو ماذكى من العقل، فكل لب عقل ولا يعكس.

(8) الشغف أقصى الحب.

(9) مستمراً أي دائماً وثابتا.

الفصل الأول

يانفس تصوري[1] وتمثلي[2] ما أنا مورده لك من المعاني العقلية الموجودة وجوداً دائماً. فما تصورته فقد عقلته واقتنيته وتيقنته، كتيقنك أن الحيَّ جنس لنوع[3] الإنسان، وأن المتنفس جنس لنوع الحي، وأن الجسم جنس لنوع المتنفس، وأن الجوهر الأقصى[4] جنس لنوع الجسم. وكتيقنك أيضاً أن المستوي غير المعوج، وإن الكل أعظم من جزئه. وأن الماء يروي من العطش، وأنه بارد رطب بالطبع، وأن النار تحترق وتضيء[5]، وأنها حارة يابسة بالطبع[6]، وكل ماقد عقلته وشاهدته وشافهته[7] في عالم[8] العقل وعالم الحسّ. وما خفي عليك يانفس مما أنا مبينة لك فاستعملي فيه التمثيل العقلي المتقن الصَحيح البريء من الاختلاط والاختلاف. فإنه سَيدلك ظاهر ماشاهدته على باطن ما غاب عنك، كما استدل الناظر إلى الصورة الممثلة في الحائط على وجود المصور لتلك

---

(1) التصور حصول صورة الشيء في العقل. وهو إدراك الماهية بدون الحكم عليها بنفي أو إثبات. وبهذا يختلف التصور عن التصديق الذي هو إدراك الماهية مع الحكم عليها.

(2) أي تصوري مثاله واستعملي التمثيل، فيكون هنا التمثّل بمعنى التمثيل، والتمثيل إثبات حكم جزئي لثبوته في جزئي آخر لمعنى مشترك بينهما، كقولك العالم مؤلف فهو حادث كالبيت الذي هو حادث لأنه مؤلف، وهذا التأليف موجود في العالم فهو أيضاً حادث.

(3) الجنس اسم دال على كثيرين. وفي عرف المناطقة كلّ مقول على كثيرين مختلفين بالحقيقة في جواب ماهو من حيث كذلك. والنوع اسم دال على كثيرين متفقين بالحقائق بالأشخاص في جواب ماهو. فالنوع هو نفس ماتحته من الجزئيات الذاتية له (أي داخلٌ فيها)، كالإنسان، فإنه نفسه، ماهية زيد وعمرو وبكر وغيره من جزئيات، وهي لاتزيد على الإنسان.

(4) الأقصى أي الأعلى الذي ماليس فوقه جوهر.

(5) وفي بعض النسخ وتنضج.

(6) فكأنه يقول إن ماأورده لك أيتها النفس في هذا الكتاب من المعاني العقلية الموجودة وجوداً دائماً إذا حصلت في عقلك، وهذا هو فعل العقل الأول، أي التصور، واستعملت في التمثيل الصادق (أي الفعل الثاني وهو التصديق)، فحينئذ تدركين ماهيتها، وتحكمين بضرورتها لك، وتجزمين بإفادتها تهذيبك (وهو الانتقال الفكري)، فتحرصين عَليها، وتقتنينها كما تقتنين ماتيقنت صدَقه من البديهيات (الأوليات) التي ذكرتها لك مما تحققته في عالم العقل وعالم الحس؛ أي من المعقولات والمحسوسات.

(7) شافهته أي دانيتَه واقتربت منه.

(8) العالَم عبارة عما يعلم به الشيء أي يقع به ويحصل كالخاتَم اسم لما يختم به، والقالب لما يقلب به، واصطلاحاً عبارة عن كل ماسوى الباري تعالى من الموجودات، لأنه يعلم به الله تعالى من حيث أسماؤه وصفاته، فالعالَم هو الخلق كله. وكل صنف من أصنافه (أي أصناف الخلق) هو عالَم.

الصورة. وكما استدل بما عاين من حركات يد وسرائر[1] تخطيطها وتشكيلها[2] على لطائف ماكان قائماً في فكره ونفسه[3]. وفي الجملة يانفس فإنه يستعمل التمثيل في كل الأشياء بالآثار الموجودة عند غيبة المؤثرين لها. ويستعمل التمثيل في الاعتبار والتعجيب مما قد ورد، ومما هو وارد، لامحالة، بضروب الأمثال على غائب الأشياء وشاهدها. فاستعملي يانفس التصور والتمثيل في كل الأشياء الموجودة عقلاً وحساً، واعلمي أن الشيء الذاتي بالحقيقة الأصلي النوري التام. وهو المفيد الحكمة اللطيفة والتميزات الشريفة والحياة الدائمة وسائر الأشياء التي هي جزئيات له لا أجزاء وهو كليٌّ لها لا كل[4]. فاعتبري ذلك يانفس وتيقظي واحذري الغفلة والتواني واستعملي التهذيب والحذر من أوساخ الطبيعة. واستعيني على ذلك بالخضوع والرغبة إلى ينبوع الخير ومظهره، وأصل العقل ومبدعه، ومفيد الحياة والحكمة، والجود التام والرحمة، تحيي بذلك يانفس وتسعدي يانفس. إنَّ مبدع الأشياء ومبدئها[5] ومنشئها، جل جلاله وتقدست[6] أسماؤه، أبدعك وجعلك ذات تصور وتمثل[7]. فأما التصور فتصورك الشيء على حقيقة ما أبدعه مبدَعه. وأماَ التمثل فتمثلك ما خفي عنك معناه من عالَم العقل بما شاهدته في عالم الحس مثلاً بمثل[8]، ومعنى بمعنى[9]، كمَا تدل الصورة

(1) سرائر جمع سريرة وهي السر الذي يكتم.
(2) أي تصويرها.
(3) وكذلك أنت يانفس استدلي بما تعاينين من حركات يد المبدع الحكيم في هذا العالم العظيم، فانظري إلى صور السماء وأشكال الحيوان وأصناف المبروءات، واستدلي أيضاً بما تعانين من حركات نفسك وأفعالها على لطائف ماهو قائم في العقل الإلهي، البديع المعاني الرفيع الصفات، ذي الحكمة السامية الأزلية والقدرة المدركة والجود غير المتناهي والحياة الدائمة.
(4) الكل اسم لجملة مركبة من أجزاء محصورة والمنسوب إلى الكل كلِّيٌّ. والمنسوب إلى الجزء جزئيّ. والجزء مايتركب الشيء منه من غيره، كما أن الحيوان جزء زيد، لأن زيداً مركب من الحيوان وغيره وهو الناطق. وعلى هذا يكون زيد كُلاً والحيوان جزءاً. فإن نسب الحيوان إلى زيد يكون الحيوان كلِّياً. وإن نسب زيد إلى الحيوان يكون زيد جزئياً.
(5) خالقها.
(6) تقديس الله تعالى إثبات مايليق بجلاله «بالمعارف والاعتقادات» كما أن التسبيح تنزيه الله تعالى ونفي مالايليق «بالطاعات والعبادات».
(7) أي وهبك نفساً تستحضر صور الأشياء الحاضرة وتصوّر مثال الأشياء الغائبة، وتستعمل فيها التمثيل.
(8) المثل بإسكان المثلثة بمعنى الشبه والنظير والصفة.
(9) المعنى يقال على مايقابل اللفظ، سواء كان عيناً أو عرضاً، وعلى مايقابل العين الذي يقوم بنفسه، يقال هذا معنى أي ليس بعين.

المطبوعة في الشمع على حقيقتها في الطابع على معنى حقيقتها في نفس ممثلها ومصورها. وكما يؤثر الماء في الرمل والطين معاني حركاته وتموجه. فاكتفي يانفس بحقيقة ما أوردته لك واعلمي أن كل ما أنت مشاهدة له في عالم الكون والفساد من الصور والأشكال هو تمثيلَ وتشكيل[1] معانٍ هي في عالم العقل غير زائلة ولا بائدة[2] وإنما يصور العقل ذاته بذاته في الهيولى، ثم ينظر بذاته إلى معاني ذاته وصورها فيلتذ بذلك إعجاباً منه بذاته. إذ اللذة[3] العقلية هي مما يناله العقل من ذاته لذاته، لا لشيء خارج عنه، ولا لعرض عارضٍ، بل من ذاته، وهذه هي لذة الحق الدائمة الأبدية.

يانفس تيقني[4] واقتني معرفة الأشياء بحقيقتها[5] وماهيتها ولا تحفلي بمعرفة كيفيتها وكميتها[6]، لأن المطلبين الأولين بسيطان أزليان لا وسيط بين النفس وبينهما. والمطلبين الآخرين مُرَكَّبان مكانياً وزمانياً. واعلمي يانفس أن عالم التركيب وإن كان محمولاً في ذاتك

---

(1) شكَّل الشيء تشكيلاً صوَّره.

(2) وهنا يوجد في بعض النسخ «ومافي العالم الروحاني فملاحظته بالمشاهدة العقلية فيجب على كل روحاني وجسماني عند بلوغه الكون الجزئي أن يتيقن بالعقل أنه حقيقة غير زائلة».

(3) اللذة إدراك لملائم من حيث أنه ملائم كطعم الحلاوة عند حاسة الذوق، والنور عند البصر، وحضور المرجو عند القوة الوهمية، والأمور الماضية عند القوة الحافظة، تلتذ بتذكرها، وقيَّد الحيثية «بقوله من حيث أنه ملائم» للاحتراز عن إدراك الملائم لامن حيث ملاءمته، فإنه ليس بلذة كالدواء النافع المر، فإنه من حيث أنه نافع فيكون لذة لامن حيث أنه مر.

(4) اليقين الاعتقاد الجازم الثابت «المطابق الواقع» وهو عبارة عن العلم المستقر في القلب الذي لايقبل الانهدام، من يقن الماء في الحوض إذا استقر ودام، وهو من صفة العلم فوق المعرفة والدراية وأخواتها، يقال: علم يقين، ولايقال معرفة يقين.

(5) أي بتحقيق وجودها العيني من حيث مرتبته الذاتية.

(6) الماهية نسبة إلى (ماهو) جعلت الكلمتان كلمةً واحدة، وهي مايجاب به عن السؤال بمعنى أي جنس. وحددها صاحب التعريفات بأنها مابه الشيء هو هو، وقال أبو البقاء إنّ هذا التحديد غير مرض، وأتى بثبت على قوله ولامحل لذكره هنا، فالماهية عنده تمام مايحمل على الشيء حمل مواطأة. وهيَ أعم من الحقيقة، لأن الحقيقة لاتستعمل إلا في الموجودات، والماهية تستعمل في الموجودات والمعدومات. والماهية تطلق غالباً على الأمر المنفعل كالمتعقل من الإنسان وهو الحيوان الناطق، وعلم أن الأمر المتعقل من حيث أنه مقول في جواب ماهو يسمى ماهية، ومن حيث ثبوته في الخارج يسمى حقيقة، ومن حيث امتيازه حمل اللوازم له ذاتاً، ومن حيث يستنبط من اللفظ يسمى دليلاً، ومن حيث أنه محل الحوادث يسمى جوهراً.

والكيفية اسم لما يجاب به عن السؤال بكيف «لأنها نسبة إلى كيف» والكمية اسم لما يجاب به عن كم «وهي نسبة إلى كم»، فالكيف هيئة قارة في الشيء لايقتضي قسمة ولانسبة لذاته، والكم عرض يقتضي الانقسام لذاته، وقد يراد بالكيفية معنى الصفة والهيئة والعرض، وقالوا إنها عبارة عن الهيئات والصور والأحوال.

سينفصل عنك عند مفارقتك الحس فخذي علم البسيط وذري علم المركب .

يانفس هذا جرم الأرض وهو أثقل الأشياء كلها . وذلك لرسوبه تحت سائر[1] الأشياء ، وطفو[2] الأشياء ، عليه ولذلك صار هذا الجرم في الغاية القصوى من الكثافة والكدر وعدم النور والحياة . ثم يتلو هذا الجرم من الأشياء جرم الماء وهو ألطف وأصفى وأشرف وأنور وأقرب إلى الحياة . ثم يتلو جرم الماء جرم الهواء وهو ألطف من الماء ، ثم جرم النار الذي هو ألطف العناصر الأربعة وأشرفها وأشهرها نوراً . ثم يتلو النار جرم الفلك الذي هو صفو ما تحته ، والمخصوص بالشرف على كل الأجرام للطافته وشفافيته[3] ، وشدة أنواره ، وحسن نظامه وترتيبه ، وقربه من الحياة ، ومجاورته الأشياء الشريفة العاقلة ، وأنه متشكل بسيد الأشكال وأتمها وأصحها الذي هو الشكل الكروي المستدير ، وأن كل ما يحتوي عليه متشكل بشكله الكروي على الترتيب الذي ينتهي إلى كرة الأرض . ثم التالي لجرم الفلك الذي هو أقصى الأجرام كلها ، هو جوهر النفس الروحانية .

وإنما النفس جوهر روحاني فوق الأفلاك ؛ لأنها من نفخة الخالق المعطية الأفلاك الحركة النظامية ، والأنوار الصافية الشريفة ، التي هي ألطف ما أحاطت به من أشياء واحتوت عليه . وذلك أن ماتحتوي عليه الأشياء أجسام وأجرام وهي لاجسم الْبتة ، وأن كل الأشياء مما دونها لاحياة لها إلا بها ، لأنها ذات الفكر والإرادة والتمييز . فما واصلته أظهرت فيه معاني ذاتها[4] على حقيقة قبوله فصار حياً ، ومالم تواصله لم يوجد له فكر ولا إرادة ولا حركة ولاتمييز . والذي فقد شيئاً من هذه الأشياء فهو ميت لا محالة[5] .

---

(1) سائر هي بمعنى الباقي قال أعرابي لأعرابية أرادت تعطيره «عطري بطني وسائري ذري» أراد أن تطعمه كما أراد الآخر القائل «فقلت اطبخوا لي جبة وقميصاً» .
(2) طفا الشيء فوق الماء طفواً إذا علا ولم يرسب .
(3) نسبة إلى الشفاف وهو مالايمنع الشعاع من النفوذ كالزجاج ونحوه .
(4) وفي بعض النسخ معاني ذاته .
(5) الميْت مخففة هو الذي مات ، والميِّت والمائت الذي لم يمت قال الشاعر :

ومن يك ذا روحٍ فذلك ميِّت ... وما الميْت إلا من إلى القبر يُحملُ

والشيء التالي لجوهر النفس والحاوي لـه هـو العقـل . وهـو ، بحـق ، هـو ألطـف الموجـودات وأشرفها وأعلاها منزلةً وإنه المرتب تحت الأفق الأعلى الأزلي تبارك وتعالى[1] ، والآخذ عنـه بغير وسيط والمفيد لجميع ماتحته الشرف والنـور والحيـاة . وإنـه الترجمـان الأعظـم والحـاجب الأقـرب . فتأملي يانفس على هذا الترتيب وتيقنيه واعتقديه فإنه هيئة الموجودات ونظامها وترتيبها .

(1) الأفق الأعلى قال صاحب التعريفات : هي نهاية مقام الروح وهي حضرة الإلهية .

الفصل الثاني

يانفس لاتذمي الدنيا وتقولي هي دار خديعة ومصيدة وغرورة ، فإنها ليست كذلك إلا عند ذوي العقول الناقصة ومن له الجهل والنسيان . ولو كانت دار خديعة بالحقيقة لكان الإنسان منذ مبدأ ظهوره فيها إلى وقت خروجه منها . لاينالـه منها إلا نعيم ولذات وسرور . ثم تأتيه المسألة حينئذ بغتة ، فتزيله عن ذلك النعيم ، ويستحيل به ما كان فيه إلى خلاف ذلك . وليس الأمر فيها كذلك ، بل إنما نرى الإنسان ينشأ في هذه الدنيا ويربو بأحوال مختلفة لانظام لها ، يوماً محزوناً ويوماً مسروراً يوماً متلذذاً ويوماً متوجعاً متألماً . والشيء إنْ أظهر لك جميع مافي طبعه فقد أنصفك[1] ونصح لك . وإنما المخادع من كان في طبعه الخير والشرور وأظهر لك الخير وأبطن الشر لوقت الفرصة والمكنة منك . وليس أحد نال من هذه الدنيا فرحة إلا وأعقبته غصة وألماً . فإذاً ليست هذه المخادعة من قبل الدنيا ، وإنما المخادَعَةُ من قبَل الإنسان لنفسه . وذلك أن الإنسان الناقص العقل هو المخادع نفسه والمهلك لها لا الدنيا لأنَ الدنيا أظهرت له جميع ما في طبعها من نعيم وبؤس . فاغتبط الإنسان الضعيف العقل بنعيمها واعتقده دائماً . ونسي بؤسها وأهمله ، ثم يقول خدعتني الدنيا . وأي خداع خدعته الدنيا؟ ألا إنه هو المخادع نفسه والمهلك لها لا الدنيا .

يانفس لاتكوننَّ أخلاقك[2] في هذه الدنيا كأخلاق الصبي الذي لاعقل له . إن أُطعم ورفق به ضحك ورضي ، وإن شُدِّد[3] عليه بكى وغضب . فهو ما يكون ضاحكاً حتى يكون

---

(1) من نفسه .

(2) الخُلق بضمة أو ضمتين السجية والطبع والمروءة والدين ، وبالفتح المخلوق أيضاً وخص المفتوح بالهيئات والأشكال والصور المدركة بالبصر والمضموم بالقوى والسجيات المدركة بالبصيرة فالخُلُق عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية . فإن كانت الأفعال جميلة سميت خَلقاً حسناً وإن كانت قبيحة سميت خُلُقاً سيئاً . وقلنا راسخة حذراً من النادر والعارض ، فمن تكلف بذْل المال تكلف السكوت عند الغضب بجهد وروية لايقال خلقه الحلم . ينتج منه أن الخلق ليس هو عبارة عن الفعل فربّ رجل خلُقه السخاء ولا يبذل لفقد المال أو لمانع ، ورب رجل خلقه البخل وهو يبذل لباعث أو رثاء .

(3) شدد عليه في الأمر ضيق عليه .

باكياً. وما يكون راضياً حتى يكون غاضباً. وليست هذه أخلاق العقل الوحيد الرضية. بل هي أخلاق مختلفة مشتركة مذمومة.

يانفس إنما رتبت الدنيا على هذه المعاني المختلفة التي هي خير وشر ونعيم وبؤس وشدة ورخاء تنبيهاً للنفس وإيقاظاً لها، ومثلات[1] تعمل عليها فتكتسب بذلك العقل المضيء النير، والعلم التام الذي هو الحكمة والمعرفة بحقائق الأشياء. وإنما وردت إليها النفس لتعلم وتخبر[2]، ومن ورد محلاً من المحال ليعلمه ويخبر كنهه ويعرف حاله ثم ترك العلم والبحث والاختيار وتشاغل بالنعيم والتلذذ، فقد ضيع مطلبه ونسي أربه الذي قصد له. وإنما شرحت لكِ يانفس هذا الشرح لكي لاتكوني في رتبة الذامين للدنيا عند سخطهم عليها. والمادحين لها عندَ رضاهم عنها. وليسوا هم في الحقيقة ذامين ولا مادحين بل تائهون ضالون قد أضاعوا مطلبهم ونسوا أربهم وذهب استعمالهم لها[3] باطلاً غير متحققين علماً ولا مكتسبين قنية.

يانفس إنما هذه الدنيا دار علم وبحث واختبار للمتأملين. فتأملي يانفس جميع معانيها وأشكالها المحسوسة البائدة الأعراض الزائلة الأشخاص، واعلمي أنما هي تمثيل الصور الخفية وتشكيل الحقيقة الدائمة الأبدية. وبالجملة يانفس ليس في عالم العقل نوع إلا وشكله[4] ظاهر في جَرَيان[4] الطبيعة. وكذلك كل ماهو موجود في عالم الكون إنما هو أنواع تمثيل. فلذته الكاذبة الزائلة تدل على اللذات الصادقة الدائمة، وصوره المنحلة الهالكة تدل على الباقية الثابتة. وإن اختلاف جميع مافي الحس وزواله يدل على اتفاق جميع مافي العقل وبقائه وثباته.

فما دمتِ يانفس في عالم الطبيعة فلا تطلبي مني لذة. ولاتتشاغلي بمحسوس عن العلم والتصور والتمثل والبحث والاستكشاف وجميع ما قصدت له من جميع مطالبك ومآربك لتستحقي العودة والرجوع إلى ذلك العالم[5]. فإذا تشوفت[6] يانفس إلى اللذات والسرور الدائم فانزعي عنك لباسك القذر، وتهذبي من أوزار جسدك، وانقي[7] من الأشياء المخالفة لجوهرك،

---

(1) المثلات «العبر يعتبر بها» وهي ماأصاب السلف من العذاب.
(2) وتخبر أي لتبلو وتسبر.
(3) وفي بعض النسخ «آلاتهم» مكان لها.
(4) الشكل الشبه والمثل.
(5) وقوع أمور الطبيعة وحدوثها.
(6) وفي بعض النسخ إلى اكتساب العلم.
(7) تشوف إلى الخبر تطلع إليه ونظر.

ثم صيري إلى عالم اللذات الحقيقية والسرور الدائم، والبسي حللك الذاتية، وتصوري صورك الدائمة الباقية التي أنت مشاهدة لتشكيلها وتمثيل أنواعها وأنت في عالم الكون والفساد.

فتيقني يانفس كل ماقد شرحته واعقليه، واعلمي يانفس أنَّ المهلكات ثلاثة أجناس أولها الشرك وجميع أنواعه، والظلم وجميع أنواعه، والتلذذ وجميع أنواعه. ولكل هذه الأجناس وأنواعها أصل واحد، وهوحب الدنيا، فتحرزي[1] يانفس من الدنيا، وأعرضي عنها وانظري إليها بعين الخائف الوجل منها، كالطائر الذي عرف الفخ المنصوب وفطن له فانحرف عنه وحذره.

واعلمي يانفس أن تحرزك وهربك من جنس الشرك يذهب بك إلى رتبة التوحيد، وأن تحرزك من جنس التلذذ، يذهب بك إلى الراحة من مقاساة الخوف والحزن وعناء الجهل والفقر. فثقي يانفس بحقيقة هذه المعاني وتيقني صحتها واعملي بها تحيي وتسلمي من الهلكة.

يانفس تأملي حكمة مبدع الأشياء واعتبري بها، واعلمي أن الإنسان لم يخلق لمعنى من المعاني إلا العلم والعمل بالعلم. وكذلك الثمرة الطيبة لم تخلق إلا للأكل. وكما أن عنقود العنب يبدو وهو لايصلح لشيء مما يراد به، ثم ترد إليه المادة السائرة به حد الحموضة العادية[2]فيكون حينئذ يصلح لبعضٍ مايراد به لالكلّه، ثم ترد إليه المادة السائرة به إلى حد الكمال في جميع المعانيً التي يراد لها فيكمل حينئذ. وكذلك الإنسان المحسوس يبدو إلى عالمه وهو لايصلح لمعنى من المعاني التي تراد منه، ثم تًرد إليه المادة السائرة به إلى المعنى الذي يصلح به أن يكون متعلماً لا عالماً. فإذا ارتاض على هذه الرتبة وردت إليه المادة الكبرى الكاملة المكملة، فيصبح حينئذ عالماً عاملاً فيكمل حينئذ. وكذلك الإنسان في الرحم يكون منياً ثم علقاً ثم مضغة[3]، ثم تًرد إليه القوة المصورة التًي يمكن أن تصوره بتوسط الأجرام الإلهية. فإذا صار بالقوة ذا عصب وشهوة. ووردت إليه حينئذ القوّة المتممة التي هي عقل بالفعل فسارت به إلى حدّ الكمالً. وحينئذً يكون جامعاً لجميع ًأسبابه بالفعل بعد أن كان في الابتداء لا بالفعل ولا بالقوَّة، فكان انتقل إلًى رتبة كان فيها بالقوة ثم ذهب من رتبة القوة إلى رتبة الفعل والكمال. فصار حينئذ عاقلاً وكاملاً مصوراً متصوراً ممثلاً متمثلاً.

---

(1) نقي الشيء ينقى نظف وحسن وخلص وفي بعض النسخ توقي من الوقاية.
(2) من حرز الرجل يحرز إذا كثر ورعه وتصونه وتوقى.
(3) وفي بعض النسخ العذبة عوض العادية.

يانفس أن التـأمل في هـذه المعـاني . دليـل علـى لطـف حكمـة مبـدع العـالمين جـل جلالـه وتقدست أسماؤه .

يـانفس إن المبـدع جـل اسـمه . كالنـاطق الفـائض مـاعنده مـن المعـاني والجواهـر العقليـة للمستمعين منه . وليس كل المستمعين يفهمون عن المتكلم . بل منهم من يحتاج إلـى ترجمـان يؤدي إليه ، ووسيط بين الناطق والسامع ، وذلك لضعف السامع عـن فهـم القـول . ومـن هـو كذلك فهو أعجمي لايفهم حاجته إلا بترجمان يفسر له حقيقة القول . فلا تكوني يـانفس مـن الجواهر المحتاجة إلى الوسيط . فإن الترجمان ربما خان في تعبـير الكـلام وغـيَّر القـول وحرَّفه . فاخرجي يـانفس مـن رتبـة العجمـة إلـى رتبـة الفصاحـة . واقتنـي يـانفس العلـم قبـل العمـل ، ومعرفة الثمرة قبل غرس الشجرة . لتتحققي القول قبل الفعل ، والعلم قبل العمل . فـإن لـك في ذلك راحة كبرى وفائدة عظمى .

❊ ❊ ❊

الفصل الثالث

يانفس إن الأعراض الحالَّة في الجواهر الكثيفة عادمة الاتفاق مائلة إلى الاختلاف والمضادة. فتحذري منها وانحرفي عنها. فهي المعنى الذي حُذّرته والخوف الذي خُوّفته.

يانفس أنت وحيدة وهي متكاثرة. أنت متفقة وهي مختلفة. أنت ناصحة وهي مخادعة. أنت موجودة حق موجود وهي لاحقيقة لوجودها. أنت خير دائم باق. وهي زخارف وتمويه مستحيل فان فأعرضي يانفس عنها. واحذري استعبادها إياك وقطعها[1] لك وخذلانها إياك فلا تخرجي يانفس عن ذاتك الوحيدة الحقيقة الشريفة. ولاتبغي[2] تكاثرها واختلافها ومحلها[3] وخساستها وغدرها تضلي وتهلكي.

يانفس إلى متى أنت فقيرة هاربة من ضد. فارَّة من الحَرّ إلى البرد. وتارة من البرد إلى الحر. وتارة من الجوع إلى الشبع. وتارة من الشبع إلى الجوع. وكذلك أنت في الأطعمة والروائح[4] أن أسرفت[5] عليك الحلاوة افتقرت إلى الملوحة. وإن أسرفت عليك الملوحة افتقرت إلى العذوبة. وإن أسرفت عليك العذوبة افتقرت إلى الحموضة. وكذلك أنت في جميع المشمومات. وجميع ما أنت مشاهدة له في عالم الحس. فبينما أنت فقيرة إلى المقتنيات، فإذا وصلت إليها اكتسبت الخوف عليها مادامت معك. فإذا فارقتك زال الخوف عنك وأعقبك ذلك أحزاناً وغموماً. فانزعي يانفس هذا الشيء الذي أنت مشاهدة به هذه الأشياء. والذي أنت به مشاهدة لهذه الأمراض والآلام. ولاتأسفي لمفارقة الأحزان والهموم والخوف والفقر. ولاتكرهي مواصلة الغنى والأمن والسرور. فإنه من آثر الفقر على الغنى، والخوف على الأمن والذل على العز، كان جاهلاً، ومن جهل فقد ضل، ومن ضل فقد هلك.

يانفس تيقني أنك برزت من أصلٍ أنت فرعه. وأنَ الفرع وإن جرى إلى غاية في البعد

(1) أي هجرها وعقها.

(2) لاتطلبي.

(3) الكيد والخديعة.

(4) جمع رائحة وهي النسيم المستنشق طيباً كان أو خبيثاً مما يدرك بحاسة الشم.

(5) من السرف وهو تجاوز الحد والاعتدال.

عن أصله، فإن بينه وبين أصله وصلة ورباطاً. وبهذه الصلة والرابطة يستمد كل فرع من أصله. كالشجرة المثمرة فإن الثمرة وإن بعدت عن أصلها المبدي لها، فإنه بينه وبينها اتصالاً ذاتياً به يكون استمدادها منه. ولو عدمت ذلك الاتصال بأن يقطع بينها قاطع مما هو سواها لحالَ بين الأصل والفرع وأوجب قطع المادة عن الفرع ففسد في الحال وتلف. فتصوري يانفس هذا وتيقنيه واعلمي أنك راجعة إلى مبدئك الذي هو أصلك ونبعتك. فتهذبي من أوساخ الطبيعة وأوزارها المبطئة بكِ[1] عن سرعة الرجوع إلى عالمكِ وأصلكِ.

يانفس هذا عالم الطبيعة. وهو محل الفقر والخوف والذل والحزن. وهذا عالم العقل. وهو محل الغنى والأمن والعز والسرور. وقد شاهدتهما جميعاً وساكنتهما. فتخيري على علم وخبرة. واعلمي أنك لابثة في أيهما شئت غير مدفوعة ولاممنوعة. واعلمي أنه من الممتنع أن يكون الإنسان فقيراً غنياً. خائفاً آمناً. عزيزاً ذليلاً. مسروراً حزيناً. وإن كان هذا هكذا. فلايمكن أن يجمع الإنسان حب الدنيا وحب الآخرة بل ذلك من الممتنع أشد الامتناع[2].

يانفس أن من نزع سلاحه وكتف[3] نفسه واستسلم لعدوّه وجب أسره. ومن قاتل بسلاحه وحمى نفسه ولم يستسلم لعدوه وجب قتله[4]، وأي نفس وردت إلى عالم الطبيعة. فلابدّ لها أن تسلك إحدى هاتين الحالتين. إما القتل وإمّا الأسر. فمن اختار الأسر، فقد اختار طول العذاب وهَوَانَ الاستعباد وذل العبودية. ومن اختار القتل فقد مات عزيزاً وكان موته حياةً له واستراح من الأسر وهوانهِ وطول ذله.

يانفس متى نويت ترك الأفعال الخسيسة الدنيئة فاقصدي نبعها وأصلها واجتنبيه وهو حب الدنيا. ومتى نويت الأفعال الشريفة أيضاً فاقصدي أصلها واغرسيه، وهو الزهد في الدنيا. وليكن من يفعل هذا براءً من النفاق والتمويه، والإفراط والتفريط[5].

---

(1) يقال ماأبطأ بك ومابطّأ بك أي ماأخرّك.

(2) يشبه قول الإنجيل الطاهر عن الله والمال.

(3) كتف نفسه شدّ يديه إلى خلف كتفيه موثقاً بالكتاف (وكل النسخ قد تصحفت عليها هذه اللفظة وجعلوها كفّ).

(4) يقول إن من نزع عنه أسلحته في ساحة الوغى وكتف نفسه واستسلم لعدوه ذليلاً عن طواعية نفسه فعدوه يرفق به ويبقي عليه مأسوراً لأنه طلب الأسر لا القتال. وأما من ينازل عدوه ويكافح عن نفسه ويذود عن حوضه بسلاحه فإن عدوه متى ظفر به يقتله للحال، إما لأنه سامه كفاحاً شديداً وجهاداً عظيماً وأصلاه ناراً حامية. أو لكي لايعود إلى مثل ذلك.

(5) أي الزيادة والنقصان

يانفس لايخرج بك شدة الحذر وإفراطه إلى حد الجبن فتعدمي الشجاعة وشرفها وتكتسبي الخساسة ودناءتها، واعلمي أن كل شيء مستمد من غير ذاته فهو محتاج إلى المادة[1] وكل محتاج إلى المادة فمادته متوالية له دائماً طول مدته المقسومة له[2]، فتيقني يانفس هذا فإن لك فيه راحة كبرى وفائدة عظمى.

يانفس تمسكي بالتدبير الجزئي على حسب الإمكان. فإن تدافعت بك الأمور إلى جهات التدبير الكلي فارضي بذلك واطمئني إليه يسقط عنك ثقل الاهتمام والتكلَف. كرجل تكلف مصباحاً يستضيء به طول الليل من ظلمته. فلما طلعت الشمس استغنى عن المصباح وزال عنه ثقل التكلف.

يانفس لاتقترني بدنايا الأمور وخسائسها فتلزمك العادة بذلك، وتكتسبي طبعاً مخالفاً لطبعك. وتعدمي بالانضباب إليها الرجوع إلى وطنك. واعلمي أن مبدع الأشياء جلّ وعلا هو أشرف الأشياء كلها فاقترني بشريف الأشياء. لتقتربي من باريك بطريق المجانسة. واعلمي أن شرائف الأشياء مضافة[3] إلى شرائفها وخسائس الأشياء منضافة إلى خسائسها.

يانفس تطالبين بالاستقرار وأنت في عالم الكون. وأي استقرار يوجد في عالم الكون؟ فإن الدف[4] مادام على ظهر الماء لاقرار له ولاطمأنينة البتة. وإن استقرّ وقتاً ما فإن ذلك بالعرض. ثم يعود الماء إلى اضطرابه وتموجه. وإنما يستقر الدف إذا أخرج من الماء واعيد إلى الأرض التي هي نبعته وأصله المشاكلة له بالكثافة والثقل. فحينئذ يستقر به القرار. وكذلك النفس مادامت في جريان الطبيعة. فلا قرار لها ولا راحة ولاطمأنينة. لإتعابه إياها وخذلانه وقطعة لها. فإذا عادت النفس إلى نبعها وأصلها استقرت وظفرت بالراحة واستراحت من شقاء الغربة وذلها.

---

(1) مادة الشيء هي التي يحصل الشيء معها بالقوة. ولها أسماء باعتبارات فمن جهة توارد الصور المختلفة عليها (مادة) ومن جهة استعداده للصور (هيولى) ومن جهة أن التركيب يبدأ منها (عنصر) ومن جهة أن التحليل ينتهي إليها (اسطقس).

(2) هذا الأصل في أغلب النسخ وترجم إلى اللاتيني هكذا.
(واعلمي يانفس أن كل شيء مادي محتاج للجوهر وكل محتاج لجوهر مادي محتاج للمادة يطلب دائماً مدة تطابق طول المدة المنسوبة له).

(3) الإضافة حالة نسبية متكررة بحيث لاتعقل أحدهما إلا مع الأخرى كالأبوة والبنوة.

(4) وفي بعض النسخ الذق وغيرها الزورق.

الفصل الرابع

يانفس إن عالم الطبيعة صفو وكدر. فتجرعي كدره قبل صفوه، فإنه هكذا ينبغي أن تكون السياسة. واعلمي أن شرب الصفو بعد الكدر خيرٍ من شرب الكدر بعد الصفو. فلا تغترِّي بأن في عالم الطبيعة صفواً يوجد. وإن وجد صفو فليس هو بالحقيقة. لأن مالا دوام له لا صَفْو فيه، وأي صفو هو وهو كدر كلّي الكدر، وثقل كلي الثقل. وإنما ضربت لك ذلك مثلاً. فإن ارتدت الشيء الصافي الهني فاطلبيه في غير عالم الكون والفساد. فإنك إن طلبته في معدنه وجدته، وإن طلبته في غير معدنه عدمته. وإن أنت عدمت طلبك. وفاتك أربَك. اقترنَت بك الأحزانَ والفقر. وأعقَبك ذلك مرضاً يؤدَي بكِ إلى المَوت منَ العيش العقلي وَالحياة الدائمة.

يانفس إن هذا المركب الذي ركبته في هذا البحر العظيم إنما هو مياه تجمد وبالعرض تركب. فيوشك أن تطلع عليه الشمس. فينحل ويعود إلى عنصره ويتركك جالسةً على ظهر الماء ما أمكنك الجلوس، فتطلبين مركباً، ولا مركب إلا ما اكتسبت من جودة السياحة وحسن التهدّي[1].

يانفس إن الماء الصافي النقي يؤدي البصر إلى ما في ذاته. فإن شابَهُ الكدرُ والوسخ حجب البصر عن إدراك الأشياء المسكنة فيه. وكذلك نور الشمس إذا أشرق على الأشياء. كان البصر مدركاً لها بالحقيقة. فإذا عرض فيها البخار والدخان والغبار. حيل بين البصر وبين إدراكه تلك الأشياء. وكذلك أنوار العقل اللطيفة إذا امتزجت بالأشياء الكثيفة المظلمة، كدرتها وعاقتها عن إدراك مافي ذاتها من الصور والأشكال وأعدمتها. فحينئذ تبقى النفس فقيرة من مقتنياتها، جاهلة بمعلوماتها عادمة حسن التهدي إلى طريق نجاتها.

يانفس ليس الزهد في الدنيا ترك تزويقها وإصلاحها مع الرضى بالمقام فيها. وإنما الزهد التام الرضى بالتحول عنها والاستعداد للنقلة منها. وكذلك يانفس ليس الزهد في عالم الطبيعة ترك لذاته وشهواته مع الرضى بالمقام فيه. وإنما الزهد بالحقيقة شدة الشوق إلى مفارقته، والراحة منه ومن معاندته، ومضادته ومصائبه واختلافه وظلمه. فينبغي لك يانفس أن تعتقدي الشوق إلى الموت الطبيعي والرضى به. وتحاذري الفشل عنه والخوف منه،

---

(1) الاسترشاد.

فبالخوف تكون التهلكة. وبالشوق إليه تكون السلامة. أو ليس تعلمين يانفس أنكِ بالموت الطبيعي تنتقلين من الضيق إلى السعة. ومن الفقر إلى الغنى. ومن الحزن إلى السرورَ. ومن الخوف إلى الأمن. ومن التعب إلى الراحة ومن الألم إلى اللذة. . ومن المرض إلى الصحة. ومن الظلمة إلى النور. فلاتبتئسي يانفس إذ تُسلبي حُلل الشر والشقاء. وتلبسي حلل الخير والبقاء. مع تيقنكِ حقيقة ذلك ومشافهتك إياه ومشاهدتكِ له بذاتك الفردة الوحيدة.

يانفس تطلبين الإخوان في عالم الكون. وقد علمت أن ذلك من جنس الممتنع. وإنما يوجد ذلك في عالم الروحانيين، لانفراد ذواتهم وتمحصها وصفائها. فإذا أحببت ذلك فصيري إلى هناك تظفري بمطلوباتك ولاتطلبي في عالم الكون ماليس فيه. لأن سَكانه أسارى ومماليك، وأي أخوة للأسير. وأي عهدٍ للملوك؟ فاعلمي ذلك وتيقنيه واعتقديه.

يانفس اعلمي أن كل فاقد تائه وكل تائه هالك فاحذري يانفس أن تقتني مالا تعتقدينه أنه باق فتتوهين وتهلكين.

يانفس ما أشدّ مفارقة الأحباب، وأشد من ذلك صحبة كل مفارق، يانفس إن أهل الدنيا مظلومون ظالمون مغرورون غارون. ومن ذلك أنهم يستقبلون كل نفس واردة إلى دار الهموم والأحزان، بالطرب والسرور. ويشيعونها إذا صدرت عنها بالبكاء والعويلَ. وكفى بهذا يانفس ظلماً ومخالفةً للحق والعدل.

يانفس تيقني وتفهمي بالاستقراء[1] والتأمل. واعلمي أن أربعة أشياء هي السبب في هلاك النفس لامحالة. الجهل، والحزن، والفقر، والخوف. واعلمي يانفس أن من بحث عن العلم عدم الجهل. ومن ترك المقتنيات الخارجة عنه عَدمَ الحزن. ومن عفَّ عن الشهوات عَدِمِ الفقر. ومن تشوق وتشوف إلى الموت الطبيعي ورضيَ به عَدِم الخوف.

يانفس إن الجاهل لايعلم لشيء حقيقةً البتة. والمقتني الأشياء الخارجة عنه حزين طول

(1) الاستقراء هو تتبع جزيئات الشيء وهو تام وناقص. فالتام هو الاستقراء بالجزئي على الكلي نحو جسيم متحيز. فإنك لو استقريت جميع جزيئات الجسم من جماد وحيوان ونبات لوجدتها متحيزة، وهذا الاستقراء دليل يقيني يفيد اليقين. والناقص هو الاستقراء بأكثر الجزئيات، نحو كل حيوان يحرك فكه الأسفل عند المضغ، لأن الإنسان والبهائم والسباع كذلك، وهو ناقص لايفيد اليقين لجواز وجود جزئي لم يُستقرَ أو يكون حكمه مخالفاً لما استقري، كالتمساح، فإنه يحرك فكه الأسفل عند المضغ. وهذا الاستقراء دليل ظني لايفيد إلا الظن. وإذا كان الاستقراء بجزئي فهو التمثيل. وقد مرَّ.

دهره. والفقير إلى الشهوات فقير أبداً. والخائف من الموت الطبيعي قد عدم حلاوة الأمن. فهل يكون أشقى من نفس جاهلة حزينة فقيرة خائفة؟

يانفس لو تقررت[1] لك رتبة الصبر على مضض العزم[2] السائر بك إلى حد الانفصال عن الطبيعة. لعدمت الخوف مع الفقر جميعاً. فتدرّعي يانفس الصبر ولا تجمعي إلى الحزن والغربة الخوف والفقر فتهلكي.

يانفس إن الموت وراء الهزيمة والحياة وراء الصبر والثبات عزّ والفشل ذل[3].

يانفس إن القتل إنما هو ساعة وتنقضي. ومقاساة ذل الأسر حال تطول. فارضي بالقتل في الطبيعة. ولاترضي بالأسر. فإن القتل في الطبيعة هو الحياة الدائمة. وإن الأسر في الطبيعة[4] هو الموت الدائم.

يانفس هذه رتب ثلاث فكوني على أشرفها وأجملها. فأدناها رتبة رجل عالم غير كامل وهو كرجل ذي سلاحٍ لاشجاعة له. وما عسى أن يصنع الجبان بالسلاح. والرتبة الثانية رجلٌ عاملٌ غير عالم وهو كرجل شجاع لاسلاح له. غير أن الشجاع بلا سلاح أقدر من الجبان مع السلاح[5]. وكذلك عامل غير عالم أشرف من عالم غير عامل. والرتبة الثالثة رتبة رجل عالمٍ عامل وهو كرجل ذي شجاعةٍ وسلاح. وهذه ينبغي أن تكون الرتبة الشريفة.

يانفس إن القمر ينير ما وردت إليه الشمس. فإذا عرض له أن يحول بينهما ظل الأرض انخسف[6] وأظلم. وكذلك النفس نيرة مضيئة مادام يرد إليها نور العقل. فإذا توسطت أسباب الفساد[7] بينهما، عدمت النفس نورها وانخسفت وأظلمت. وكما أنه ما دامت في وسط العالم لن يعدم القمر الخسوف. كذلك النفس مادامت ملازمة للطبيعة لن تعدم الظلمة والأذى. فتبين من هذا الشرح أنَّ راحة النفس مفارقتها عالم الطبيعة والتحول عن هذه الدنيا عاجلاً.

---

(1) وفي نسخة تدبرت.
(2) وفي نسخة العدم.
(3) وفي بعض النسخ أن الموت تحت الصبر والثبات عز. والموت تحت الهزيمة والفشل ذل.
(4) في بعض النسخ في الجهل.
(5) وفي بعض النسخ أن الشجاع على السلاح أقدر من الجبان على الشجاعة.
(6) يقال انخسف القمر وانكسفت الشمس.
(7) وفي نسخة أسباب السوداء الدم والبلغم والمرَّة.

الفصل الخامس

يانفس إن العقل هو شيءٌ غير التصور والتمثل. وأي نفس عدمت التصور والتمثل فقدت ذاتها. ومن فقد ذاته فهو ميت.

يانفس إن التصور والتمثل هو العقل الذي هو الحياة الدائمة.

والتلذذ والتنعم بالدنيا هو الموت الدائم. فلا تؤثري مزايلة(1) الحياة الدائمة على مقارنة الموت الدائم فتهلكي.

يانفس ما بال كل الجواهر الطبيعية غير العاقلة متحركة بالطبع(2) إلى عنصرها ومواضعها الخاصة بها. وذلك أن كل جوهر إنما شرفه وعزه أن يرجع إلى عنصره فيكون في أصله ومحله.

يانفس أفليس كل مايكون من التراب كالحجارة وغيرها يرجع منحلاً إلى التراب الذي هو أصله ونبعه. حتى إنه لو أخذ أحدٌ جزءاً من الأرض فَعَلا به عن وجه الأرض ثم خلَّى سبيله لعاد مسرعاً بحركته الطبيعية إلى عنصره وأصله. وكذلك كل المياه تراها أبداً متحركة بالطبع ذاهبة إلى عنصرها الأعظم، مالم يعقها عائق، كالعيون التي تنضاف إلى الأنهار. وكالأنهار التي تنضاف أبداً إلى البحر الذي هو عنصر الماء. وكذلك كل شيء مما سوى ذلك كصعود النار إلى العلو راجعة إلى عنصرها، وكسريان الهواء علواً راجعاً(3) إلى عنصره فإذا كانت هذه الأشياء التي ليس لها عقل ولاتمييز وإنما حركتها حركة هيام وطبع. به يتحرك كل

---

(1) مفارقة.

(2) بالطبع أو بالطبيعة أما الطبع فهو مايقع على الإنسان بغير إرادة وقيل هو الجبلة التي خلق عليها. أو هو مبدأ الحركة مطلقاً سواء كان له شعور كحركة الحيوان أو لا كحركة الفك عند من لم يجعله شاعراً. وهو الصورة النوعية أو النفس. وأما الطبيعة فهي عبارة عن القوة السارية في الأجسام بها يصل الجسم إلى كماله الطبيعي، والطبيعة أيضاً مايكون مبدأ الحركة من غير شعور والنسبة بينهما بالعموم والخصوص مطلقاً. والعام هو الطبع، والطبيعة تطلق على النفس باعتبار تدبيرها للبدن على التسخير لا الاختيار. وقد تطلق على الصورة النوعية. أو الطبع أيضاً قوة للنفس في إدراك الدقائق. والسليقة قوة الإنسان أن يختار «مثلاً» الفصيح من طرق التركيب من غير تكلف وتتبع قاعدة موضوعة لذلك.

(3) سريان مصدر سرى إذا سار المرء عامة الليل وقيل أسرى لأول الليل وَسرى لآخره وقوله: كسريان الهواء علواً راجعاً إلى عنصره. ليس صواباً لأن مركز الهواء السطح الكروي وجاء في الكليات أن الهواء جرم بسيط حار رطب شفاف لطيف متحرك لمكان فوق كرة الأرض والماء تحت كرة النار.

واحد منها إلى حيث شرفه وعزه وقوته. ويأبى الغربة والبعد عن وطنه ومحله. فما بالك يانفس وأنت ذات العقل والتميز. تأبين الرجوع إلى وطنك وعنصرك الذي فيه شرفك وعزك. وتكرهين ذلك وتحبين البعد عن أصلك ونبعك. وتختارين اللبوث في الأرض الغريبة ومقاساة الذل والهوان. فياليت شعري أبالطبع تختارين ذلك أم بالعقل؟ فإن كان ذلك بالطبع فساوي الطبيعة في فعالها بالطبع ورجوعها أبداً إلى عنصرها. وإن كان هذا منك بالعقل والتمييز، فكيف يجوز للعاقل المميز أن يختار الغربة على الوطن، ومحل الخساسة على محل الشرف، ومقاساة الذل والهوان على الراحة والعز والكرامة؟ ومن حصل في هذه الرتبة فقد بان أنه لايعد في رتبة الطبيعيات ولا في رتبة العقليات. وما لم يكن من هذين الجنسين فليس بشيء. ولايعدّ في الموجودات. بل ينبغي أن يكون منفياً عنها. فتصوري يانفس هذه المعاني. وارجعي بعقلك إلى شرفك الأعلى ومحلك الأقصى.

يانفس إني تأملت اللذات كلها. فلم أجد ألذّ من ثلاثة أشياء: العلم والغنى والأمن[1] ولكل واحد من هذه الأشياء أصل وينبوع يحرّكه. فمن طلب العلم فليذهب إلى معنى التوحيد. فإنه بالتوحيد تكون المعرفة والعلم والتحقيق. وبالإشراك يكون الكفر والجهل والشك. ومن طلب الغنى فليذهب إلى رتبة القنوع، فإنه حيث لاقنوع لاغنى. ومن طلب الأمن فليستعد لمعنى المفارقة لعالم الطبيعة وهو الموت الطبيعي.

يانفس مادمت في عالم الكون والفساد فاحذري حالتين، هما من مهالك النفوس فاحذريهما وانحرفي عنهما انحراف الخائف الوجل منهما. وهما النساء والأشربة المسكرة. فإن الواقع في مصايد النساء كالطائر الواقع في يد صبيّ لاعقل له. فالصبي يلهو به ويلعب ويفرح بهجاً مسروراً والطائر في خلال ذلك، يتجرع غصص الموت، ويلقى أنواع العذاب، وكذلك يانفس ينبغي أن تحذري شرب المسكر. فإن السكر يجعل النفس كالسفينة الجارية في شدة تيار الماء وأمواجه. وليس فيها ملاح ولا مدبّر يدبّرها. فكذلك النفس إذا فارقت العقل

(1) العلم قد اختلفت أقوال العلماء فيه فقالوا هو الاعتقاد الجازم المطابق الواقع. وقالوا هو حصول صورة الشيء في العقل. والأول أخص، وقالوا هو إدراك الشيء على ماهو. وقالوا زوال الخفاء من المعلوم. وقالوا هو صفة راسخة يدرك بها الكليات والجزئيات. وقالوا هو وصول النفس إلى معنى الشيء. وقالوا عبارة عن إضافة مخصوصة بين العاقل والمعقول، وقالوا عبارة عن صفة ذات صفة، وأما الغنى فهو الكفاية واليسار. وقال بعضهم غنى الدنيا «مقصور» وهو الكفاية وغناء الآخرة وهو السلامة «ممدود».

* والأمن عدم توقع مكروه في الزمان الآتي.

غرقت وجرت بها الطبيعة جرياناً سائلاً لاترتيب له ولا نظام فهلكت وتلفت.

يانفس إن الشيء الذي يأتيك علمه ثم يعاودك نسيانه[1] فتيقني إنه إنما يأتيك علمه من خارج ذاتك بمادة تتوسط بينك وبين علم ذلك الشيء. فإذا عاودك نسيانه فإنما ذلك من قبل ظلمة الجسد واختلافه وثقله، واجتذابه إياك إلى ذاته، وإعاقته لك بكثرة أضداده[2]، وتركبه فتعودين ناسية لما كنت قد ذكرته، وجاهلة لما كنت قد علمته. ومثل ذلك يانفس كمثل البصر والمبصرات والظلمة والنور[3]، وذلك أن البصر يكون في الظلمة فتكون المبصرات حاضرة بين يديه فلا يراها. ويضعف عن إدراكها. فإذا ورد إليه النور المضيء أعانه على إدراك مبصراته ومحسوساته التي كانت قبل ذلك غائبة عنه. فكان ذلك النور سائقاً له إليها ومتمماً له إدراكه إياها. وجاعلها فيه بالعقل بعد أن كانت فيه بالقوة. فما دام البصر واجداً لذلك النور فهو واجد لمبصراته ومدرك لها. فإذا فقد النور وعاودته الظلمة عاد إلى فقده جميع محسوساته ولو دام له النور أبداً لدام له الإدراك أبداً مادام النور، وعدم الظلمة، فإذا كان قد اتضح لك يانفس أنَّ النور يأتي من قِبَلِ العقل. وأنّ الظلمة تأتي من قِبَلِ الجسد، فينبغي لك يانفس أن لاتأسفي على فراق الجسدَ لشدة إضراره بك وخذلانه إياكَ وإعاقته لك عن إدراك معلوماتك الدائمة الحقيقة. بل ينبغي لك يانفس أن تأسفي على مفارقتك عالم العقل لكثرة منافعه لك

---

(1) النسيان هو السهو وهما مترادفان، قال بعضهم إن النسيان غيبة الشيء عن القلب بحيث يحتاج إلى تحصيل جديد. والسهو هو غفلة القلب عن الشيء بحيث يتنبه بأدنى تنبيه. وقالوا النسيان زوال الصورة عن القوة المدركة مع بقائها في الحافظة. والسهو زوالها عنهما معاً. وقيل غفلتك عما أنت عليه لتفقده سهو. وغفلتك عما أنت عليه لتفقد غيره نسيان. وقيل السهو يكون لما علمه الإنسان ولما لايعلمه. والنسيان لما عزب بعد حضوره. وأما الذهول فهو عدم استثبات الإدراك حيرة ودهشة، وفي المفردات شغل يورث حزناً ونسياناً والغفلة عدم إدراك الشيء مع وجود مايقتضيه، وأما قوله وماكنا عن الخلق غافلين أي مهملين أمرهم. وقد يجيء النسيان بمعنى الترك ومنه النسي وهو مايسقط في منازل المرتحلين من رذال أمتعتهم.

(2) الأضداد جمع ضد. وهو عند الجمهور يقال لموجود مساو في القوة لموجود آخر ممانع له، ويقال لموجود مشارك لموجود آخر في الموضوع معاقب له، أي إذا قام أحدهما بالموضوع لم يقم الآخر به. والضدان إذاً عبارة عما لايجتمعان في شيء واحد من جهة واحدة. وأما قولهم يكونون عليهم ضداً. فالمراد به العون. فإن عون الرجل يضاد عدوه وينافيه بإعانته عليه. وهو يكون للجمع والمثنى والمفرد.

(3) النور كيفية تدركها الباصرة ثم تدرك بها المبصرات. والنور «في ذاته» هو الجوهر المضيء. والنار كذلك، غير أن ضوء النار مكدر مغمور بدخان محذور عنه بسبب مايصحبه من فرط الحرارة والإحراق. وإذا صارت مهذبة مصفاة كانت محض نور، ومتى نكصت عادت الحالة الأولى جذوة. ولايزال يتزايد حتى ينطفي نورها ويبقى الدخان الصرف والنور من جنس واحد وهو النار. بخلاف الظلمة، إذ مامن جنس من أجناس الأجرام إلا وله ظل، وليس كل جرم نور.

ومساعدته إياك على نيل مطلوباتك. فانصرفي يانفس عن الطبيعة زاهدة فيها قالية لها خائفة منها فازعة إلى عالم العقل الذي هو أصلك ونبعتك، ومعدن شرفك وعزك تحيي بذلك الحياة الدائمة وتستكملي السعادة التامة الكاملة.

يانفس حتى متى أنت في عالم الكون تطوفين واردة وصادرة، وذاهبة وراجعة، تتخذين القرناء والخلان. فخليلاً تتركين وخليلاً تتخذين وتصحبين. وليس من خليل تصحبينه فيلين لك منه جانب، إلا وقد تلون لك منه جانب معتقداً لك الغدر والخذلان، وأنت معتقدة له الوفاء والمساعدة. يغشك فتنصيحينه، ويعتلُّ فتصححينه، ويدنسك فتطهرينه، فهو دائماً يقابلك بما في جوهره وطبعه. وأنت دائماً تقابلينه بما في جوهرك وطبعك. ثم يعقبك بعد هذا كلّه بالقطيعة الكلية والفراق القاطع[1] على غير جرم أجرمته، ولا ذنب جنيته، فأنت في كل حين متجرعة من الفراق غصصا. وفاقدة ألفاً وخليلاً، علَى غدرهم ووفائك لهم وظلمهم إياك وأنصافك إياهم، لاعن الآخر بالأول تنزحين، ولا بطول تجربتك واختبارك لهم تتعظمين وتعتبرين[2]، فحتى متى وإلى متى تصاحبين الأشرار الظالمين والخونة الغادرين؟ أهذا جهل منك وعمى أم تجاهل وتعامٍ عن الصواب؟

❊ ❊ ❊

(1) القاطع: الهاجر.
(2) الاعتبار: هو النظر في الحكم الثابت أنه لأي معنى ثبت وإلحاق نظيره به وهو عين القياس. وقالوا الاعتبار هو النظر في حقائق الأشياء وجهات دلالتها ليعرف بالنظر فيها شيء آخر من جنسها. وقيل الاعتبار هو التدبير وقياس ماغلب على ظهر. ويكون بمعنى الاختبار والامتحان وبمعنى الاعتداد بالشيء في ترتيب الحكم نحو الاعتبار بالعقب أي الاعتداد في التقدم به. والاعتبار مأخوذ من العبور والمجاوزة من شيء إلى آخر، ولهذا سميت عبرة والمعبر معبراً واللفظ عبارة. وقالوا السعيد من اعتبر بغيره، والشقي من اعتبر به غيره.

الفصل السادس

يانفس إنه لو شرب شارب من الماء شربة واحدة. لقد كانت تلك الشربة تقرر في نفسه المعرفة بطبيعة الماء كله. فإن اختبار الجزء من الشيء الواحد ينبئ عن سائر أجزائه وإن الناظر إلى كف من التراب فقد رأى التراب كله. وإن اختلفت ألوان التراب فليس جوهره مختلفاً. وإن مصاحب القرناء والخلاَّن الذين كلهم من طبيعة واحدة وجوهر واحد لعارف بأن واحدهم ينبئ عن جميعهم، وقليلهم ينبئ عن كثيرهم. فاقتصري يانفس على هذا الشرح واكتفي به تُوَفَّقي للسلامة والنجاة.

يانفس إني أرى كل شكل يحنّ إلى شكله، وكل نوع ينضاف إلى نوعه، فينبغي أن تكوني بهذا المعنى عرفة. يانفس أنت صافية فلا تصحبي كدراً، وأنت نيّرة فلا تصحبي مظلماً، وأنت حية ناطقة فلا تصحبي ميتاً أبكم، وأنت عاقلة عادلة فلا تصحبي جاهلاً جائراً، وأنت طاهرة نقية، فلا تصحبي نجساً دنساً، وأنت متصرفة بالتمييز والإرادة العقلية، فلا تصحبي المتحرك حركة الهيام والالتباس والتشوُّش، فإن أنت لم تتحققي شرحي هذا فأريني كيف يكون الاتفاق في معانيك التي ذكرتها بمعاني سواك. ومن المحال يانفس أن يثبت لك اجتماع المتخالفين في معنى واحد. فتيقني يانفس قولي، وارجعي إلى ما رسمته لك وحددته تجدي الحق وتظفري بالصواب.

يانفس ما أشغل[1] الغريق في الماء عن صيد السمك! وكذلك ساكن الدنيا ما أشغله عن مقتنياتها ولذاتها بخلاص نفسه! إن فطن لسوء وقوعه فيها. يكفيك وأنت في عالم الحس ما تقاسينه من آلامك[2] وأضدادها وأوساخها فلا تضيفي إلى آلامك شيئاً آخر، فتكوني كالغريق المرتهن في البحر قد حمل على عاتقه حجراً، وما أرى أن غريقاً ينجو من البحر مجرداً بنفسه، وإن نجا فبصعوبة، فكيف إذا حمل على عاتقه شيئاً آخر.

(1) ماأشغله على التعجب. هو شاذ لأنه لايتعجب من المجهول لكونه للمفعول. والتعجب إنما يكون من فعل الفاعل. وكذلك التفضيل لأنه شريك التعجب في جميع أحكامه، فقد شذَّ هذا الحرف وقالوا فيه هو أشغل من ذات النحْيَين والنحي زق أو جرة فخار يجعل فيها لبن يمخض.

(2) وفي بعض النسخ آلاتك.

يـانفس إن سلوك طريـق النجـاة وطريـق المهلكـة يكـون مـن قبلـك بحسـب مـا عرفتـه وخبرته. وذلك أنه إذا كانت معرفتك بالمحسوسات فقط فإنه في وقـت انتقـالك إلـى مـا علمته إليها تنتقلـين، ولفدحهـا[1] تكـابدين ونحوهـا تتجهـين، وبهـا ترتبطـين. وإن كـانت معرفتك بالمعقولات وآثرتها على غيرها فنحوها تتجهين وإليها تنتقلين، وبها ترتبطين.

يـانفس هـذه دار المحسوسـات ودار المعقـولات حـاضرة بـين يديـك وكلاهمـا قـد جربتـه وشاهدته فتخيري أيّهما شئت غـير مدفوعـة ولا ممنوعـة. واذهبـي إلـى أحظاهمـا عنـدك فـإن اخترت اللبوث في دار الحس فأقيمي علـى مـاقد جربتـه وعرفتـه؛ وإن أحببـت المصير إلـى دار العقل فينبغي لك قبل الانفصال أن تتصوري معنى طريقك[2] وسلوكك إياه على ترتيبه محلاً بعد محل حتى تنتهي إلى محل المسـتقر. فإن كنـت يـانفس ذاكـرة لهـذا الطريـق فـاحذري أن يحول بينك وبينه النسيان والخوف وقت الانفصال، فتضلي وتتوهي، وإن كنت يانفس ناسية لهذا الطريق فتذكريـه واسـتعيني علـى تذكـره بوصـف سـالكيه وخابريـه، فـإنهم أئمـة الهـدى ومصابيح الدجـى والأدلاء[3] علـى المسـلك إلـى العلـى، فـالتزمي وارتبطـي بـأدبهم فـإنك إن لزمت فعلهم فمعهم تخلصين. واعلمي يانفس أن كل شـيء يذهـب وينتقـل إلـى نحـو العَلـو ينبغي أن يكون خفيفاً صافياً نقياً ليكون أسـرع مـروراً إلـى غايتـه، وأن كـل شـيء يذهـب إلـى

(1) أي ثقلها.

(2) يذكر ويؤنث.

(3) الأدلاء جمع دليل ويجمع أيضاً على أدلة ودلائل والأخير نادر. والأول غلب استعماله للعاقلين. والدليل المرشد إلى المطلوب، ومنه يادليل المتحيرين، أي ياهـاديهم إلـى مابـه تـزول حيرتهم. ويـراد بـه العلامـة المنصوبة لمعرفة المدلول، ومنه سمي الدخان دليلاً على النار. واسـم الدليـل يقـع علـى كـل مـايعرف بـه المدلول حسياً كان أو غير حسيّ، حتى سمي الحـس والعقـل والنـص والقيـاس وخـبر الواحـد وظواهـر النصوص كلها أدلة، والدلالة كون الشيء بحيث يفيد علماً إذا لم يكن في الغير مانع كمزاحمـة الوهـم والغفلة بسبب الشواغل الجسمانية. والدال من حصل منه ذلك والدليل في المبالغة كعـالم وعليـم وقـادر وقدير. ثم سمي الدال والدليل دلالةً لتسـمية الشـيء بمصـدره. والدلالـة أعـمّ مـن الإرشـاد والهدايـة، والاتصال بالفعل معتبر في الإرشاد دون الدلالة. والدليل المرجح أن يكنْ قطعياً سمي تفسيراً. وإن كـان ظناً كان تأويلاً. وإن كان من الكلي إلى الكلي سمي برهاناً. أو من الكلي إلى البعض سـمي اسـتقراءً. أو من البعض إلى البعض سمي تمثيلاً. وإن كان من المعلول إلى العلة سمي برهاناً آنياً وعكسه من العلـة إلى المعلول سمي تعليلاً وبرهاناً لمياً. واللمـي أولـى وأفيـد وأشـرف. والدلالـة تتضمـن الاطـلاع ولهـذا تتعدى بعلى. وما كان للإنسان اختيار في معنى الدلالة فهو بفتح الدال ومالم يكن له اختيـار فـي ذلـك فبكسرها. مثاله إذا قلت دلالة الخير لزيد فهو بالفتح أي له اختيار في الدلالة علـى الخـير. وإذا كسـرتها فمعناه حينئذ صار الخير سجية لزيد فيصدر منه كيفما كان.

أسفل. ينبغي أن يكون ثقيلاً كدراً، وعلى حسب كدره وثقله تكون سرعة مروره إلى غايته.

يانفس إن الأصناف الشريفة ترد من عالمها إلى عالم الطبيعة ورود مختبر له. فإذا استعملت الآلات التي تشافه بها الطعوم[1] والروائح والمبصرات وكل الأشياء المبصرة العارضة في الحس، نسيت عالمها وكل مافيه. وظنت أنه لاشيء غير ما تشاهده في الحس. فحينئذ تنسى عالم العقل وتعدم ذكره. فإذا ولت[2] عن النوع الناطق قيل إنها قد ماتت، ومضت مع جريان الطبيعة. فمتى عادت إلى الكون الأول ثم ذكرت عالمها بعض الذكر، قيل إنها حييت من مماتها. وحينئذ تتعلق بالمعنى الذي قد ذكرته مستكشفة له وباحثة عنه وعن كل المعاني التي نسيتها أولاً. وكلٌ ما علقت شيئاً مما نسيته انجلى بصرها وقويت صحتها وفارقت مرضها. وعند ذلك تدرك ببصر عقلها. إن كل ماهي مشاهدة له في عالم الحس إنما هو خيالات أشياء لا أشياء بالحقيقة. وخيال الشيء هو ظل الشيء الحقيقي على وجه الأرض والماء. وإنما عرض للنفس مرابطة[3] أشكال الأنواع دون الأنواع عينها. لنسيانها عالم الحس وبتأملها هذه المعاني وتذكرها لها تكون صحتها من مرضها، وعقلها بعد جهلها. فتذهب راجعة إلى تأمل المعاني الحقيقية والحياة الدائمة السرمدية.

يانفس تأملي قولي وافقهيه واعلمي أن العقل للنفس كالأب، والطبيعة له كالزوجة، وأن للنفس جهتين تميل إليهما فتارة تميل نحو العقل الطبيعي الحقيقي. وتارة تميل نحو الطبيعة بالهوى كالعشق الذي يكون بين الرجل وزوجته وهذا هو القول العرضي الزائل. فتأملي يانفس الرجل إذا خلا بزوجته، كيف تقابله بالملاعبة والضحك والملق وتكلمه بألطف مايكون من الكلام وأرقّه. وليس ظاهر ماتبدي كباطنه، لأنها إنما تفعل ذلك لتستعبده به وتستعمله في أغراضها وتسوقه إلى المهالك. فانظري يانفس إلى فعل الزوجة كيف تسقي العسل مخلوطاً بالسم القاتل الرديء العاقبة. ثم تأملي يانفس فعل الرجل إذا خلا بولده كيف يقابله بالعتب والتوبيخ ويكلمه بأمَرّ الكلام وأخشنه. وليس ظاهر مايبدي من ذلك كباطنه. لأنه إنما يريد بذلك تشريفه ومنفعته في كل حالاته. فانظري يانفس إلى فعل الأب

(1) الطعوم جمع الطعم وهو مايؤديه الذوق من حلاوة الشيء ومرارته ومابينهما يكون في الطعام والشراب وقيل أيضاً هو مايشتهى من الطعام.
(2) أي أدبرت.
(3) المرابطة المواظبة والملازمة.

كيف يسقي الدواء المر الكريه لولده مخلوطاً بالصحة والحياة وحسن العاقبة، فافهمي يانفس هذه المعاني فما كان صحيحاً فخذيه، وما كان محالاً وباطلاً فدعيه واطرحيه.

يانفس إنما لكِ أخاطب، وإليك أشير، وأياك أريد. إنما الطبيعة زوجكِ والعقل أبوك وإن لطمة من أبيكَ خير من قبلة من زوجتك.

يانفس إنه لابد لك من أبيك لأنه لاشيء يقطع النسب والنسبة بينك وبينه البتة لا الفرقة ولا الاجتماع. لا الغضب ولا الرضى بل النسبة ثابتة على كل حال. لايمكن زوالها لأنه قد يخلي الرجل سبيل زوجته فتنقطع علائقه منها، ولايمكنه أن ينفي نفسه من والده ويأخذ له والداً غيره.

يانفس إنكِ بإطاعتك للعقل تحيين وتشرفين، وبعصيانك إياه وإطاعتك للطبيعة تموتين وتهلكين. فتصوَري يانفس حقيقة هذه المعاني وتمثلي بها توفقي للسعادة وتستكملي الرشاد.

❊ ❊ ❊

الفصل السابع

يانفس حتى متى وإلى متى أنا سائقك إلى طريق النجاة والمنفعة فلا تنساقين. وأنت سائقتي إلى طريق المهلكة والمضرة لي ولك فلا أنساق معك. فإذ كان قد وجب هذا الخلف بيني وبينك فليس هنا يانفس غير المفارقة. إذن نفترق يانفس ويمضي كل واحد منا إلى حيث يهوى ويريد.

يانفس ما أنت منصفة ولا عادلة ولا عاقلة: أبوك مقبل عليك بتأديبه ومعاتبته النافعة لك عواقبها، اللذيذة ثمارها، وأنت معرضة عنه ومقبلَة على زوجتك وخداعها وتضلالها[1] ولطف ملقها[2] المنتج لك الأحزان والهموم والمخافة والفقر.

يانفس إن فاتتك فرصة العمل بالنصيحة في أوان العمل فاتتك حلاوة الاستثمار والثواب على صالح الأعمال. فإنه من لم يغرس الشجرة في أوان غرسها لم يلتذ بالثمرة عند أوَان إدراك الثمر. فتيقني يانفس قولي هذا وافهميه إن كنت حية عاقلة، وإن كنت ميتة جاهلة فما أبعد تيقنك إياه وفطنتك له.

يانفس تيقني أن الأصناف الشريفة إنما وردت إلى عالم الكون لتختبره. فلما وردته وشافهت معانيه نسيت عالمها العقلي وجهلت ذاتها النورانية. ومتى أدركت ذكر ما نسيته فقد صارت مشاهدة للحالين جميعهاً ومميزة بينهما كالشرف والخساسة. وملكت التخير في أن تلبث عند أيهما شاءت. فإذا أدركت ببصيرة عقلها علوّ المرتبة الشريفة على دنوّ المرتبة الخسيسة فحينئذ تؤثر الرجوع إلى مناسبها بالمعنى الذي به تتصل وتنفصل مما قارنها بالعرض راغبةً عنه زاهدةً فيه. فتحققي ذلك يانفس فإن لك تحته راحة كثيرة وفائدة عظيمة وسعادة دائمة باقية مضيئة.

يانفس إن المواعظ والتنبيه صقال النفوس من الصدأ، وإن المرآة الصدئة بالعرض السريع الزوال يمكن للصيقل جلاؤها. وأما المرآة التي قبلت الصدأ بالعرض الثابت البطيء الزوال

---

(1) أي تضليلها لأنها تصيرك إلى الضلال.

(2) إعطائها من الود بلسانها. ماليس في جنانها.

الخارج عن حدّ القوة إلى الفعل. فقد صار لها ذلك الصدأ طبعاً ثانياً مستحكماً فلا ينجح فيها عمل الصيقل. ولايستخرج الصدأ منها إلا بإعادتها إلى النار والسبك. وكذلك النفوس العرضية الكدر، تنجلي بالتنبيه والمواعظ فتذكر سالفات أمورها. فأما النفوس الطبيعية الوسخة الكدرة فليس يصدأها[1] إلا دخولها إلى مرتبة العذاب وطول لبوثها فيه وترددها إليه.

يانفس كم يتردد الذهب الكثير الغش إلى النار قبل أن يصفو ويتهذب، وكم يدخل العود المعوج النار قبل أن يتقوم، وكم تعود الحنطة إلى الغربال قبل أن يذهب غلثها[2] وغشها[3]، وكم تقاسي النفوس الخبيثة الصدئة من ألوان العذاب قبل أن تستقيم وترجع.

يانفس إنه لايمكن لأحد أن يعرف فضل حلاوة العسل على مرارة الصبر دون أن يذوقهما جميعاً ويلعق منهما ويعقلهما بالتمييز. وكذلك لايمكن للنفس أن تعرف فضل حلاوة النعيم على مرارة العذاب دون أن تذوقهما جميعاً وتعقلهما.

يانفس كم بين الخارج من شيء قد خبره وذاقه وزهد فيه. وبين الداخل إليه الراغب في أن يذوقه ويختبره؟

يانفس أن المقاتل في الحرب يتمنى الخروج من كرب القتال وثقل السلاح. والذي لم يشاهد الحرب قط يشتهي أن يلاقيها ويذوقها. فإن قلت يانفس إنك قد وصلت إلى غايتك مما جرّبته وحزته. فارجعي الآن إلى نهايتك مما كنت قد نسيته.

يانفس متى أردت الاعتبار الأكبر فانصرفي إلى تأمل الشيء الأبدي الديمومة، الأزلي الغاية، السرمدي المسافة، إذ لا حد لشيء سرمدي[4] الذي هو مبدئ الأشياء كلها عند ظهورها. ومعيدها عند دثورها، والذي هو باسط الأشياء وقابضها، ومبدأها ومعادها. وواضعها ورافعها، كلاً بعد كل وفرعاً بعد فرع.

---

(1) أي يجلوها من الصدأ.

(2) الغلث والفعل غلث الشيء يغلثه كعتله أي خلطه بشيء والاسم الغلث والغليث الطعام يُغثُّ بالشعير والمدر (التراب المتلبد) والزؤان والغليث خبز من شعير وحنطة.

(3) الغش هو الكدر في كل شيء والغشش الكدر المشوب.

(4) الازل هو اسم لما يضيق القلب عن تقدير بداءته. من الأزل وهو الضيق. والابد اسم لما ينفر القلب عن تقدير نهايته من الأبود وهو النفور. والسرمد من السرد وهو التوالي والتعاقب. سمي الزمان به لذلك وزادوا عليه الميم ليفيد المبالغة في ذلك المعنى. فالأزل هو مالا بداية له في أوله كالقدم. والأبد مالا نهاية له في آخره كالبقاء. يجمعهما واجب الوجود كالاستمرار.

يانفس تأملي الأشياء الجزئية كيف تضعف قواها عن الثبات والديمومة فترتد عن كيانها. وترجع إلى كلياتها. وكذلك الأشياء الكلية تضعف عن المساواة في الديمومة الأصل الفردي الأزلي فتدثر[1] عند انحلال قواها. وتناهي مدتها دفعة واحدة. وكذلك توجد الأشياء تارة بالفعل وتارة بالقوة دائماً وسرمداً.

يانفس كم بين خليل يزري بك[2] ويحسدك ويحوجك ويفقرك ويحزنك ويفزعك ويغمك ويجهلك[3] ويغشك ويكدك. تشتهين البصر فيعميك، وتحاولين الرشاد فيطغيك. يقيدك بالمقتنيات الزائلة البائدة التي لاحقيقة لها، ويمنيك بالأماني الكاذبة الخسيسة التي لاوجود لها. فأنت بسببه محتاجة أبداً فقيرة خائفة حزينة ذليلة مسكينة مظلمة صدئة مستعبدة. كلما أغنيته ازداد فقراً. وكلما طهرته ازداد نجاسة ودنساً. وكلما صححته ازداد مرضاً وانتقاضاً. تتوهمين دوام خلته وثباته وهو مسرع بجريانه إلى تركك والذهاب عنك. يذيقك غصص الفراق وتوه العقل[4] وهذا كله يجري عليك بضلالتك ونقصك وعماك وجهلك. فكم بين هذا الخليل يا نفس وبين خليل غيره تصحبينه، إن افتقرت أغناك، وإن ضللت هداك، وإن جهلت علمك. وإن عميت بصرك. لايلزمك بمؤونة ولا كلفة ولا اهتمام ولا خدمة. وهو معك أبداً لاتذوقين لمودته انقطاعاً. ولا لوجوده فقداً ولا فراقاً. كلما دمت معه اكتسبت من شرفه شرفاً، ومن نوره نوراً، ومن حياته حياة، ومن علمه وبصيرته علماً وبصيرة. ومن غنائه وعزّه غناء وعزاً. يقنيك[5] بالمقتنيات الدائمة الأبدية، ويفيض عليك بالذات الموجودة الخفية. فأنت معه رابحة غير خاسرة فتمثلي هذا الخليل يانفس واقترني به وانضمي إليه واتحدي به.

---

(1) أي تندرس وتنمحي.

(2) أي يحط من قدرك ويدخل عليك العيوب.

(3) ينسبك إلى الجهل.

(4) أي اضطرابه.

(5) يقنيك أي يعطيك مايقتنى من القنية الأبدية.

الفصل الثامن

يانفس إن من كان له حبيب وفقده ثم وجد بعد فقده إياه عوضاً منه وبديلاً يوشك أن يسلاه وينساه، ولاسيما إذا كان الآتي أوفق وأحمد من الماضي. ومن فقد حبيباً ثم لم يجد منه عوضاً يوشك أن يطول حزنه وتعظم حسرته. ومن السياسة يانفس إن كان له خليل أنت متحققة لفقده وفراقه أن ترتادي منه بديلاً وعوضاً، وتلتمسي لك صاحباً وقريناً غيره ومن الواجب أن يكون المستأنف أوفق وأحمد من الماضي، فإنه من فقد شيئاً ثم وجد ماهو خير منه تحولت مصيبته إلى نعمة وحسرته إلى فرحٍ وسرور.

يانفس من قبل مزايلتك عالم الكون والفساد تمكني من مواصلتك عالم العقل. ومن قبل مفارقتك قرينك الغادر الدنيء الفاني تخيلي فراقه وتمثليه وتخلي عنه رويداً رويداً، واستقبلي مواصلة خليلك الآتي وأنْسي به وانضافي إليه رويداً رويداً.

يانفس إن من سكن منزلاً فأبغضه وأراد الخروج منه، فينبغي له أن يرتاد موضعاً غيره قبل نقلته. فإن من انتقل من موضع، ولم يعرف له موضعاً غيره ينتقل إليه، يوشك أن يبقى تائهاً مضطراً لاضطرار يلجئه إلى السكنى حيث وجد على غير ترتيب ولا اختيار. فلعله يسكن بالضرورة في موضعٍ شرٍ من موضعه الأول فيتنغص عيشه وتتكدر حياته.

يانفس إنه مامن أحد يسكن في موضع ضيق خرب وحش، إلا وهو يشتهي أن ينتقل منه إلى موضع أشرف من الأول وأوسع وأبهى، فما بالك أنت يانفس تؤثرين السكنى في المساكن المظلمة الخربة الوحشة، وتتركين المساكن النيرة المضيئة الآنسة؟ فإلى متى تكونين عمارة للخِرَب[1] الوحشة وتكون مساكنك الحقيقية معطلة خالية منك.

يانفس تيقني ما أقوله لك وتدبريه، وإن كنت متحققة لشيء غير ماتدركينه بالحواس الخمس، فقد توجهت إلى طريق نجاحك، وإن كنت لم تتحققي شيئاً من الأشياء إلا ما تشاهدينه ببصر الجسد وسمعه وذوقه وشمه ولمسه، فإنت إذاً موقوفة على طريق العطب ومقاساة العذاب.

---

(1) تعمر الخرب بسكناك فيها وتأنس بمقامك بها.

يانفس إنّ حدّ الاتقاء كلمة يجب أن تعرفي معناها ، فحدّ الاتقاء[1] أن تتقي الأشياء الضارة لكِ . وإن شيئين يكون أحدهما ضاراً للآخر فينبغي أن يكونا مختلفين في معناهما . لأن المضرة إنما تكون بالمخالفة ، كما أن المنفعة إنما تكون بالاتفاق . ومن اتقى الأشياء الضارة له كان متقياً بالحقيقة . ومن واصل الأشياء الضارة له واتقى الأشياء النافعة ، فقد صار بالحقيقة غير متق لا لضار ولا لنافع . ويقال ايضاً إنه غير متق إن اتقى ماينفعه وواصل ما يضره . وليس يوجدُ في الموجودات شيء لايكون ضاراً ولا نافعاً . فإن آثرت يانفس المنفعة فواصلي الأشياء الموافقة لك في معانيك . وإن آثرت المضرة فواصلي الأشياء المخالفة لك في معانيك ، وإن آثرت الحيرة والتوهان والاشتراك والشكوك فواصلي الأشياء النافعة والأشياء الضارة جميعاً[2] إذ لاتجدين حالاً من الأحوال غير ما قد رسمته لك . فتيقني يانفس هذه المعاني ، فإن كنت نيرة مضيئة فلا تشاكلي الظُّلَمَة وإن كنت حية ناطقة فلا تشابهي الموتى البكم وإن كنت عاقلة مميزة فلا تشابهي الجهال والعميان . يانفسَ تهدي[3] إلى الشيء النافع لك باتفاقكما في المعنى ، وتهدي إلى الشيء الضار لك باختلافكما في المعنى ، فما كان نافعاً لك فخذيه وما كان ضاراً لك فاطرحيه واحذريه .

يانفس إذا عزمت على النقلة من مسكن أنت ساكنته ، فانتقلي إلى مسكن يكون أشرف من المسكن الأول ليشتد سرورك بنقلتك . فإنه من انتقل من بيت مظلم ضيق خرب وحش إلى بيت نير مضيء رحب آنسٍ ، يوشك أن يبقى مسروراً بنقلته فرحاً بحسن عاقبته .

يا نفس احذري الخطأ في السياسة فإن ثمرة الخطأ العذاب بعينه ؛ لأن الخطأ والزلل لايستثمر منهما إلا خطأ وزللٌ وسوء عاقبة . وإن ثمرة الإصابة وحسن التهدي هي النعيم بعينه لأن الإصابة وحسن التهدي لايستثمر منهما إلا إصابة وهدى وحسن عاقبة .

يا نفس أنه من غرس النخل وأجاد خدمته أكل الرطب والتمر وحمد عاقبته . ومن غرس الصفصاف والعُلَّيْق عدم الثمر وذهبت خدمته وتعبه باطلاً وذم عاقبته . فتهدَّي يانفس في جميع أحوالك إلى أخذ ماهو نافع لك ، وترك ما هو ضار لتكوني من النفوس الموفقة الرشيدة المقترنة بالسعادة الأبدية الدائمة .

---

(1) الاتقاء . افتعال من الوقاية وهي فرط الصيانة وشدة الحرص والاحتراس من المكروه . والمتقي اسم لمن يقي نفسه عما يضره في الآخرة وعن كل مايؤثم من فعل أو ترك ، وعن كل مايشغل عن الحق .

(2) أي جامعة بين النافع والضار .

(3) أي اهتدي لأنه يقال في مضارع اهتدى يهتدي وتهدّى أو هو من تهدّى بمعناه .

الفصل التاسع

يانفس تيقني ما أنا باسطة لك وممثلة. فإني اختبرت هذا العالم وبحثت عنه فوجدت هيولاه على جهة ابتداء لا على معنى اختيار. فكل مالطف وشرف امتاز[1] إلى العلو. وكل ما تكاثف وخشن امتاز إلى أسفل. ثم وجدتُ الحركة الفلكية تقسم هيولى هذا العالم إلى أربعة أصول، وهي النار والهواء والماء والأرض. وإني اعتبرت هذه الأركان الأربعة في حركاتها ومعانيها فوجدتها تتحرك بالطبع حركة هيام وموت، لا حركة عقل وحياة وإني وجدت أشياء كائنة من هذه الأركان ذات حياة ونطق وعقل. فعجبت كيف تكون الأشياء الميتة الجاهلة أصولاً للأشياء الحية العاقلة؟ ثم قلت لعل هذه الأركان إذا امتزجت في بدن الحيوان الناطق أحدثت فيها حياة وعقلاً. ولكن كيف يسوغ في العقل أن يمتزج الميت بالميت فينتج منهما حيٌّ، أو يمتزج جهل بجهل فيكون منهما عقل. فدفعتني الضرورة حينئذ إلى أن أقول: إن هذا الشيء الحي العاقل هو شيء ليس من هيولى هذا العالم، أعني عالمَ الكون والفساد، بل من أشياء طارئة عليه غريبة عنه واردة إليه وصادرة عنه، وإنه من الممتنع أن يكون الموت ينبوع الحياة وأن يكون الجهل ينبوع العقل؟ فينبغي يانفس أن تتيقني أن هذا الشيء الحي العاقل ليس هو من أركان هذا العالم. بل هو شيء آخر غيره فابحثي عنه لتعرفيه واستشفي حاله لتختبريه فبذلك تسعدين وتستكملين علماً وكمالاً.

يانفس إن من أصعب الأشياء وأشدها امتناعاً أن تعمل صنعة[2] الصياغة بأداة الفلاحة، أو صنعه النجارة بإداة الخياطة. ولكل صناعة أداة لن يستوي عملها إلا بها لابغيرها. وإذا كان الإنسان عارفاً لكل الصنائع أيضاً، مستعملاً كل أدواتها، ينبغي له إذا أراد أن يعمل الخياطة أنْ يرمي من يده أداة الفلاحة ويأخذ للخياطة أداتها التي تصلح لها، وإذا أراد أن يعمل الفلاحة أن يرمي من يده أداة الخياطة ليأخذ للفلاحة أداتها التي تصلح لها. وكذلك يانفس ينبغي لمن أراد أن يدرك العلم وعمل الخير أن يرمي منْ يده أداة الجهل والشر ويأخذ

(1) أي انفصل عن غيره.

(2) الصنعة عمل الصانع والصناعة حرفته، والصنع إيجاد شيء مسبوق وبالتخصص تركيب الصورة في المادة.

للعلم والخير أداتهما التي تصلح لهما. وأداة العلم والخير بغض الدنيا والزهد فيها، وأداة الجهل والشر حب الدنيا والرغبة فيها. فمتى هممت يانفس بطلب العلم والخير فدعي من يدك أداة الشرّ كما قد تقرر في علمك أن الصنعة لاتعمل إلا بأداتها. وخذي للعلم والخير أداتهما فإنه متى عملتهما بأداتهما عملا بغير تعب ولا نصب. ومتى كان بيدك أداة الشر وأردت أن تعملي بها الخير امتنع ذلك عليك وصعب كما امتنع على من كان بيده أداة الفلاحة فأراد أن يعمل بها الصياغة، فطال تعبه ونصبه، ولم يتم له عمله، فتيقني يانفس هذا المعنى واعلمي أن حب الدنيا والخير لايجتمعان في قلب أبداً. كما أن بغض الدنيا والشر لايجتمعان في قلب أبداً. فتصوري يانفس حقيقة هذا وأدركيه ببصر عقلك.

يانفس إنك بالعلم تدركين ببصيرتك اتصالك ببارئك ومناسبتك إياه، فتلتذين بذلك لذة الحق، وإنه بالجهل تعدمين ذلك وتنكرينه، وذلك بعماك وظلمتك وخطئك وزللك وتزعمين بالوهم[1] أنك من الأصناف الخسيسة، وتلحقين بها فتلازمينها وتقترنين بألوان العذاب والآلام.

يانفس ليكن غرضك كله العلم والحق. فإذا اقتنيت ذلك فانهضي وتوكئي على الفكر والتمييز دائماً لتدركي بذلك الإصابة، وتجري عاداتك بها، ويحدّ إليها نظرك[2]، فتفعلين حينئذ فعل المصيب البصير النير المهتدي، وتنسين الجهل والعمل به والخطأ فتتركينه، وتعدمين فعل الجاهل العمي المخطي. فتدبري هذا واعتبريه فإنك باعتبارك إياه تجدين حقيقته.

يانفس إن حد العذاب مشاهدة النفس ما اختلف وتغيّر. وإن حد النعيم مشاهدة النفس ما اتفق ودام وثبت دائماً، والبرهان على ذلك يانفس ماتشاهدينه في عالم الحسّ فإن أشد الناس خوفاً وجزعاً واستكانة[3] من كان في نعيم ثم عدمه وانتقل إلى الشقاء، فهناك مقاساة

---

(1) الوهم في القاموس خطران القلب أو مرجوح طرفي المتردّد فيه. وهو عبارة عما يقع في الحيوان من جنس المعرفة من غير سبب موضوع للعلم. وهو أضعف من الظن. ومعرفتها تتوقف على حكم القلب. وذلك أن القلب إن كان جازماً بحكم الشيء إيجاباً أو سلباً ولم يطابق كان جهلاً، وإن طابق ولم يكن حكمه بدليل كان تقليداً. وإن كان بدليل موجب عقلي أو حسي أو مركب منهما كان علماً. وإن لم يكن جازماً. فإن استوى الطرفان كان شكاً، وإلاّ كان الراجح ظناً والمرجوح وهماً. وكثيراً مايستعمل الوهم في الظن الفاسد استعمال العلم في الظن الغالب. والفرق بين الموهوم والمتوقع. أن الموهوم نادر الوقوع. والمتوقع كثير الوقوع.

(2) من أحدّ إليه النظر إذا بالغ في النظر إليه.

(3) أي ذلاً ونجعاً.

الاختلاف والتغيّر. وإن إنساناً نشأ في العذاب واعتاده فهو لايعرف سواه ولن يلقى جزعاً خائفاً كالذي كان في النعيم وانتقل إلى الشقاء. فقد تبين يانفس أن العذاب هو الاختلاف والتغير وأن النعيم هو الوحدة[1] والاتفاق الدائم. فإن أردت يانفس الراحة من العذاب فانتقلي من عالم الاختلاف والتغير إلى عالم الوحدة والدوام والبقاء.

يانفس أن التجار لايظهرون بضائعهم ويزينونها لتراها العميان لكن ليراها ذوو الأبصار الصحيحة. وكذلك القصاص والمتكلمون إنما يتكلمون على قوارع الطريق لاتسمعهم الصمّ وإنما ليسمعهم ذوو الآذان السامعة الصحيحة. وكذلك الحكماء لاينطقون بالحكمة ويشيرون إلى المعاني السامية للنفوس السالكة في رتبة الموت، وإنما يَؤمّون النفوس السالكة في رتبة الحياة. وهي نفوس راغبة في المعاني وواردة إليها. لكن تلك النفوس السالكة في رتبة الموت هي نفوس غير راغبة في المعاني وصادرة عنها، وزاهدة فيها. فتأملي يانفس هذا المعنى واعلمي أنه شتان بين الوارد والصادر وبين الراغب والزاهد.

يا نفس إن كرهت العقاب فاتقي الزلل واحذريه، وتجنبي الخطأ واطرحيه. وإنْ آثرت الثواب فتهدّي إلى الإصابة، واعلمي أن مقاصد النفس في جميع معانيها تكون على حالين هما الخطأ والإصابة، وأنه لن يخلو الخطأ من ثمر العقاب والخسران، ولن تخلو الإصابة من ثمر الثواب والربح. فإنْ لم يكن ذلك كذلك يكن الخطأ ثمرة الثواب. والإصابة ثمرها العقاب وهذا مالايسوغ في العقل ولايوجد في مشاهدة الحس. فقد وجب ضرورة أن يكون الخطأ ثمره العقاب بالحقيقة، وأن تكون الإصابة ثمرها الثواب.

يانفس إنك بانضيافك إلى العقل، يقوى ضَوْءُك فتدركين الإصابة ببصرك. وبانحرافك عن العقل وانضيافك إلى الحس. تعدمين النور العقلي فتظلمين وتضعفين وتعثرين بالخطأ بعماك وظلمتك.

يانفس إن الطبيب لن يأمر العليل أن يأكل ما يضره، فإن أطاعه أصاب وأنتجت له الإصابة البرء والصحة وإنْ عصاه أخطأ وأنتج له الخطأ السقم والألم.

---

(1) الوحدة كون الشيء واحداً أي بحيث لاينقسم. والوحدة أنواع فهي في النوع تسمى مماثلة، وفي الجنس مشاكلة، وفي الكيف مشابهة، وفي الكم مساواة، وفي الوضع موازاة ومحاذاة، وفي الإطراق مطابقة. وفي النسبة مناسبة، وتطلق ويراد بها عدم التجزئة والانقسام.

يانفس إن أردت أن تعرفي حال النفس بعد مفارقتها الجسد فانظري إلى حالها وهي ملازمة له . فإن كانت موافقة للإصابة فإنه بعد مفارقتها الجسد لن تؤديها عادتها بالإصابة إلا إلى الإصابة وحسن العاقبة والثواب ، وإن كانتْ مقارِفَةً للخطأ فإن عادتها لن تؤديها إلا إلى الخطأ . والخطأ ينتج لها العقاب والعمى وسوء المنقلبَ .

الفصل العاشر

يانفس إني لأمثل حالك فيطول عجبي منه . تظهرين بالقول أنك زاهدة[1] في الشقاء والأحزان ، وأنت بالفعل راغبة فيهما وملازمة لهما ومغالبة لأهلمهما عليهما . وتظهرين بالقول أنك راغبة في النعيم والسرور وأنت بالفعل زاهدة فيهما ومنحرفة عن الطريق إليهما . وهذا يانفس فعل مختلف ، والفعل المختلف لايصدر إلا عن فاعل ليس بفرد ولا متوحد بل فيه اشتراك وتركيب ، لأن الشيء الفرد لايفعل إلا فعلاً فرداً لا اختلاف فيه . والشيء المختّلط لايفعل إلا فعلاً مختلطاً . فقد تبين الآن يانفس أنك لم تمحصي من غشك ولم تتهذبي من سوء مكتسباتك التي اكتسبتها في سالفات أدوارك . فقد تَبقَّى فيك جرب وصدأ وهو السبب في اختلاف مايظهر من فعلك . فإن كان الَصدأ فيكَ بالعرض السريع الزوال فبادريه بالجلاء والصقال قبل أن يستحكم في ذاتك . وإن كان هذا الصدأ فيك مستحكماً باقياً . فعودي إلى النار لتسبكي فيها وتخرجي منها صافية محضة فإن المرآة ذات النقب[2] والصدأ الثابت لاينجح فيها الجلاء ولا ينقلع صدؤها إلا بالنار والسبك . فإذا أنت محصت يانفس من جربك وصدئك فحينئذ يتوحد بغير اشتراك ولا نفاق فتكونين إمّا راغبة في الشقاق والأحزان زاهدة في النعيم والسرور بالحقيقة ، وإما راغبة في النعيم والسرور زاهدة في الشقاء والأحزان بالحقيقة . فاعملي يانفس بهذه الوصية لتوفقي للسعادة وترشدي إلى الإصابة فتستثمري جميل الثواب وحسن العاقبة .

يانفس تيقني أولاً أن الموت الطبيعي ليس هو شيئاً غير غيبة النفس عن الجسد ، فإذا تقرر هذا في علمك فتأملي أن الرجل الحكيم العالم العاقل هو حكيم عالم عند حضوره ، وهو حكيم عالم عند مغيبه ، معه تنتقل حكمته وعلمه أينما توجه وأينما سلك . فتنتبهي يانفس لهذا المعنى وتيقني أيضاً بأن غارس شجرة الخير وغارس شجرة الشرّ بينهما بون عظيم واختلاف كبير في نتيجتهما ، لأن شجرة الخير ليس ثمرها إلا خير وشجرة الشر ليس ثمرها إلا

(1) زهد فيه وعنه إذا رغب عنه وتركه .

(2) النقب الجرب أو القطع المتفرقة منه . كناية عن البقع والكلف التي توجد في المرآة القديمة .

شر فإن لم يكن ذلك كذلك فشجرة الخير إذاً ثمرها شر وشجرة الشر ثمرها خير. فإن كان هذا وكانت الشجرة ثمرها غير ما في طبعها، فينبغي لغارس شجرة الكرم أن يستثمر منها البلوط، ولغارس شجرة البلوط أن يستثمر منها العنب، ولسنا نرى شجرةً ثمرها غير ما في طبعها، وغير ما هي معروفة به منذ بدء العالم لأن شجرة الكرم ليس ثمرها إلا عنَبٌ وشجرة البلوط ليس ثمرها إلا بلُّوطٌ، فكيف يكون يانفس غارس شجرة الخير يستثمرَ غير الخير؟ وغارس شجرة الشر يستثمر غير الشر؟ فقد اتضح ضرورة وتبين حساً وعقلاً أنّ الشيء لا يلد إلا من نوعه وشكله، ولا يلد إلا مثله. وإلا فمتى رأيت يانفس حماراً قد أنتج إنساناً؟ وإنساناً ولد فرساً؟ فإن كان يانفس قد اتضح لك هذه المعاني فاطلبي العلم بحقائق الأشياء، وافعلي الخير واغرسي شجرته، لينجلي بصرك فتستثمري من علمك علماً، ومن فعلك الخير خيراً، ومن استبصارك بصيرة ونوراً وهدايةَ، فتسكنين بذلك المحل الأفضل وتستكملين السعادة الدائمة والأفراح الأبدية.

يانفس تمثلي ولو بالوهم مفارقة الحواس الخمس، ثم انظري بعد ذلك هل أنت مدركة شيئاً غير ما كنت مدركته بالحواس، فإن وجدت إدراك شيء غير ما كنت مشاهدة له بالحواس فقد بان رجوعك إلى عقلك وطبعك وبلوغك أربك، وذلك أن العقل إذا أراد إدراك شيء ما أفرده عما سواه وانتزعه مما قارنه، ثم أدركه إدراكاً فرداً بذاته الفردة؛ لأنه كما أن الحس لايدرك شيئاً فرداً؛ فكذلك العقل لايدرك شيئاً مركباً[1]، ولا يعلمه علماً عقلياً يقينياً دون أن يفرد معانيه ويميزها، وينتزع كل جنس منها فيجعله فرداً بذاته، وحينئذ يدرك معانيه كلها على الانفراد. فقد تبين أن الحس الذي هو شيء المركب، يدرك المركباتً. وأن العقل الذي هو الفرد البسيط يدرك الأشياء البسيطة الفردة، فتأملي[2] يانفس كيف أن العقل كلما جرى

(1) المركب هو ماأريد بجزء لفظه الدلالة على جزء معناه. واعلم أن المركب التام المحتمل للصدق والكذب يسمى من حيث اشتماله على الحكم قضية. ومن حيث احتماله للصدق والكذب جزءاً. ومن حيث إفادة الحكم إخباراً. ومن حيث أنه جزء من الدليل مقدمة. ومن حيث يطلب منه الدليل نتيجة. ومن حيث يقع في العلم ويسأل عنه مسألة. والذات واحدة. فاختلاف العبارات باختلاف الاعتبارات. والفرق بين التركيب والتأليف أن التركيب ضم الأشياء مؤتلفة كانت أولا مرتبة الوضع أولا. والتأليف جمع الاشياء المتناسبة. من الألفة وهو حقيقة في الأجسام. ومجاز في الحروف. فالمركب أعم من المؤلف والمؤلف أعم من المرتب والمرتب أعم من المنضد.

(2) كثيراً مايأمر النفس بالتأمل ونحوه فيحسن بنا أن نفيض في مالهم من الاعتبار فيه وفي أمثاله. فالتأمل استعمال الفكر. والتدبر تصرف القلب بالنظر في الدلائل. والأمر بالتدبر بغير فاء للسؤال في المقام وبالفاء يكون بمعنى التقرير والتحقيق لما بعده كذلك تأمل فليتأمل. وقال بعضهم تأمل بلا فاء إشارة

مع التركيب فارق الفردية وفارق أيضاً الإدراك الفردي الذي هو إدراك الحق واللذة بالحق والعلم بالحق. وكلما رجع عنه نحى إلى الوحدة وفارق التركيب، والاشتراك إدراك الأشياء الفردة الأبدية وعدم الأشياء المركبة الزمنية. فقد تبين من هذا الشرح أن حياة النفس في مفارقتها عالم الطبيعة، وأن موتها وطول عذابها في اللبوث فيه.

إلى الجواب القوي، وبالفاء إلى الجواب الضعيف، وفليتأمل إلى الجواب الأضعف، ومعنى تأمل: أن في هذا المحل دقة. ومعنى فتأمل: في هذا المجال أمر زائد على الدقة بتفصيل: ومعنى فليتأمل هكذا مع زيادة بناء على أن كثرة الحروف تدل على كثرة المعنى. ويحسن بنا التطرقُ إلى اصطلاحات لهم من هذا القبيل كقولهم: (وفيه بحث) معناه أعم من أن يكون في هذا المقام تحقيق أو فساد فيحمل على المناسب للمحل، (وفيه نظر) يستعمل في لزوم الفساد. وإذا كان السؤال أقوى يقال (ولقائل) فجوابه (أقول أو نقول)، أي أقول أنا بإعانة سائر العلماء. وإذا كان ضعيفاً (فإن قيل) وجوابه (أجيب أو يقال) وإذا كان أضعف يقال (لايقال) وجوابه (لأنا نقول) وإذا كان قوياً يقال (فإن قلت) وجوابه (قلنا أو قلت). قيل فإن قلت (بالفاء) سؤال عن القريب (وبالواو) سؤال عن البعيد. (وقيل) فيما فيه اختلاف (والأظهر) فيما قوي الخلاف. (كالأصح) وإلا فالمشهو، (كالصحيح) وفي الجملة يستعمل في الإجمال (وبالجملة) في نتيجة التفصيل، (ومحصل الكلام) إجمال بعد تفصيل، (وحاصل الكلام) تفصيل بعد إجمال، (وفيه مافيه) أي تأمل فيه حتى يحصل مافيه أو مافيه أو ماثبت فيه من الخلل والضعف حاصل فيه.

الفصل الحادي عشر

يا نفس إن هذا عالَم الطبيعة قد وردته واختبرته. فهل اختبرت منه شيئاً غير مبصرات موحشة[1]، ومسموعات مفزعة، وأطعمة مضجرة مؤلمة، وروائح كريهة منتنة، وملموسات نجسة دنسة. فلما وردت إلى هذه الأشياء اغتبطت بها إعجاباً وهوى وعشقاً وجوىً. ونسيت معانيك الذاتية الشريفة فلما عرفت خطأك وزللك أردت أن تشركي معك في خطئك غيرك وتحيلي الذنب على سواك. هيهات يانفس ليس الذنب إلا للذي أذنب وجنى، وليس الخطأ إلا للذي أذنب وجنى وليس الخطأ ألا للذي خطئ. فتلافي يانفس خطأك وزللك فإنك كما وقعت فيما تكرهين بهواك وشهوتك، فكذلك تخلصي منه بهواك وشهوتك.

يانفس إن كل مكروه أصابك وأنت في عالم الكون فأيقني[2] أن سببه وأصله هو من قبلك ومن حيث خطؤك وزللك. ومتى تذكرت ذلك ذكرته وعرفته. ومتى ورد عليك وارد من المكاره ولم تعرفي سببه وأصله فلا تحيليه على غيرك. بل اجعلي سببه وأصله خطأك القديم الذي قد نسيته. لأن من دخل دار المصائب وأتاها وأصابته مصيبة فإن ذلك بخطأته إذ أتى دار المصائب فدخلها وقد كان في سعة عن دخولها. وأعظم من هذا كله أنه قد حُذِّر منها فلم يحذر وخُوِّف منها فلم يخف، ونُصِح فلم يقبل واتبع هواه وشهوته.

يا نفس أما كنت وأنت خارج السجن تبصرين الأشياء وتسمعين الأخبار، فلما دخلت إلى السجن خفي عنك كلّه وصرت مسجونة أسيرة تتشوقين إلى خبر تسمعينه. وعلم تدركينه وتبصرينه. فما الذي حملك على دخولك السجن أليس هذا كله بخطئك.

يا نفس قد كنت وأنت في عالم الوحدة غنية مبصرة عالمة، تبصرين العوالم كلها منضدة بين يديك وهي كلها صافية نيرة مضيئة، وفي أسفلها عالم الكون والفساد أسود مظلم وهو يلوح منها كما يلوح الحجر الأسود في الماء الصافي. فَرَاق لك أن تدخليه لتختبريه وتستطلعي

---

(1) الموحشة ذات الوحشة والوحشة الهم والخلوة والانقطاع وبعد القلوب عن المودة والأرض المستوحشة أيضاً.
(2) الإيقان بالشيء هو العلم بحقيقته بعد النظر والاستدلال ولذلك لايوصف الله تعالى باليقين.

طلعة، فلما عزمت على ذلك خرجت عن رتبة الوحدة ونزلت إلى رتبة الاشتراك. ومضيت مع الحركة تطلبين ماهويته فصرت إلى عالم الكون والفساد. وكان مَثَلُك في خروجك من عالم الوحدة ورغبتك وشرهك في عالم المركبات، كالطائر القاصد الفخ المنصوب ليسلبه حبةً فسلبه الفخ المنصوب مهجته. أو كالسمكة التي في الماء أرادت أن تبلع طعم الصياد فبلعها الصياد. فأنت يانفس شابهت بنورك وصفائك عالم الظلمة ومازجته فغشي نورك وأظلمك وأعماك. وأخفى عنك جميعَ معلوماتك وماكنت تبصرينه. وبقيت أسيرة رهينة. يانفس هذا كله بخطئك القديم ولكن متى آثرت الرجوع يانفس فاقصدي الأشياء الضارة لك التي وجدت في الطبيعة فانسلخي عنها يانفس، وانقي منها فإن نقاك منها هو سبب خلاصك ورجوعك. وإني لأجمع لك هذه الأشياء[1] كلها في معنى واحد ليسهل عليك علمها وهو التلذذ الجسداني فكل ما وجدته لذيذاً بالجسد فاتركيه واحذريه. وكل ماوجدته لذيذاً بالعقل فخذيه واستعمليه.

يانفس إن النار تطفأ ونار الشهوة لاتطفأ، والأوجاع تعرض للبدن فتزول ويستراح منها، وأوجاع الشهوة لايستراح منها. إلا أن يداويها العقل ودواؤها تركها، واقتناء الصبر عنها لأن حياة الشهوة مواصلتها وموتها مقاطعتها والصبر عنها. وينبغي يانفس أن تعلمي أن شهوات الدنيا ليست كلها في المأكل والمشرب، بل فيها ماهو خارج عن ذلك. ولكن شهوة المأكل والمشرب أضرها، وذلك أن الجسد لايشتهي الأشربة إلا بعد أن يشبع، ولايشتهي الزنا إلا بعد أن يشبع، وكذلك الكسوة وجميع المقتنيات الحاملة للنفس على ركوب المهالك والمخاوف المخرجة لها إلى الضعة والخساسة والدناءة.

يانفس إني قد بصرتك فلا تتعامي، وقد صوبتك فلا تتخبطي فتعظم، حسرتك ويتضاعف عذابك باتباعك هواك وشهواتك.

يانفس الأعمى إذا مشى ووقع في جب كان معذوراً عند نفسه وعند غيره. فأما المبصر إذا أتى جباً وهو يبصره فألقى نفسه فيه بهواه وشهواته فأي عذر له عند نفسه وعند غيره؟

يانفس ما أعظم حسرة الواقع في المكروه بعلم وبصيرة. وما أشد عذابه. ومعنى شدة عذابه علمه ومعرفته وفطنته لما فعل بنفسه فخذي يانفس هذه الوصايا واعلمي بها توفقي للسعادة وتفوزي بالنجاة.

---

(1) أي الضارة لك.

يانفس إنّ من عف عن شهوات الدنيا . عفت مصائب الدنيا عنه وخرج من الدنيا سالماً رابحاً وربحه قربه من الله . ومن أسرع إلى شهوات الدنيا أسرعت مصائب الدنيا إليه . وخرج من الدنيا سقيماً خاسراً وخسرانه بعده من الله . يانفس بهذا الضرب من التجارة اتَّجري وبمثل هذه المعاني تدبري ، لتفوزي بحسن التوفيق والسداد ويجذبك النور ولتهتدي إلى سبيلِ الرشاد .

الفصل الثاني عشر

يانفس إن من غرس شجرة الصبر أثمرت له ثمر الظفر وفاز بالغلبة ، وإن أسعد السعداء من سما إلى شيء فظفر به ومن غرس شجرة الفشل أثمرت له الحرمان وإنَّ أشقى الأشقياء من سما إلى شيء فحرمه .

يانفس اقترني في مطلوباتك كلها بالصبر فإن الصبر خلق النفس الشريفة وهو الذي به يكتسب الخير وتدرك السعادة . وإني ممثل لك معاني عديدة فتحققي بها إن النفس هي الطالب وإن الخير هو المطلوب والصبر هو المعنى الذي ينبغي أن يظفر به الطالب . والتوفيق هو المعنى الذي هو الخير والجود . فإذا اتصل الفعل من الطالب بالفعل من المطلوب وجبت الوصلة وتم الانضياف . وإنما مثلت لك هذا المعنى لتعلمي أنه إنما تنال الأشياء كلها بالصبر وأن الخير لاينال إلا بالصبر .

يا نفس إن مرارة الصبر تثمر الحلاوة والراحة . وحلاوة الفشل تثمر ثمر المرارة والتعب .

يانفس اقتني الصبر والتعب في عبادة الله الواحد ، فهو هناءٌ لعيشك وغناءٌ[1] لراحتك وصفاء لحياتك ، واحذري أن يحوطك الملل والضجر فتخرجي عن حد الواحدانية ، وتكثر آلهتك ، ومن كثرت آلهته كثرت خدمته واشتد تعبه ونصبه وتوافرت همومه وتشعثت[2] نفسه فهلك .

يانفس إن الضجر والملل مقرونان بالنفوس البهيمية ، والصبر والثبات مقرونان بالنفوس التامة الإنسانية . فلا يخرجك الضجر والملل عن حد الصبر فتسيري إلى الآلهة ثم تنقسمي وتشقي بعبادتهم وخدمتهم فتضجعي وتنحلي وينطفئ نورك وتضعف قوتك ويذهب شرفك ويزول سلطانك وهذا هو موتك فاحذريه وانحرفي عنه وعن معانيه .

يانفس ينبغي أن تقفي على معرفة ذاتك وما لها من المعاني والصور ولاتتوهمي أن خارج ذاتك شيئاً مما يجب أن تطلبي علمه . بل معلوماتك يكون معه الشيء وينسى أنه معه

---

(1) الغنى الكفاية واليسار وقال بعضهم غنى الدنيا وهو الكفاية مقصور . وغناء الآخرة وهو السلامة ممدود .
(2) أي تفرقت وفي نسخة وتشجبت نفسه فهلك في وجوه الشجب .

فيطلبه خارجاً عن ذاته ويتوه ثم يأتيه كلها هي معك وفيك فلا تتوهمي بطلبك ما هو معك فإن كثيراً من الناس يكون معه الشيء وينسى أنه معه فيطلبه خارجاً عن ذاته ويتوه ثم يأتيه فكره ويذكره فيجده مع نفسه لا خارجاً عنها. فتيقني يانفس أن لا شيء[1] من الأشياء المعلومة وجوداً دائماً أبدياً خارج عنك البتة، وإنما الشيء الخارج عنك هو ما امتاز من كدرك وثقلك في الابتداء الأول، وهو الشيء القابل للأعراض الجاري مع الكون، ولا شيء آخر يوجد غير هذا ولايخرج عنه البتة. فارجعي يانفس إلى ذاتك واطلبي جميع معلوماتك فيك لا خارجاً عنك. لاتخرجي عن ذاتك وترجعي إلى كدرك وتطلبي علم مافيه فتقعي في تيار الاختلاف وتتلاعب بك الأغراض كما يتلاعب البحر الهائج بما فيه من السفن. ويتم آخر أمرك أن لاتكتسبي منه خيراً ولاتحصلي منه على علم فتحققي هذا القول وتدبريه ولاتنسي الشيء الذي هو معك، وتمضي تطلبينه في موضع آخر. فإن ما ينبغي أن تعلمه النفس هو النفس فلا هو عازب عنها ولا هي تغيبه[2] بل يعرض للحس الذي هو الجسد.

يا نفس إن أداة الصانع إذا خَلَقَت[3] أو إذا كانت مُثَلَّمة ولا أحد يستخدمها. فما أقل منفعتها له وجدواها عليه. ولَتركُهَا أولى من استعمالها، واستبدالها أصلح من الشح بها والحرص عليها.

يانفس إنه ليجب على الصانع متى وجد الأداة المحمودة أن يعمل بها ويكد ويحرص على الاكتساب وجمع الأموال. وإن الصانع إذا كثر ماله استغنى عن العمل. وإذا استغنى عن العمل باع الأداة بالثمن البخس واستراح من الكد والتعب.

يانفس تلطفي في اتخاذ الأداة المحمودة وإذا وجدتها فأحسني سياستها بالعدل. واستأنفي الكد والاكتساب والاقتناء. فإذا نلت الغنى وكثر مالك فينبغي أن تبيعي أداتك بأوكس ثمن وفوزي بما اكتسبته وانصرفي من محل الاكتساب.

---

(1) الشيء لغة مايصح أن يعلم ويخبر عنه فيشمل الموجود والمعدوم ممكناً أو محالاً واصطلاحاً، خاص بالموجود خارجياً كان أو ذهنياً، والشيء أعم العام كما أن الله أخص الخاص. وهو مذكر يطلق على المذكر والمؤنث. ويقع على الواجب والأمكن والممتنع وهو في الأصل مصدر شاء.

(2) أي أن النفس ليست هي التي تبعده وتواريه بل الجسد يحول أحياناً بينهما ويكون السبب في ذلك.

(3) من خلق الثوب إذا بلي.

يانفس افهمي هذا بصحة منك فإن العليل[1] لايذوق حلاوة العسل ولايجد له لذة، بل الصحيح هو الذي يدرك لذته ويذوق حلاوته، وكذلك ليس يلتذ بكلام الحق إلا من يدرك ذوقه ويفطن لمعانيه بصحة من عقله. فأما العقل المريض بالجهل والنسيان والهم والحزن والحذر والخوف[2]، وهذه هي الأمراض العقلية، فإن مرضه يعوقه ويمنعه عن ذوق الكلام والفطنة لمعانيه. فتمثلي يانفس هذه الوصية وأيقني بحقيقتها.

(1) وفي بعض النسخ فإن العليل بالمرة الصفراء.

(2) الخوف غم يلحق لتوقع مكروه وكذا الهم وأما الحزن فهو غم يلحق من فوات نافع أو حصول ضار. والخوف علة المتوقع والحزن علة الواقع. والخشية أشد من الخوف. ولذلك خصت الخشية بالله، في قوله ويخشون ربهم. والخشية تكون من عظم المخشي وإن كان قوياً. والخوف يكون من ضعف الخائف إن كان المخوف أمراً يسيراً. وأصل الخشية خوف مع تعظيم، ولذلك خص بها العلماء في قوله .إنما يخشى الله من عباده العلماء. وإذا قلت الشيء مخوف كان إخباراً عما حصل منه الخوف كقولك الطريق مخوف. وإذا قلت الشيء مخيف. كان إخباراً عما يتولد منه الخوف كقولك مريض مخيف أي يتولد الخوف لمن شاهده. والحذر شدة الخوف. والرهبة خوف معه تحرز. والرعب الفزع.

الفصل الثالث عشر

يانفس ينبغي أن تعلمي وتتيقني أن حد اللذة بالحقيقة هو مالا يمل. ومتى طلبت النفس في عالم الكون لذة فقد سمت إلى غير موجود وطلبت ما لايمكن. والدليل البين على أن جميع ما تشافهه النفس في هذه الدنيا مملول. والمملول لاينبغي أن يسمى لذة إذ كان حد اللذة ما لايمل. أو ما تنظرين يانفس إلى أكثر أهل الدنيا كيف يبحثون في طلب اللذات ويتوهمون أنها موجودة في الدنيا، وليست هي بموجودة. فتيقني يانفس أن الناس يطلبون في الدنيا ما ليس فيها.

يانفس تأملي نفوس الناس كيف ترد إلى معاني الدنيا كلها فتشافهها مشافهة ذائق مختبر ثم تصد عنها صدود ملول ضجر. وليس أحد في هذه الدنيا براض بمنزلته فيها بل ملول ضجر منها. وهذا من أوضح الدلائل على أن النفوس إنما تبحث في هذا العالم وتطلب منزلة توازي شرفها، وتضاهي معانيها، فلا تصيب ذلك. فهي مقبلة مدبرة في طلب ماترتضيه، ومتى حصل في النفس حقيقة هذا الشرح اقتنت اليأس وأزالت الطمع من مطالبة اللذات، وهي في عالم الكون والفساد.

يانفس كيف يوجد في الدنيا لذة وكل رتبة تقف النفس عليها في الدنيا تحتاج إلى الصبر والصبر مر المذاق. وكل شيء إذا خالطته المرارة يصير مراً. ومتى نفرت النفس من الصبر والتأدب به ثم ذهبت تطلب المعنى المرضي لها، حصلت على التوهان. تذوق هذا وتتركه. وتواصل هذا ثم تقطعه. وترغب في هذا ثم ترفضه. وهذا معنى قبيح وفعل خسيس وخلق دنيء. ومتى تأدبت النفس بالصبر على أي رتبة كانت من رتب الدنيا فقد اقترنت بها مرارة الصبر. وقد حصل من هذا الشرح كله، إمّا أن يكون الإنسان تائهاً ذوّاقاً[1] فيحصل على رتبة الخساسة والدناءة. وإمّا أن يرضى برتبة صالحة من رتب الدنيا مع الصبر عليها فيحصل على مقاساة المرارة مدة مقامه في عالم الطبيعة. ولأكل المرارة مع اكتساب الشرف والعز. خير من أكل الحلاوة مع اكتساب الخساسة والدناءة.

يانفس إن غرض الحق ومقتضى العقل أن تكون الأشياء على ترتيبها الطبيعي ثابتة. فإذا

---

(1) الذواق الكثير الذوق.

كانت كذلك فما أحسنها وأجملها وأعدلها وذلك كالصانع الذي ينبغي له أن يكون هو الـذي يستعمل الأداة لا الأداة مستعملة لـه. والفـارس الـذي ينبغـي لـه أن يدبـر الفـرس ويجريـه ويروضه لا أن يكون الفرس يدبر الفارس. وكالسلطان الذي من الواجب أن يكون هـو المدبر للرعية والسائس لها لا أن تكون الرعية هي تدبـره وتسوسـه. فـإذا جـرت هـذه الأشياء على كيانها الطبيعي ظهر الحق والعـدل الحسنان الجميـلان، وإذا انعكسـت بـالضد والخلاف ظهـر الشر والجور القبيحان الرديئان.

يانفس إذا كان الجسـد بـالنفس يحيـا وبهـا يبصـر ويسـمع ويشـم ويـذوق ويلمـس. فقـد وجـب ضـرورة الإقـرار بـأن الجسـد آلـة النفـس، ومـن القبيـح أن تكـون الآلـة تدبـر الصـانع وتستعبده. فإن الصانع هو المدير لا الآلة، لأن الجاهل إذا اتخـذ آلـة اشـتغل بزينتهـا وتزويقهـا وترفيهها عن استعمالها والاكتساب بها. ثـم يحصـل علـى عبادتـه لهـا. فحينئذ ينقلـب الحق باطلاً ويصير العـدل جـوراً، والحسـن الجميـل قبيحـاً سـمجاً. إذ يصير الحي البّصير السميع العاقل الشريف عبداً للميت الأعمى الجاهل الأصم الخسيس.

يـا نفـس إن زمانـاً تدبـر فيـه الرعيـة السـلطة لزمـان معكـوس وقـد وجبـت الهلكـة علـى الجميع. وإذا وجب أن يكون الفرس يدبر الفارس فقد وجـب هلاكهمـا جميعـاً. وإذا وجـب أن الجسد يدبر النفس فقد هلكا جميعاً.

يا نفس إن السياسة هي حالةٌ لاتصلح للمخلوق البتة. وإنما هي محنة يمتحن بها الناس. فإذا امتحن بهـا العـاقل الرشيد تبـين مـن نفسـه الضعـف عـن القيـام بتدبيرهـا فيخضـع ويـذل ويرغب إلى سائس الكل، وعلته الفائضة بالخير كله على الطالبين إليه، فيكسب نفسه حينئـذ بانضيافها إلـى الخير خيراً وبصيرةً ونـوراً. فتهتـدي إلـى حسـن السيرة، والقصـد إلـى وجـهٍ الإصابة والنجاة من الأخطاء بحسن التوفيق. فتكون النفس تشرب من ينبوع الخير والعدل ثم تفيض بما فيها على من تشتمله سياستها، فلذلك يكون ظهور العدل والخير وسـعادة السـائس والمسوس. وأما الجاهل فإنه إذا امتحن بالسياسة سره ذلـك وأبهجه ورأى في قوتـه وطبعـه مـا يقوم بها وبأضعافها. فحينئذ يتهاون بتدبيرها وينصرف بكل قوته إلى التلذذ والتنعـم المثمريـن الشر والجور. ثم تفيض بما فيّها على من هو تحت سياستها. فيكون بذلك ظهور الشر والجـور وهلكة السائس والمسوس.

يا نفس إذا دخلت عالم الأحلام فلا تغتبطي بـه ولا بما تشاهدين فيه. وإلا صرت عند اليقظة ضحكة وسخريةَ وعبرة.

يا نفس إن عالم الكون والفساد هو عالم الأحلام فينبغي أن تتمثلي أن النائم الحالم فيه هو نائم نوماً ثانياً، وحالم حلماً ثانياً. فإذا استيقظ فإنما هو نائم انتبه من نومه العرضي ورجع إلى نومه الطبيعي. كرجل أبيض اللون بالطبع عرض له الخجل فاحمر لونه ثم رجع بسرعة إلى لونه الأول الطبيعي، وكلا اللونين يؤول إلى زوال. غير أن حمرة الخجل عرض سريع الزوال ويسمى حالاً. واللون الطبيعي هو عرض ثابت يزول بزوال الطبع. فعلى هذا القياس النائم الحالم في عالم الطبيعة إنما هو نائم ينام وحالم يحلم، أعني أنه في الدنيا نائم بالعرَض الثابت. ثم يعرض له النوم بالعرَض غير الثابت فكأنه اكتسب نوماً على نوم. فإذا انتبه فإنما انتبه من نوم إلى نوم.

يا نفس تيقني هذا واعلمي أنما أنت في هذه الدنيا راقدة وأن جميع ما أنت مشاهدة له فيها إنما هو أحلام. وكما أنه يعرض لك النوم الذي هو العرض السريع الزوال فتنامين وتحلمين، فإذا زال ذلك العرض انسلخت من جميع الأشياء التي كنت مشاهدة لها انسلاخاً كلياً، ورجعت إلى مشاهدة الأشياء الطبيعية التي هي العرض الثابت، والتي أنت بها أشد تحقيقاً منك بتلك الأشياء التي هي بالعرض السريع الزوال، وكذلك إذا استيقظت من نوك الطبيعي الذي هو الدنيا ورجعت إلى اليقظة الحقيقية التي هي عالم العقل فإنما ترجَعين إلى معادن وأشياء أنت بها أشد تحقيقاً منك لما كنت مشاهدة له في رقدتك في عالم الطبيعة، ويكون معناك في هذا كمعناك الذي كان يعرض لك وأنت في الدنيا أعني أحلامك فيها.

الفصل الرابع عشر

يانفس كما أن أحلام الدنيا ليست بشيء حقيقي بالإضافة إلى أسباب الدنيا، وكذلك أسباب الدنيا ليست بشيء حقيقي إلى عالم العقل الذي هو الحق. وإنما شرحت لك يانفس هذه المعاني لكي لاتغتبطي بما تشاهدين في عالم الحس، فتكوني كالذي نام فرأى في منامه أشياء حسنة مبهمة، فأنس بها وركن إليها، فلما استيقظ حزن وجزع على مفارقته تلك الأشياء التي رآها في نومه نعماً ونعيماً. حتى إنه لضعف عقله وقلة علمه يعود إلى النوم تشوقاً منه إلى الأشياء التي رآها في نومه، فإذا كان هذا يانفس قد اتضح لك فاعلمي أن النفس إذا كانت في عالم الكون مشاهدة لنعيمه ولذاته وسروره، فإنها عندما تفارقه تتألم لذلك أشد الألم وتجزع له أشد الجزع، وبالحقيقة إنما تعود إليه لتطلب تلك الأشياء التي كانت تشاهدها شوقاً إليها واغتباطاً بها، ومتى كانت النفس في عالم الكون مشاهدة لبؤسه وأحزانه وضيقه فإنها عندما تفارقه تجد لمفارقته أعظم اللذة وأكمل السرور والراحة، وبالحقيقة أنه لو رأى نائم في منامه كأنه مشاهد أشياء وحشة سمجة مؤذية ثم استيقظ من نومه ذلك وجد عند يظقته أعظم اللذة وأتم السرور والراحة لمفارقته تلك الأشياء التي شاهدها في منامه ويكره أن يعود إلى النوم استيحاشاً وجزعاً من تلك المكاره التي رآها.

يانفس إذا أعطتك الدنيا شيئاً فلا تأخذيه منها. فإنها إنما تطربك لتضحكك قليلاً وتبكيك كثيراً. وهذا الفعل منها إنما هو بالطبع لابالتكلف، ولن يقدر الشيء الطبيعي أن يكون غير ماهو. فأما النفس فإنها حية عاقلة مميزة، ولها الاستطاعة على أن تنخدع وأن لاتنخدع، فإذا رأت أفعال المخادع لها ثم انحرفت عن خداعه وحذرته، فقد نجت من سوء العاقبة، وإذا قبلت المخادعة والماحلة[1] فإنما ذلك بهواها وشهوتها. وكما أنه يمكنها أن تقبل الخداع، فكذلك يمكنها أن لاتقبل ذلك. فهي مالكة الاستطاعة إن شاءت تحذّرت من الهلكة، وإن شاءت سلكتها. فانظري يانفس إلى هذه الوصايا وتدبري بها لتفوزي بالنجاة سائرةً إلى دار البقاء ومحل النور والصفاء مع السادة والأخيار والأئمة الأبرار.

---

(1) أي المكر والمكايد.

يانفس خذي من الأشياء ماعرفته وعرفه الجميع. وذري ماأنكرته وأنكره الجميع، وقد عرفت أنت وعرف الجميع أن النار حارة محرقة مضيئة، وأن الماء البارد رطب سيال يروي من العطش. وقد عرفت أن كل الشيء أكثر من جزئه، وأن المستوي غير المعوج. وقد عرفت أن الطوبى هو الحظ الشريف السني. وأن الويل هو الحظ الخسيس الدني. وقد علمت أن المرغوب فيه حبيب الراغب، وأن المزهود فيه بغيض الزاهد. وإذا كان فراق الحبيب شراً ومصيبةً، ففراق البغيض خير ونعمة، وإن كانت الدنيا مفارقة بالحقيقة وبغير شك فقد وجب الويل لمحبيها والطوبى لمن يبغضها.

يانفس انفصلي عن الطبيعة بوهمك، ثم انظري هل تجدين شيئاً غير ذاتك. فإذا نعَتِّ ذاتك فقولي هي الجوهر النوري المصور المتصور المحرك المتحرك الحي العاقل المميز الهاجس[1] بمعاني مراداته وإرادته ذو الأخلاق الشريفة التي هي العدل والحكمة والجود والرحمة. فإذا نعتِّ ذاتك بهذه المعاني. وكانت لك ذات طبعية فقد لزمك الإقرار بأنك الشيء الحي اللطيف المدبر، وإن سموت إلى نعت غيرك. فهل تجدين له نعتاً ذاتياً أو صفة دون أن تستعيري له النعوت والصفات فتنعتينه بالمعَاني التي هي لغيره. أفليس قد لزمك الإقرار بأن شيئاً لانعت ذاتي له ولاصفة فهو شيء ميت موضوع للاستعمال بطبعه، أوَ ماينبغي أن تفهمي أن النفس إنما تفعل في الطبيعة ماي فعله العقل فيها، وإنما العقل يفعل في النفس معالي ماتفعله العلة الأولى فيه. فمتى تمثلت يانفس هذا المعنى الموجود في الحس وجدته أنه الترتيب السلطاني السامي بعينيه.

يانفس تأملي هذا المثل فإما أن تضحكي منه تعجيباً أن تعتبري وتوجسي منه مخافة، وهو أن طائرين من نوع واحد ربطا معاً في رباط واحد وتركا فيه فعظم عذابهما جميعاً وبعدت الراحة عنهما فكان فرح كل واحد منهما وراحته انفصاله عن الآخر، فإذا كان طائران من نوع واحد وشكل واحد، ربطا جميعاً فأعقبهما الربط شدةً وأذاقهما أنواع العذاب فكيف إذا ربطت أشياء مختلفة في الشكل والمعنى، كحمل ربط بذئب، أو ثور ربط بسبع، أو حي ربط بميت أم هل يكون أشقى من عالم ربط بجاهل. يانفس إن كانت راحة الحمل أن ينحل من ربطه بالذئب، وراحة الثور أن ينحل من ربطه بالسبع، فإنَّ راحة الحي أن ينحل من ربطه بالميت، وراحة العالم أن ينحل من ربطه بالجاهل. فإن كنت يانفس تقرين بحقيقة هذه المعاني فقد انجلت الغشاوة عن بصرك. وإن كنت منكرة لذلك فاستعملي الأدوية المزيلة

(1) أي المحدث نفسه.

العمى عن الأبصار، والأخلاق المخرجة القلوب من الظلمات إلى النور.

يانفس تأملي جوهرك واعتبريه واعلمي أن جوهر النفس جوهر عالي الشأن رفيع الشرف لمناسبتها كل العوالم وحلولها بكل محل. وإنها تنسب في بعض الأحيان إلى عالم الطبيعة فتكون إنسانية مشاهدة المحسوسات مشافهة المآكل والمشارب وجميع معاني الطبيعة، وتارة تنسب إلى عالمها الخاص بها فتكون نفساً حيةً حساسة مستعملة الحركة، ذات بحث وتأمل واختيار وإرادة فهذه المعاني هي معاني النفس وهي الحياة المنبثة في جميع مااحتوى عليه ملكوت النفس، وتارة تنسب إلى عالم العقل فتكون منتزعة الصور عن الهيولى، مدركة للبسائط الأولى مصورة مميزة عاقلة لجميع المعاني الفردة البسيطة، وتارة تنسب إلى عالم اللاهوت، فتكون بالغة الخير والجود مرة بهما خلْواً[1] من الشر والجور ناهية عنهما، حكيمة الأفعال متقنة الأعمال. ومن أوضح الدلائل على أن النفس تناسب العلة الأولى ماهو موجود في خلقها من أنها تسمو إلى الإحاطة بجميع الأشياء التي يحتوي عليها الملكوت الأعظم، فإنها لن تلفى مستقرةً راضيةً كل الرضى دون أن تبلغ العالم العقلي بجميع مافيه. فحينئذ تلفى النفس غير طالبة شيئاً مستقرة راضية كل الرضى. ومن استعمل الإقرار في ذاته توجهتْ إليه حقيقة ذلك.

يانفس مايكون اشقى منك حالةً ولاأعظم حسرة. وقد أصبحت في محل الأعاجم. وحيدة فريدة تبثين لهم الشكوى بلفظك فلا يفهمونه ويبثون لك بلفظهم فلا تفهمينه. ومتى قارن الشيء خلافه فهو مهجور موهوق مرهق[2] مشغول عن ذاته بذات غيره.

يانفس ماأعظم حسراتك إذ تنطقين فلا تجدين سامعاً، وتبثين الشكوى فلا تجدين راحماً[3]، فياليت شعري ماذا عزاء من أصبح غريباً عن وطنه، نائياً عن معدته، بعيداً عن أصله ونبعته، وقد أوثقه وأوبقه[4] هواه فشارف استثمار زلَلِه وخطئه، محمولاً على مركب

---

(1) الخلو الخالي والخالية للمذكر والمؤنث والجمع أخلاء.

(2) الموهوق ماجعل في عنقه الوهق وهو حبل في طرفيه أنشوطة يطرح في عنق الدابة والإنسان حتى يؤخذ به. والمرهق اسم مفعول من حملٍ على مالا طاقة فيه، لاقبل.

(3) الرحمة هي حالة وجدانية تعرض غالباً لمن به رقة القلب وتكون مبدأ للانعطاف النفساني الذي هو مبدأ الإحسان. الرحمة هي أن يوصل إليك الإسار. والرأفة أن يدفع عنك المضار. فالرأفة مبالغةفي رحمة مخصوصة وهي رفع المكروه وإزالة الضار.

(4) أوبقه حبسه وأهلكه ويقولون فلان يركب الموبقات أي المهلكات.

الغدر والغرور والشهوة، مقترفاً بمذلة اللهو والتلذذ، ساهياً في طريقه، موقوفاً على عطبه، فليعلم الراكب في لجة البحر في المراكب المزخرفة الركيكة الرديئة عند عطبها وانحلالها أنه إنما صاحب من خذله، واستسلم لمن غرَّه وخدعه. فيالها حسرةً ماأعظمها، حسرة المغرور بحبيب خائن وقرين خاذل.

يانفس من غرس طيِّباً أكل طيِّباً ومن غرس خبيثاً أكل خبيثاً. وإن ثمرة العمل الصالح كأصلها، وثمرة العمل الردي كأصلها. وقليل من العلم مع العمل به أنفع من كثير من العلم مع قلة العمل به. رحم الله من علم وعلَّم. وعمل وقوَّم، ورشد وأرشد وفهم وأفهم ووصل وأوصل، وكان وسيطاً بالحق ناطقاً بالصدق مقترناً بالتوفيق.

من كتاب «مختار الحكم ومحاسن الكلم لأبي الوفاء المبشر بن فاتك»

ـتحقيق الأستاذ عبد الرحمن البدوي ـ

نجد أن المؤلف يميز بين أرميس وهرمس وينقل عنهما مايلي :

حكم أرميس وآدابه

وهو إدريس النبي صلوات الله عليه وسلامه ، وشيء من أخباره :

ولد هرميس الهرامسة بمصر في مدينة منف منها ، وهو باليونانية «أرميس» فقيل : «هرميس» . ومعنى «أرميس» : عطارد . ويسمى أيضاً عليه السلام عند اليونانيين طرميس ، وعند العرب إدريس ، وعند العبرانيين خنوخ ، وهو ابن يرد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم عليهم السلام .

وكان قبل الطوفان الكبير الذي أغرق الدنيا ، وهو الطوفان الأول ، وكان بعده طوفان آخر أغرق أهل مصر فقط ، وكان في بداية أمره تلميذاً لغوثاديمون المصري . وكان غوثاديمون[1] أحد أنبياء اليونانيين والمصريين . وهو أوراني الثاني عندهم ، وإدريس أوراني الثالث عليه السلام . وتفسير اسم غوثاديمون : السعيد الجد .

وخرج هرميس عن مصر ، ودار الأرض كلها ، وعاد إلى مصر ورفعه الله إليه بها . قال الله تعالى : ﴿ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾[2] وذلك بعد اثنتين وثمانين سنة . ودعا الخلائق من أهل سائر الأرض إلى الباري عز وجل باثنين وسبعين لساناً . وآتاه الله الحكمة فكلمهم بلغاتهم المختلفة وعلمهم وأدبهم وبنى لهم مائة وثماني مدن عظام أصغرها الرها[3] ، وكان أول من استخرج علم النجوم ، وأقام لكل إقليم سُنَّةً تليقُ بهم وتقارب آراءهم . وخدمته الملوك

---

(1) غوثاديمون تعبير يوناني وهو يشتقها هنا من غوث (= سعيد ، خير ، جيد) ـ ديمون (= بحث ، قدر ، جد ، إله ، قوة إلهية) .

(2) سورة مريم آية/58 .

(3) الرها : مدينة قديمة في شمالي العراق ، تدعى اليوم «أورفا» وتزعم بعض الروايات أن الذي أنشأها هو نمرود . وفي عهد الساسانيين كان اسمها collirhoé نسبة إلى ينبوع قدس باسم Ateagatis ومن هذا الاسم اشتق الاسم السرياني Ourhai والعربي : الرها ، وفي عهد أنطيوخوس السابع أطلق عليها اسم الصيوخيا . وفي العصر الروماني كانت عاصمة إقليم Osrhoène وكان عليها ولاة باسم أبجر .

وأطاعه أهل الأرض كلها وأهل الجزائر التي في البحار، وخدمه أربعة ملوك، وكل واحد منهم ولي بأمره ـ عليه السلام ـ الأرض كلها: فأولهم إيلاوس وتفسيره الرحيم، والثاني ابنه آوس[1]، والثالث إسقلفيوس[2]، والرابع آمون وهو أبسينوخش.

ودعا إلى دين الله والقول بالتوحيد وعبادة الخالق وتخليص النفوس من العذاب. وحرض على الزهد في الدنيا والعمل بالعدل وطلب الخلاص في الآخرة، وأمرهم بصلوات ذكرها لهم على صفات بينها لهم وصيام في أيام معروفات من كل شهر، والإقدام على الجهاد لأعداء الدين والزّكاة عن الأموال، ومعونة الضعفاء بها. وغلظ عليهم في الطهارة من الجنابة والحيض ومس الموتى، وأمرهم بتحريم أكل الخنازير والحمار والجمل والكلب وغيرها من المآكل. وحرم السكر من كل شيء من المشروبات، وشدد فيه أعظم تشدد، وجعل لهم أعياداً كثيرة في أوقات معروفة، وصلوات فيها وقربانات: منها لدخول الشمس رؤس البروج. ومنها لرؤية الهلال وأوقات القرانات. وكلما صارت الكواكب إلى بيوتها وأشرافها[3] أو ناظرت كواكب أخراً[4]، قربوا قرباناً. والقرابين فيما جاء به ثلاثة أشياء: البخور، والذبائح، والخمر[5]، ويقربون من باكورة الأشياء من الرياحين الورد ومن الحبوب الحنطة والشعير، ومن الفاكهة العنب، ومن الأشربة الخمر[6]. ووعدهم أنه سيأتي بعده عدة أنبياء، وعرفهم أن من صفات النبي المبعوث أن يكون بريئاً من المذمات والآفات كلها، كاملاً في الفضائل الممدوحات كلها، لايقصر عن مسألة يسأل عنها مما في السموات والأرضين، وأن يدل على مافيه الشفاء من كل ألم، وأن يكون مستجاب الدعوة في كل ماطلبه من إنزال الغيث ورفع الآفات وغير ذلك من المطالب، وأن يكون مذهبه ودعوته المذهب الذي يصلح به العالم وتكثر عمارته، ورتب الناس ثلاث طبقات: كهنة وملوكاً ورعية. ومرتبة الكاهن فوق مرتبة الملك، لأن الكاهن يسأل الله في نفسه وملكه ورعيته، وليس للملك أن يسأل الله تعالى في شيء إلا في نفسه ورعيته، وليس للرعية أن تسأل الله شيئاً إلا لأنفسها فقط.

---

(1) ألوس.

(2) أسفلفيوس.

(3) بالفاء في النص.

(4) في النسخ: أخر.

(5) هنا في نسخة كشط، على الكلمة لم يظهر منه شيء، ويلوح أن أحد مالكي هذه النسخة استفظعه فكشطه.

(6) في نسخة كشط، على هذه الكلمة أيضاً.

وكان ـ عليه السلام ـ رجلاً آدم[1] اللون، تام القامة، أجلح حسن الوجه، كث اللحية، مليح التخاطيط، تام الباع، عريض المنكبين، ضخم العظام، قليل اللحم، براق العينين أكحل، متأنياً في كلامه، كثير الصمت، ساكن الأعضاء، إذا مشى أكثر نظره إلى الأرض، كثير الفكرة، به جد وعبسة يحرك ـ إذا تكلم ـ سبابته. وكانت على الأرض اثنين[2] وثمانين سنة، وكان على فص خاتمه الذي يلبسه في كل يوم: «الصبر مع الإيمان بالله يورث الظفر». وعلى فص الخاتم الذي يلبسه في الأعياد: «تمام الفرح بالأعياد الأعمال الصالحة». وعلى فص خاتمه الذي يلبسه إذا صلى على ميت[3]: «الأجل حصاد الأمل، والموت رقيب غير غافل». وعلى المنطقة التي يلبسها دائماً: «النظر في العاقبة يورث سلامة النفس والبدن من الأعراض المؤذية». وعلى المنطقة التي يلبسها في الأعياد: «حفظ الفروض والشريعة تمام الدين وتمام الدين كمال المروءة». وعلى المنطقة التي يلبسها وقت الصلاة على الميت: «من نظر لنفسه فاز، وشفاعته عند ربه أعماله الصالحة».

وانتهت شريعته ـ وهي الملة الحنيفية، وتعرف أيضاً بدين «القيمة» ـ إلى مشارق الأرض ومغاربها، وشمالها وجنوبها، وطبق الأرض بأسرها حتى لم يبق على وجه الأرض آدمي إلا وهو يدين بها. وكانت قبلته إلى حقيقة[4] الجنوب على خط نصف النهار.

---

(1) الآدم: الأسمر

(2) في نسخة اثنتين.

(3) ورد الشطر الأول من هذا النقش في رسالة «نقش خواتيم الحكماء وآدابهم واجتماعاتهم» (مخطوطة في ميونيخ رقم 651 عربي ورقة 13).

(4) في نسخة: الحقيقة.

مختار مواعظ هرمس وآدابه

وهو – عليه السلام – إدريس النبي المثلث بالنبوة والحكمة والملك.

قال: لن يستطيع أحدكم أن يشكر الله عز وجل على نعمه بمثل الإنعام بها على خلقه.

وقال: من أراد بلوغ العلم وصالح العمل فليترك من يده أداة الجهل وسيّئ العمل، كما أن الصانع الذي يعرف الصنائع كلها إذا أراد الخياطة أخذ آلتها وترك آلة الخياطة: فحب الدنيا وحب الآخرة لايجتمعان في قلبٍ أبداً.

وقال: أيها الإنسان إذا اتقيت ربك وحذرت الطرق المؤدية إلى الشر لم تقع فيه.

وقال: لاتمل مع الهوى وحلاوة الدنيا الصادة لك عن الشغل بمعادك فتكون كالغريق المشتغل عن التدبير لخلاص نفسه بحمل بضاعةٍ ثقيلة قد اغتر بحسنها وهي سبب عطبه.

وقال: خير الدنيا حسرة، وشرها ندم.

وقال: لم يكن البشر ليهتدوا إلى معرفة عظمة الله ـ عزَّ وجلّ ـ لولا أن عرفهم نفسه وهداهم إلى عبادته بالوساطة من أنبيائه وحملة وحية المختارين المصطفين، الناطقين عن روح القدس، المرشدين إلى تقوى الله وسبيل طاعته، الموقفين لنا على حدود أوامر وزواجر نواميسه وسننه والسلوك في مذاهب رضاه المؤدية إلى الحياة الدائمة والنعيم المتصل.

وقال: لا ترفعوا دعاءكم إلى الله بالجهالة ولا بالنيات المدخولة[1]، ولاتعصوه ولاتتعدوا حدوده ونواميسه. ولايجرين أحد منكم في معاملة أخيه إلى مايكره أن يأمل بمثله. واتفقوا وتحابوا وثابروا على الصوم والصلاة جماعةً ببصائر صافية نقية ونيات غير متقسمة ولا مشوبة، وتوادوا على طاعة الله عز وجل والتقوى له، واسعوا للخير واجتهدوا فيه. ولتكن تأديتكم فرائض الله عليكم بالتمام والكمال والخشوع والخضوع من غير عجب ولا استكبار. وإياكم والتفاخر والتكاثر، وعليكم بالإخبات والتواضع، لكيما تستثمروا ثمار الخير من أعمالكم.

(1) المدخول: من طرأ على عقله دخل، المهزول، المعيب، والدخل ماداخل الإنسان من فساد في العقل أو الجسم.

وقال: ابتعدوا عن مخالطة الخونة والفسقة ومبتغي الضلال ومقابح الأعمال.

وقال: لاتحلفوا كاذبين، ولاتهجموا على الله باليمين، واعتمدوا الصدق حتى يكون «نعم» من قولكم «نعم»، و «لا» «لا». وتورعوا عن تحليف الكذابين بالله جل ذكره: وإياكم أن تشاركوهم في الإثم إذا علمتم منهم الحنث. وليكن الآثر في نفوسكم أن تكلوهم إلى الله عالم السرائر فحسبكم به من حاكم يعدل، وناطق يفصل، يوم يجزي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.

وقال: اعلموا واستيقنوا أن تقوى الله سبحانه هي الحكمة الكبرى والنعمة العظمى والسبب الداعي إلى الخير والفاتح لأبواب الفهم والعقل، لأن الله سبحانه وتعالى لما أحب عباده وهب لهم العقل، واختص أنبياءه ورسله بروح القدس، فكشفوا لهم عن سرائر الديانة وحقائق الحكمة، لينتهوا عن الضلال ويتبعوا الرشاد.

وقال: استشعروا الحكمة واتبعوا الديانة وعَوِّدوا أنفسكم الوقار والسكينة، وتحلَّوا بالآداب الحسنة الجميلة. رووا في أموركم ولاتعجلوا، ولاسيما في مجازاة المسيء، واجعلوا الحياء ملء وجوهكم، والخيفة من الله حَشْوَ جنوبكم، وتدبروا بالصحة والاستقامة، واحذروا عواقب الندامة، فبسلوك هذه السبل تصير النفس حرة معتوقة من رق الجهالة وعبودية الحداثة.

وقال: وإن يكن من أحدكم فرطة[1] وارتكب منكراً فليقلع عنها، ولاتحمله السلامة عنها على المعاودة إليها، بل التوبة والإقلاع عنها، فإنها وإن سترت عليه في الدنيا فإنه يفتضحَ بها يوم الدين ويجازى عنها بعقوبة لارحمة معها.

وقال: تأدبوا بآداب الله التي دعاكم إليها وأمركم بحفظها، واتبعوا الحكماء والعلماء، وخذوا عنهم الفضائل، ولتكن شهواتكم مصروفة إلى طلب الحمد واستحقاق المدح، ولاتصرفوها إلى الشرور ومقابح الأمور.

وقال: وتحرزوا واهربوا من المآكل الخبيثة، واحتشموا المكاسب الدنية، فإنها وإن ملأت أكياسكم من المال فإنها تفرغ قلوبكم من الإيمان، وعودوا نفوسكم إكرام الأخيار من أجل خيرهم، وأما الأشرار فلاسْتكفاف شرهم.

---

(1) فرط منه قول: قاله من غير روية. فرط على فلان: عجل وعاداه وآذاه. والفرطة بادرة الإثم.

وقال: تحفظوا من مخالطة القوم الذين لايهتدون إلى الحق ولايكملون معرفته[1] ولايتعلقون منه بعصمة، غير أنهم يسمعونه سماعاً ولايعقلونه فعالاً. لاتنصبوا لمكاره الناس الحبائل، ولاتبغوا لهم الغوائل، ولاتسعوا لهم في المضرة، فإن ذلك لايخفى، ومتى خفي في الأول لم يخف في المستأنف. وارفعوا أنفسكم عن أن تفعلوا هذا الفعال وتقوموا هذا المقام.

وقال: اجمعوا بين محبة الديانة والحكمة، وقفوا أنفسكم على تعليمها، وإن قدرتم على أن يكون زمان مقامكم في هذه الدنيا مصروفاً بأسره إلى ذلك دون غيره فافعلوا. ومتى كنتم بهذه الصفة سهل عليكم مايصعب على غيركم، وكان مايحصل لكم من شرف الفضيلة أنفع من ذخائر الذهب والفضة وسائر أصناف القنية، إذ كانت عروض الدنيا تفنى ولاتبقى، وثواب الله يبقى ولايفنى.

وقال: ساووا بين باطنكم وظاهركم في المخاطبات بينكم، ولاتكن ألسنتكم مخالفة لضمائركم.

وقال: أطيعوا الله وأطيعوا رؤساءكم واخضعوا لسلطانكم وأكرموا كبراءكم، وبروا مؤدبيكم. ولتغلب عليكم محبة الله والحق. ولاتخالفوا الرأي الصواب ومشاورة النصحاء لتأمنوا الندامة وتسلموا من الملامة.

وقال: ولتكن أفواهكم مملوءة بحمد الله وشكره عند الشدة والرخاء، والفقر والغَناء.

وقال[2]: لاتتفاضلوا إلا بأعمالكم، ولاتجوروا في الحكم، ولاتستعملوا النفاق، ولاتزكوا الخونة، ولاتخونوا الأزكياء. وليكن الفقر مع الاستقامة أحب إليكم من الثروة مع الإثم، فإن المال يفنى وأعمال البر والخير تبقى.

وقال: لاتحبوا كثرة الضحك والهزل، ولاتطنزوا[3] بالناس. وإن ظهرتم من أحد على عاهة أو عورة أو حالة مذمومة فلا تعيبوه ولا تضحكوا منه، بل اعتبروا وارجعوا إلى الله، فإن البشرية تجمعكم وأنتم وهو من طينة واحدة خلقتم، وليس الضاحك منه بآمن من أن يناله في المستأنف. والواجب عليكم إذا رأيتم ذوي البلوى أن ترفعوا نواظركم إلى الله سبحانه

(1) ح: لمعرفته.
(2): ولا.
(3) أي تسخروا منهم.

وتحمدوه على العافية وتسألوه الإعاذة.

وقال: إذا جادلكم المخالفون لكم في الدين بالفظاظة وسوء القول فلا تقابلوهم بمثل ذلك، بل بالرفق والدلالة والهداية ولطف المخاطبة، واعتصموا بالله وقولوا بأجمعكم: اللهم أصلح بريتك وأجْرِ عليهم من قضائك وقدرك مايقودهم إلى الألفة والسلم والإيمان والهدى.

وقال: أكثروا من الصمت في المحافل، ولاتطلقوا ألسنتكم بحضرة المتحفظين عليكم بما عسى أن يجعلوه سلاحاً يضربونكم به. وأقلوا المراء والهذر والفضل من القول.

وقال: حياة النفس في الحكمة، والحكمة في الإيمان بالله عزّ[1] وجلّ في حفظ الدين. أوَ لاتعلمون أن الحكمة والإيمان بالله لايفترقان: إن وجد أحدهما وجد الآخر، وإن عدم عدم؟

وقال: لايمكن أن يكون الإنسان عادلاً وهو غير خائف من الله عز وجل. وإنما يكون العُدُول عدولاً إذا استكثروا من خشية الله، وبذلك يكتسب روح القدس في يوم القيامة ويفتح له أبواب الفردوس وعالم النور، حتى تسبح أنفسهم مع النفوس المطهرة العاملة مع الله سبحانه وتعالى المستحقة للحياة الأبدية.

وقال: احذروا مصاحبة الأشرار والحساد والمشتملين على العداوة والأحقاد والشكاوى والجهال. وإذا هممتم بالخير فقدموا فعله لئلا يعارضكم سواه فتتوقفوا عنه.

وقال: لاتغبطوا الفاسق على أن يواتيه الحظ، فإن استمتاعه قليل وعاقبته الوبال، والله لايصلح أعماله.

وقال: روضوا أولادكم بالتعليم من الصغر وقبل أن يكبروا لئلا يتمردوا عليكم ويميلوا إلى الشرور ويلحقكم الإثم فيهم.

وقال: وليكن همكم مصروفاً إلى الله رب السماء والأرض ـ سبحانه! ـ وارفعوا إليه صلواتكم بصفاء من ضمائركم وعلى غير شوب من خواطركم. واجهدوا أن تناجوه بقلوب سليمة واعتقادات مستقيمة يسمع منكم ويستجب لكم ويبلغكم آمالكم، ويفتح أبواب الرشد في مساعيكم ومتوجهاتكم، ويعصمكم من أفكار السوء، ويحفظ أنفسكم من المكاره،

---

(1) عز وجل: ناقصة في ج.

وينجكم من فخاخ الآثام ويرد عنكم المخاوف[1] ويَكبَّ رؤوس أعدائكم تحت أقدامكم.

وقال: وإذا دخلتم في الصيام فطهروا نفوسكم من كل دنس ونجس، وصوموا لله بقلوب خالصة صافية متنزهة عن الأفكار السيئة والهواجس المنكرة، فإنَّ الله يستنجس القلوب الملطخةَ والنيات المدخولة. ومع صيام أفواهكم من المآكل فلتصم جوارحكم من المآثم، فإن الله لايرضى منكم بأن تصوموا عن المطاعم فقط، ولكن عن[2] المناكير كلها والفواحش بأسرها. ليت شعري! مايغني عنكم الصوم إذا كانت أفعالكم مذمومة وبصائركم مشوبة؟! وواظبوا في صيامكم على بيوت الله، واعمروها بالصلاة والدعاء، ولاتستكثروا بالعبادة ولاتروموا بها السمعة والشهرة، بل استعملوها بالتذلل لله عز[3] وجل والاستكانة له[4]. وإذا أديتم فرائضكم وعيدتم أعيادكم وانقلبتم إلى منازلكم مسرورين بحرمكم وأولادكم فاذكروا أهل الضر والمسكنة، ومدوا أيديكم إليهم بالبر والمواساة.

وقال: نفسوا عن المكروبين، فرّجوا عن المحزونين، افتدوا الأسارى، عالجوا المرضى أكسوا العراة، أضيفوا الغرباء، أطعموا الجياع، أرووا العطاش، عزوا المصاب، خلصوا المظلومين ممن يظلمهم.

وقال: لاتزيدوا المحزونين حزناً، ولاتصيروا مع خطوب زمانهم عوناً عليهم، بل سَلُّوهم وعَزُّوهم وعاونوهم وعاضدوهم وواسوهم بالقول الحسن والفعل الجميل. وإن كانوا ممن أسلفوكم الإساءة فاغتفروا لهم وانتصروا بهم على مانالهم من العقوبة.

وقال: اكتسبوا الأصدقاء، وقدموا الاختبار لهم قبل الاستنامة إليهم، ولاتعجلوا بالثقة بهم قبل المحنة لئلا يلحقكم الندم وتنالكم[5] منهم المضرة.

وقال: من أعطاه الله فضلاً في دنياه فلا يفخرن به على أخيه، ولا يتدخله الكبر والتعاظم، وليكن ذلك الفضل محتقراً في عينه. فإن الله عز وجل خلق الفقراء والأغنياء خلقاً واحداً وهم عنده سواء.

---

(1) كب الاناء: قلبه على رأسه. كب الرجل على وجهه ولوجهه: صرعه.
(2) من.
(3) عز وجل: ناقصة في نسخة.
(4) له: ناقصة في بعض النسخ.
(5) في نسخة: منه.

وقال: لاتبدر[1] منكم عند الغضب كلمة الفحش فإنها تزيدكم العار والمنقصة، وتلحق بكم العيب والهجنة، وتجر عليكم المأثم والعقوبة.

وقال: من كظم غيظه وقيد لفظه منطقه وطهر نفسه ـ فقد غلب الشر كله.

وقال: لاينبغي لطالب الحكمة أن يكون طلبه إياها ورغبته فيها لثواب عليها أو ثمن لها، ولكنه ينبغي أن يكون ذلك منه رغبةً لنفسه فيها لفضلها على كل شيء سواها.

وقال: إذا كانت الحكمة خالصة فهي معدن كل سعادة، ومظهر كل أدب وماحقة كل سوء.

وقال: خير الملوك شرفاً من بدل سنة السوء في مملكته إلى السنة الصالحة، وشرهم من بدل السنة الصالحة الحسنة إلى السنة السوء.

وقال: الدليل عل غريزة الجود السماحةُ عند العُسْرة[2]، وعلى غريزة الورع الصدقُ عند السخط، وعلى غريزة الحلم العفو عند الغضب.

وقال: مَنْ سَرَّهُ مودة الناس إياه ومعونتهم له وحسن القول منهم فيه حقيق بأن يكون على مثل ذلك لهم.

وقال: مَنْ أحب أن يجاد عليه عند فاقته فليجد مما وسع له فيه على أهل الحاجة إليه.

وقال: من فضل العلماء قصد العدل واستفاد العمل الصالح واجتهد في طلب الحكمة وتزين بالأدب، أصاب مايرغب فيه من خير الدنيا والآخرة.

وقال: أعظم الناس مصيبةً في الدنيا والآخرة من لم يكن له عقل ولا حكمة، ولا له في الأدب رغبة.

وقال: من منع ماعنده من العلم والأدب للصالحين قوى بذلك أجهل الأشرار: ومن منع العلم لمستحقه منعه الله منفعته في الدنيا والآخرة.

وقال: لايبخل بالعلم على مستحقيه إلا جاهلٌ قليل العلم، وإن لم يكن قليل العلم فهو دنيء الهمة حَسَّاد.

---

(1) ج: تندر.

(2) العسرة والعسرى والمعسرة: الضيق والشدة.

وقال: من جاد بالعلم والحكمة فهو أيضاً ممن جاد بالمال وأبقى لذكره لأن المال يفنى والعلم يبقى.

وقال: السلامة ألا يعادي المرء أحداً ولاتكون منه إساءةٌ إلى من عاداه وأضرَّ به، بل يحسن إليه ويلين له القول. فإن من أفضل أعمال العلماء ثلاثة أشياء: أن يبدلوا العدو صديقاً. والجاهل عالماً، والفاجر بَرّاً.

وقال: الصالح من خيره خيرٌ لكل واحد ومن يعدُّ خير كل أحد لنفسه خيراً.

وقال: ماأقل منفعة المعرفة مع غلبة الشهوة، وماأكثر قلة المعرفة مع ملك النفس!

وقال: لاتستقل شيئاً من زيادة الله عزّ وجلّ لك فتستنفر بقيتها منك.

وقال: الموت كسهم مرسل وعمرك بقدر مسيره نحوك.

وقال: من أوكد أسباب العلم رحمة الجهال.

وقال: ربما شَرِقَ شاربُ الماء قبل ريه، ومن تجاوز الكفاف لم يغنه الإكثار.

وقال: الساعي كاذبٌ إلى من سعى إليه أو خائنٌ لمن سعى فيه.

وقال: المزاح يفني الهيبة كما تفني النار الحطب.

وقال: الحاسد يكثر وده في اللقاء وبغضه في المغيب، واسمه صديقٌ ومعناه عدوٌ.

وقال: اللحظ طرف الضمير.

وقال: الفرصة سريعة الموت بطيئة العودة.

وقال: لاأشجع من بريء، ولاأجبن من مريب!

وقال: من جرى في عنان أمله عثر بأجله.

وقال: كأن الحاسد إنما خلق ليغتاظ.

وقال: اقتصّ من شهوة خالفتْ عقلك بالخلاف عليها.

وقال: إن الغضب إذا كان له سببٌ يعرف كان الرضا سهلاً، وإذا كان بلا سببٍ كا الرضا صعباً مستعصياً، وذلك لأن المحال غير موجود على كل حال.

وقال: المستشير على طرف النجاح.

وسئل: مااللذي يهد الرجل؟ فقال: الغضب والحسد، وأبلغ منهما الهم.

وسئل: مابال العلماء يأتون أبواب الأغنياء أكثر مما يأتي الأغنياء أبواب العلماء؟ فقال: لمعرفة العلماء بفضل الغنى، ولجهل الأغنياء بفضل العلم، وإن العلم ممدوح بكل لسان، مُتَزيَّن به في كل مكان.

وقال: العقل بغير أدب كالشجرة العاقر، والعقل مع الأدب كالشجرة المثمرة.

وقال: العلم بالخير والشر هو تمام العلم، وبتمام العلم يكون تمام الحكمة، وتمام الحكمة سلامة العاقبة.

وقال: ماينبغي للعالم أن يطلب طاعة غيره وطاعة نفسه ممتنعة عليه.

وقال: من عرف الجهل كان عاقلاً، ومن جهله كان جاهلاً. ومن جهل صورة الحكمة جهل صورة ذاته، ومن جهل ذاته كان بغير ذاته أجهل.

وقال: الناس اثنان: طالب لايجد، وواجد لايكتفي.

وقال: الحكمة إنما هي كالجواهر في الصدف في قعور البحار فلا تنال إلا بالغواصين الحُذَّاق.

وقال: لاتمدح بكمال العقل من لم يكمل عقله[1]، ولا بكمال العلم من لم يكمل علمه.

وقال: الأدب صورة العقل، فحسِّن عقلك ماقدرت.

وقال: العقل لاتدعه عيوبه يفرح بما ظهر من محاسنه.

وقال: النصح بين الملأ تقريع.

وقال: إعادة الاعتذار تذكير للذنب.

وقال: ماعفا عن الذنب من قرع به.

وقال: الجاهل صغير وإن كان شيخاً، والعالم كبير وإن كان حدثاً.

وقال: الدنيا تهين من كانت تكرمه، والأرض تأكل من كانت تطعمه.

---

(1) في نسخة في الصلب: عفته ـ والتصحيح في الهامش ـ وفي نسخة: عفته.

وقال: غضب الجاهل في قوله، وغضب العاقل في فعله.

وقال: الميت يقل الحاسد له، ويكثر الكذاب عليه.

وقال: يكفيك من الحاسد أنه يغتم وقت سرورك.

وسئل عن شيخ له زوجة، فقال: من لايقدر على أن يسبح في البحر كيف يقدر على أن يحمل على عنقه آخر؟!

وقال: اجتنب مصاحبة الكذاب، فإنه مثل السراب يلمع ولاينفع.

وقال: من تجرأ لك تجرأ عليك[1].

وقال: من كثر حقده قل عتابه.

وقال: الحازم من لم يشغله البطر بالنعمة عن العمل للعاقبة، والهم بالحادثة عن الحيلة لدفعها.

وقال: من مدحك بما ليس فيك فلا تأمنه أن يذمك بما ليس فيك.

وقال: الغضب يصدئ العقل حتى لايرى صاحبه حسناً فيفعله، أو قبيحاً فيجتنبه[2].

وقال: من تكلف مالايعنيه فاته مايعنيه.

وقال: عار الفضيحة يكدر لذتها.

وقال: لاتقطع أخاك إلا بعد عجز الحيلة عن استصلاحه، ولاتتبعه بعد القطيعة وقيعة فتسد طريقه عن الرجوع إليك، ولعل التجارب أن ترده عليك وتصلحه لك.

وقال: خير الأصحاب من نسي ذنبك فلم يقرعك به، ومعروفه عندك فلم يمنن به عليك.

وقال: أعط الحق من نفسك، فإن لم تعطه منها كان الحكم خصمك.

وقال: نعمة الجاهل كروضة على مزبلة.

وقال: إخوان السوء كشجرة النار يحرق بعضها بعضاً.

وقال: ربَ كلام جوابه السكوت، ورب عملٍ الكف عنه أفضل، ورب خصومة

---

(1) أي: ماتجرأ على الناس من أجلك وبتحريضك تجرأ عليك أنت.

(2) في نسخة: فيتجنبه.

الإعراض عنها أصوب .

وقال : أفضل ماخلق الله تعالى في هذا العالم الناس ، وأفضل مافي الناس العقل ، وأفضل أمور العقل[1] تدبر صاحبه بالعدل وكف نفسه عن الذنوب .

وقال : الأحمق لايحس بشيء من القبيح ، والجاهل الذي إذا أحس بشيء ظنه غيره ، والجبان الذي يخاف مالايحس به .

وقال : أحمد الأشياء عند أهل السماء والأرض لسان ناطق بالحق والعدل .

وقال : الخير والشر واصلان إلى الناس لامحالة ، فطوبى والويل لمن جرى وصولهما إلى الناس على يديه .

وقال : ينبغي للملوك وذوي السلطان أن لايملكوا ويسلطوا إلا من له رحمة ومودة لكل أحد مثل مايكون عند الأب الرحيم المحب للولد الكريم عليه .

وقال : غاية النفس المنطقية المعرفة الحقيقية ، وغاية فعل القوة الشهوانية المحبة ، وغاية فعل القوة الغضبية السلامة .

وقال : كفى مذنب بالظفر شفيعاً للمذنب إلى الحكيم .

وسئل عن الجود فقال : هو أن تجود بمالك ، وتصون نفسك عن مال غيرك .

وقال : هب ماأنكرت لما عرفت ، واغفر ماأغضبك لما أرضاك .

وقال : أمر الدنيا أقصر من أن تطاع فيها الأحقاد .

وقال : قابل غضبك بحلمك ، وجهلك بعلمك ، ونسيانك بذكرك .

وقال[2] : الحياء في الصبا أجمل من الخوف ، لأن الحياء يدل على العقل والخوف يدل على الرهبة .

وقال : تزود من الخير وأنت مقبل - خيرٌ من أن تتزود منه وأنت مدبر .

وقال لتلميذه فواطيلس : أفهمت ماقلت لك؟ قال نعم . قال : لاأرى عليك أثر الفهم .

---

(1) في نسخة : تدبير .
(2) سيرد هذا القول من بعد منسوباً إلى سولون .

قال كيف ذلك؟ قال: لاأراك مسروراً، والدليل على الفهم السرور.

وقال: من لم يسكن موضعاً فيه سلطان قاهر وقاضٍ عـادل وطبيب عـالم وسوق قـائم ونهر جار فقد ضيع نفسه وأهله وماله وولده.

ووصى بسيلوخيس[1] وهو آمون الملك فقال: أول ماآمرك به تقوى الله عز وجـل وإيثار طاعته، ومن تولى أمر الناس فقد وجـب عليه أن يكـون ذاكـراً ثلاثـة أشياء: أولهـا: أن يـده مطلقة على قوم كثير، والثاني: أن الذين يدُه مطلقـة عليهـم أحـرار لاعبيـد، والثـالث: أن سلطانه إنما يثبت مدة يسيرة. فسبيلك أن تطهر نفسك بحسن النيـة والقـول بـالحق. وإيـاك أن تمهل الحرب والجهاد لمن لايؤمن بالله جل اسـمه ويتبـع سـنتي وشـريعتي لمـا يرغـب[2] إليـه مـن دخولهم في طاعة الله عز وجل. واحذر أن ترغب في أخـذ أموالهـم وتركهـم على طغيـانهم، فإن المال لارغبة فيه إلا من حله[3] ومالله ـ جل اسمه ـ فيه رضاً. واعلم أن الرعيـة تسكن إلى من أحسن إليها، ولاتحسن المملكة إلا بالرعية، فمتى لم تكن للسلطان رعيـة حصـل سـلطان نفسه إذا سلم منهم. وإياك والغفلة عن النظر في أمورهـم وأمـور مملكتـك ثـم نفسـك. وقـدم ماتصلح به آخرتك ينصلح أمر دنياك. وسبيلك إذا لقيت حرباً أن تكون حازم الرأي في جميع أمرك. واحذر الهزيمة فإنها إذا وقعت بعسكر ليـس يشـد حزامـاً سـريعاً[4]. وأكثر الجواسيس لتكون أخبار أعدائك معك وقتاً فوقتاً. واحذر من حيلة تعمل عليك. وإذا أمرتَ بأمر فاسأل عنه بعد ذلك ولاتقصر فيه فيلحقك عن ذلك نقصان الهيبة. وإذا أمرت أن يكتـب لـك كتـاب فاحذر ختمه وإنفاذه دون أن تقرأه أنت، لأن الحيل تقع بالملوك ومـاأنت أول ملـك أهـل لهـذا الأمر. وإياك أن تأنس إلى أحد وتكشف إليـه سرك، بـل يكـون خواصـك ورعيتـك يأنسـون إليك بحسن سياستك لهم. واجعل النوم لك بقدر راحة جسمك، ولاتشغل نفسك إلا بجـد الأشياء ليكون أمرك كله جداً بـلا هـزل وإذا هممـت فـافعل: وإذا ظفـرت فـأبْقِ. وإذا أبقيـت فاحذر. وإياك والغفلة عن الكيمياء العظمى وسياسة أهلها وميل قلوبهم والمسامحة لهم وهم الفلاحون، وإن الكيمياء عمارة الأرض بالزرع والنبـات، فـإن الرعيـة بهـا يسـكنون، والجيـد

(1) منقوطة هكذا في نسخة من النسخ الباقية. وهكذا: ابسيلوخش بسيلوحيس.
(2) أو: ترغب.
(3) أي حلاله.
(4) أو: فسريعاً ـ شد للأمر حزاماً: تدارك الأمر.

منها يكثرون، وبيوت الأعمال منها تعمر، والدولة بها تثبت. فليس سبيلك أن تغفل عن أمر هذا عقباه. وسبيلك أن تكرم أصحاب المراتب في المذهب من كل إنسان على قدر أهله وعلمه. وانتهز إكرامهم لئلا تجهل الرعية حقوق أهل الفضل. ومن يطلب العلم فأكرمه واعرف حقه وفوق الإحسان إليه لتزيد همته فيه ويلطف عقله ويصفو ذهنه ويقل همه في أمر دنياه ـ تنتفع به إن شاء الله، وعجل العقوبة على المفسدين في الأرض بعد أن يصح عندك جرمهم وتتضح جنايتهم. ومن قدح في ملكك فاضرب عنقه وأشهره[1] ليحذر غيره. ومن سرق فاقطع يده. ومن تلصص في طريق فاضرب عنقه واصلبه ليشتهر بذلك وتأمن سبلك. ومن وجد مع ذكر مثله يفسق به فحرقه بالنار واجب. ومن وجد مع امرأة يزني بها فاضربه خمسين جلدةً، وارجم المرأة مائة حجر بعد إقامة البينة الثقة على ذلك[2]. واحذر أن تسمع ساعٍ، بل إذا صح عندك سعايته فعجل عليه العقوبة واشهره ترح قلبك أن يشتغل بالمحال. وإياك والغفلة عمن في الحبوس في كل شهر لئلا يكون فيهم مظلوم: فمن استحق التخلية أطلقت سبيله بعد الإحسان إليه. وإن استحق العقوبة عجلت عليه. ومن استحق أن يمهل عليه إلى أن يكشف عن حاله رددته فيه واحذر الإعجاب برأيك. والزم المشاورة لمن حسن عقله وطعن في سن لكثرة مامر عليه من التجارب. وحصل آراءهم فإن رأيت في أحدهم سداداً، وإلا فاعقد أنت من جميعهم رأياً سديداً ترشد وبالله التوفيق.

وقال: الشريف من استعمل الفضائل. وأعظم الشرف العدل والفقه والجود قبل الطلب.

وقال: حقيق أن يطلب المرء الحكمة ويثبتها في نفسه، ولايجزع من المصائب التي تعم الأخيار، ولايأخذ بالكبر ولافيما يبلغ من سرف ولايزهو بحال الغنى والسلطان، ويعدل بين نيته وقوله وفعله، وتكون سنته لاعيب فيها، ودينه غير مختلف، وحجته لاتنقص، فما يغير الله مابه من الأمن له ولعقبه.

وقال: لايستطيع أحد أن يجد الخير والحكمة إلا أن تخلص نفسه في المعاد. ولاخلاص له منه إلاّ أن تكون له ثلاثة أشياء: وزير، وولي، وصديق. فوزيره عقله ووليه عفته، وصديقه عمله الصالح.

---

(1) أي واجعله علناً حتى يحذر غيره ـ وفي نسخة: واشهر ليحذر.
(2) يظهر من هذا القول أن صاحب هذا الكلام مسلم.

وقال: لكل شيء حيلة غير الموت، وكل شيء فان غير الإثم، وكل شيء يبيد غير العمل الصالح، وكل شيء يطاق تغييره غير الطباع، وكل شيء يقدر على إصلاحه غير الخلق السوء، وكل شيء يستطاع دفعه غير القضاء.

وقال: ليس العجب ممن امتنعت عليه الشهوات أن يكون فاضلاً. وإنما العجب ممن الشهوات مقرونة به ويكون فاضلاً.

وقال: لاخير فيمن يستر وجه العفو بمكروه التقريع.

وقال: لاتعاجل الذنب بالعقوبة، واجعل بينهما للاعتذار طريقاً.

وقال: زلة العالم تكسر السفينة فتغرق، وتغرق خلقاً كثيراً.

وقال: الغنى وطن، والفقر غربة، والطمع رقٌ، واليأس حرية.

وقال: إذا لم يكن الملك يقدر على قهر حواسه وغلبة شهواته، فكيف يقدر على ضبط رعيته ومابَعُدَ عن مملكته؟ فسبيل الملك أن يبتدئ بسلطانه على نفسه ليستقيم له سلطانه على غيره.

«هذا كتاب السبع كواكب السيارة»
للمحقق المدقق الفيلسوف اليوناني

(الحكيم هرمس رحمه الله)

(وهذه صفة الجمل الكبير فافهم ترشد)

ا	ب	ج	د	هـ	و	ز	ح
1	2	3	4	5	6	7	8
ط	ي	ك	ل	م	ن	س	ع
9	10	20	30	40	50	60	70
ف	ص	ق	ر	ش	ت	ث	خ
80	90	100	200	300	400	500	600
ذ	ض	ظ	غ				
700	800	900	1000				

زحل	مشتري	مريخ
شمس	الزهرة	عطارد
	القمر	

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم (وبعد)، فهذه طريقة الحكيم هرمس جعلها للرجال والنساء على الكواكب السبعة السيارة فإذا أردت العمل بها فاحسب اسم الرجل واسم امه بالجمل الكبير وأسقط 77، وتمر بالفاضل على الأبيات فإن فضل واحد فهو لزحل وإن فضل اثنان فهو للمشتري، وإن فضل ثلاثة فهو للمريخ، وإن فضل أربعة فهو للشمس، وإن فضل خمسة فهو للزهرة، وإن فضل ستة فهو لعطارد، وإن فضل سبعة فهو للقمر، وهذه صفة الخاتم، فإذا أردت الاختصار تأمر الشخص أو الحرمة بوضْعِ يده على

خانة من هذا الخاتم وبالله التوفيق .

(القول على الطالع الأول) وهو طالع كوكب زحل:

قال الحكيم فيه شعر

سبع سموات خلقها الباري بلا عمد وبسط الأرضين على ماء جمد
وخلق الخلق وأحصاهم عدد وتكفل بأرزاق العباد لم ينس أحد

قال الحكيم : صاحب هذا الطالع يكون مباركاً ابن حلال صافي النية جليل القدر، صاحب الخيرات على حسن الطالع زحل ، لأنه سلطان الأفلاك مافي السماء أكبر منه حظاً ولا في الأرض أقل قسمة منه ، وصاحب هذا الطالع يفعل الجميل مع غير أهله ، والناس على أقسام منهم من يحب ومنهم من يبغض ، وهو كثير الخير فلا بد من عسر ويسر وضيق وفرج وسقم وصحة ، لأن الزمان لايدوم على حالة واحدة تارة لك وتارة لغيرك ، قال الحكيم : وله ثلاثة وجوه وثلاثة علامات **(الوجه الأول)** من نظر إليه زحل قال الحكيم يخاف عليه من وجع الرأس وخفقان القلب ، ونزلات تنزل عليه من رأسه إلى قدميه ، قال الحكيم : يبقى ساهياً غائباً عن الوجود ، يقف ينمو يمشي ينهج يحس بسلب القلب وهمدان الجثة ، وإذا نام يقوم من منامه مهمد الأذرع قال الحكيم : فإن حصل له شيء من ذلك فيكون سببه أنه اغتسل في مكان خال من الناس ودفق الماء على رأس طارق من طوارق العمار ، فقام عليه ونفخ في وجهه فأصابه ذلك ، فإذا أردت خلاصه من الأوجاع ومنع العارض عنه فاكتب له حجاب الأقسام وشفاء الأسقام ويحمله على طهارة كاملة بعد أن يبخره بالعود والجاوي ، فإنه يكون أماناً من المعكوسات والله أعلم . **(الوجه الثاني)** من نظر إليه المشتري يخاف عليه من قيل وقال وضرب لسان ، وهرج كلام ، وتعب شديد بينه وبين جماعة بسبب امرأة تكون رفيقة أو صديقة ، ويتعب بسببها تعباً شديداً وربما يشغلونه بخط الأقلام ويسحرونه ويتكلمون في حقه بكلام لاخير فيه ، ولكن الله سبحانه وتعالى ينجيه منهم ومن كيدهم ، والله أعلم ، فإن حصل له ذلك الأمر يكتب له تحويطة لإبطال السحر والعمل ، ويحملها معه يبرأ بإذن الله والله أعلم ، **(الوجه الثالث)** من نظر إليه المريخ قال الحكيم يخاف عليه من الانتقال من مكان إلى مكان ومن عتبة إلى عتبة ، وربما يخرج من يده شيء يندم عليه وهيهات الندم على مافات ، ولابد مايحصل له أسقام وتعب قلب من جهة أنثى تكون بعيدة عنه أو غضبى منه ، خارجة من

يده، وهو مولع بها ولكن العواقب حميدة، والاجتماع حاصل والحبيب مواصل، قال الحكيم: صاحب هذا النجم يتزوج النساء بالفرد ويرزق أولاداً بالجوز، وربما يفارق أول نسائه بموت أو طلاق، يأخذ غيرها، ويحصل له غضب ورضا وتعب من بعض نسائه، وأصل ذلك من خطوط الأقلام من الأعداء والحساد، فإن حصل له ذلك الأمر يكتب له حجاب ويبخر بالبخور المذكور، ويبخر به المراد، وأرى عليك نذراً لبعض الصالحين أوفيه لهم يعوضك الله خيراً، قال الحكيم: وصاحب هذا الطالع يحرص على نفسه من الناس فإنه له بخت معهم، ولكن البخت عند الله، ولابد له من حصول ماله ونوال إما من بيع أو شراء أو من رجل جليل القدر، ولو في آخر عمره، وينال العز والجاه والمراد، ويقهر الأعداء والحساد بحسن الاعتقاد، لأنه صافي النية، وحوائجه كلها مقضية، بإذن رب البرية، بها تطلق الفال والله أعلم.

(القول على الطالع الثاني) وهو طالع كوكب المشتري

قال الحكيم:

الحجر والمدر والدالي وزحل، نطقوا للنبي المفتخر قال الحكيم: صاحب هذا الطالع يكون مبروك ابن حلال قلبه أبيض يبلغ الخير والآمال، ولكن يحمل الهموم على قلبه من أجل غيره، ولكن الله سبحانه وتعالى يفرج عنه من حسن نيته، ولكن طالعه يخبر بالخير ومنع الأسية وزوال كل هم وغم وضيق وبلية، وقد دل هذا الكتاب أن صاحب هذا الطالع يكون قلبه مشغولاً من جهة أنثى أو إنسان غائب عنه أو مريض أو مسافر أو مسجون وقلبه في فكر ووسواس ليلاً ونهاراً فلابد من الاجتماع على أحسن مايكون ويزول التعب والغبون، وأنت أيها الشات ناو على نية وجماعة أنت قاصد منهم حاجة، ولكن فيها تعويق أيام قليلة، فعليك بالصبرٍ لأن من صبر سلم، ومن لج ندم، فإن العجلة ندامة والصبر عواقبه سلامة ثلاثة وجوه (**الوجه الأول**) من نظرت إليه الشمس قال الحكيم يخاف عليه من قيل وقال وهرج كلام بينه وبين جماعة بسبب أرضية أو دراهم عددية أو حرمة ولية، وأصل ذلك التعب من امرأة سمراء اللون أو قمحية، فإنها تسعى له في الأذية بما تعمل لك بالصدة والبغضة، حتى تفرق بينك وبين نسائك وإخوتك وبين من يحبه قلبك وهي أكبر أعداك

وحسادك، وربما يحصل لك بسببها أمور شديدة حتى تقف على يد حاكم أو قاضي، أو يد قوية، وقدرة الباري تنجيك منها والله أعلم **(الوجه الثاني)** من نظرت إليه الزهرة قال الحكيم: يخاف عليه شدة وضرورة حتى يشرف على الهلاك وينجو منها ويخاف عليه من خصمه، وفزع وتكون على غفلة في الليل فيحصل له منها وجع الرأس والقلب والمفاصل والرجيف والخوف، وسبب ذلك أنها رعبة في البدن، قال الحكيم: فإن حصل له شيء من ذلك يكتب له حجاب الأنوار ويبخر بميعة سائلة وشبه زفرة وفاسوخ ويحمله على طهارة فإنه يبرأ والله أعلم **(الوجه الثالث)** ينظر إليه عطارد، قال الحكيم: يتزوج من النساء بالجوز ويرزق من الأولاد بالفرد، وربما يجمع حرمتين في عصمة واحدة ولكن يخاف عليه من غضب ورضا وتعب قلب من بعض نسائه، وهو الغالب عليهن، يبيح بسره لمن لايكتمه ويطعم عيشه لمن لايحفظه ويقاسي أهوالاً كثيرة من أمور الدنيا، قال الحكيم يخاف عليه وعلى أولاده من النظرة والقرناء والتوابع وأمهات الصبيان، فإن حصل له شيء من ذلك يكتب له حجاب الأنوار ويبخر بالبخور المذكور ويحمله ينجو بإذن الله، وأرى عليك نذر لبعض الصالحين من جهة أمر وقعت فيه فوفه لصاحبه يعوض الله عليك خيراً، ولابد مايدخل في يدك مال ورزق من قبل ميراث أو من رجل جليل القدر وتبلغ مرادك وتقهر أعداك بحسن اعتقادك وإن الحاجة التي أضمرت عليها فإنها مقضية بإذن الله والله أعلم.

(الطالع الثالث) وهو طالع كوكب المريخ

قال الحكيم:

السيف وحده والقلم وابن آدم وسعده ومن لايسعده ربه ياتعب قلبه، قال الحكيم: صاحب هذا الطالع يكون جليل القدر كريم النفس سخي الكف رقيق القلب قنوعاً محبوباً عند جميع الناس، ولكن مبغوضاً عند البعض منهم، وهو غافل عن ذلك لايعلم الذي يحبه من الذي يبغضه، ويفعل الجميل مع الناس ويزرع معهم المعروف ولكنه سريع الغضب قريب الرجوع؛ لأن نجمه هوائي لايثبت على حالة واحدة، والكلمة التي في بطنه على طرف لسانه، من جاءه بكلام طيب ملكه، من عانده لايقدر عليه وهو صاحب معروف وعقل وتدبير يقول الحق ولو كان على نفسه، ويكره الباطل، غير أنه قليل البخت في عشرة الناس، ولكن البخت عند الله، وله ثلاثة وجوه **(الوجه الأول)** من نظر إليه المشتري قال الحكيم: يخاف عليه من قيل

وقال، وضرب لسان بينه وبين جماعة بسبب أرضية أو دراهم عددية، وربما يقف معهم على حاكم أو يد قوية، وقدرة الباري تنجيك منها، قال الحكيم: يخاف عليه من امرأة سمراء اللون أو محندقة العيون، وقيل إنها أرملة، وربما تعمل لك عملاً من الأعمال الردية بالصد والبغض حتى تفرق بينك وبين من يحبه قلبك، فاحذر منها كل الحذر، وهي تغيب وتحضر بالأذية والأعمال الردية، ومرادها تحفر لك بئر وترميك فيه، ولكن الله ينجيك منها ومن كيدها والله أعلم (**الوجه الثاني**) من نظر إليه زحل قال الحكيم يخاف عليه من وجع القلب والرأس وضربان العظم ونوازل تنزل عليه من رأسه إلى قدمه، تلبسه كما يلبس الإنسان القميص على البدن، يبقى ساهياً يقف يدوخ يمشي ويحس بسلب القلب، قال الحكيم: فإن حصل له شيء من ذلك فيكون قد أقبل على مريض من مرضى الجن فأصابه برجله وخطاه ففاق، وضربه في رأسه وقلبه فيكون منع ذلك منه بأن يكتب له حجاب كنز العرش ويحمله بعد أن يبخر بأسماء التهاطيل مع الجاوي والكزبرة سبعة أيام بإذن الله والله أعلم. (**الوجه الثالث**) من نظر إليه المشتري قال الحكيم: يتزوج من النساء بالفرد ويرزق الأولاد بالجوز وربما يفارق أول نسائه بموت أو طلاق، ويأخذ غيرها ويتعب تعباً شديداً من بعض نسائه وهو مهموم القلب في فكر ووسواس ليلاً ونهاراً، ولكن نجمه يغلب عليهم بإذن الله، ولابد لك أيها السائل من طريق مفتوح وغربة تتغرب فيها عن قريب، وترجع سالماً، وأنت أيها السائل طالعك سعيد وأوقاتك طيبة وعواقبك حميدة فأبشر أيها السائل بزيادة الخيرات، وإذهاب النكد والتعسرات، ولكن العين والنظر تأكل في مالك وعيالك مثل ماتأكل النار في الحطب اليابس، ولكن يوافقك أن يكتب لك الأحراز الذي يعتقد بها الألسن، فإنك تبلغ مرادك مثل حجاب الكنز وتبخر بالبخور المذكور وتحمله معك فإنك تنال مقصودك، وتقهر أعداك، وإن الحاجة التي ضمرت عليها مقضية بإذن الله سبحانه وتعالى.

(القول على الطالع الرابع)

تزود من الدنيا وكل من حلالها ... غداً ترتحل عنها وتسكن ترابها
واعمل لنفسك صالحاً ترضى به ... ولا كل من طلب السعادة نالها

الصدق وعد والعناية صدق، ومن لايسعده مولاه ياخيبة رجاه، قال الحكيم: صاحب

هذا النجم الطالع يكون مباركاً ابن حلال ، صافي النية قلبه أبيض لاتضيع عنده الأمانة قليل البخت في ثلاثة : الرفقة والشركة والضمانة ، إن رافق تعب وإن شارك خسر وإن ضمن غرم وإن عاشر الناس يأكلوا منه ولايأكل هو منهم ، يعمل الطيب ينقلب عليه بالأسية محسود من أقرب الناس إليه ، وأنت أيها السائل لابد لك من ثلاثة وجوه **(الوجه الأول)** : من نظر إليه المريخ قال الحكيم : يخاف عليه من شدة وضرر فيحصل له وجع القلب والأعضاء والمفاصل وضيق الخلق وقلة الجهد ، ربما تنزل عليه نزلات صدمة من رأسه إلى قدميه ، يبقى ساهياً غائباً عن الوجود وسبب ذلك أنها خضة حصلت له على الريق أو على صورة أو رؤية منام تصورت له في صورة جمل أو ثعبان أو شخص وهم عليه ، فانتبه من منامه مرعوباً فأصابه ذلك الأمر ، فإن بانت فيه هذه الإشارة يكتب له حجاب السيد ميططرون ويبخر بعود وعنبر وجاوي يحمله معه على طهارة كاملة ، ويكتب له بعد ذلك أسماء التهاطيل السبعة ، ثم يتبخر بهم مع الجاوي والفسوخ المغربي يبرأ بإذن الله سبحانه وتعالى والله أعلم **(الوجه الثاني)** من نظرت إليه الشمس قال الحكيم يتزوج من النساء بالفرد ، يرزق من الأولاد بالفرد ، وتكون عاقبته حميدة مفيدة ، ولكن يخاف عليه من قيل وقال وضرب لسان وهرج كلام بينه وبين جماعته ، بسبب أرضية أو دراهم عددية أو حرمة وليه ، ربما تقف معهم على يد حاكم أو ظالم أو يد قوية وتنجو منها ، وتكون أنت غالباً على أعداك بإذن الله والله أعلم ، **(الوجه الثالث)** من نظرت إليه الزهرة قال الحكيم : صاحب هذا الطالع يكون حلو الكلام مليح الابتسام طالعه سعيد فلابد له من رزق جديد وعمر مديد ويكون من كسب حلال إما من بيع أو من شراء أو من رجل جليل القدر ، وينال على يده الخير والبركة ، ولكن يكون عنده الصبر وكتمان السر ، لايبيح بسره لمن لايكتمه ، وأنت أيها السائل عندك اشتغال بال وتعب بسبب إنسان يكون غائباً أو بعيداً أو مسافراً أو غضبان أو خارجاً من اليد ، وقلبك مولع به ليلاً ونهاراً فلابد لك من الاجتماع إليه عن قريب ، قال الحكيم : صاحب هذا الطالع يخاف عليه من هم وغم وتعب من هموم الزمان أو من امرأة ينظر إليها بالمحبة والمودة ، ولكن يتكلمون عليه الناس بالكلام الزايد والناقص ، وهو يريد المحبة والمودة بينها وبينه على أمان ورفق واتصال ، فلابد له من بلوغ المراد ، ولكنه يكون حريصاً على نفسه من شخص ذَكَر ، يقف له بخلاف في أموره ، فإن حصل له شيء من ذلك يكتب له حجاب السيد مططرون ، فإنه يبلغ كل مأمله ، وأنت أيها السائل تنال مرادك وتبلغ مقصودك وإن الحاجة التي أضمرت عليها

فإنها مقضية بإذن رب البرية بهذا نطق الفال والله أعلم .

(القول على الطالع وهو الطالع الخامس) وهو طالع كوكب الزهرة

أيها السائل من كرم الله تعالى عليك بالأمان بعد الخوف ومنع الاختلاف والفرج بعد الضيق وزوال العكس وتفريج الكربَ وتمام السعد والسرور والنجاة في سائر الأمور ، وقال الحكيم : صاحب هذا النجم الطالع يكون مباركاً ابن حلال صافي النية مليح الوجه جليل القدر ينال رفعة وعلو درجة ، وربما أنه يخالط الأكابر ويسعد من قبل رجل جليل القدر من أصحابه وينال منه عزاً وقدراً أو جاهاً وخيراً ، فأبشر أيها السائل بزيادة الخيرات وذهاب النكد والتعسيرات ، فأوقاته طيبة وأموره مرضية بإذن رب البرية ، فاعزم على ماقصدت تنل جميع ماطلبت لأن نجمك مبشر بنجاح أمرك وإبعاد ضدك وانشراح صدرك ، ففرحك بالبشارة ظاهر ومعيشتك هنية ، والكلمة التي في بطنك على طرف لسانك وأنت أيها السائل تبيح بسرك لمن لايكتمه وتطعم عيشك لمن لايحفظه والله أعلم ، وله ثلاثة وجوه (**الوجه الأول**) من نظر إليه عطارد يخاف عليه من مخاصمة ومشاجرة وعداوة ، تقع بينه وبين جماعة بسبب أرضية أو دراهم عددية وأصل ذلك من امرأة بيضاء اللون تسعى في الأذية والأعمال الردية ، ولكن الله سبحانه وتعالى ينجيك منها والله أعلم ، (**الوجه الثاني**) من نظر إليه القمر قال الحكيم يخاف عليه من شدة وضرورة حتى يشرف منها على الهلاك ، وينجو وتكون تلك الشدة من أرياح الجن والشياطين ، وتنزل عليه نزلات تلبسه من رأسه إلى قدمه كما يلبس الإنسان القميص على البدن ، ويخاف عليه من وجع الرأس والقلب والأعضاء وجميع المفاصل ، وأصلها من العين والنظرة فإن حصل له شيء من ذلك فيكتب له حجاب الأنوار وآيات الشفا فإنه يبرأ بإذن الله والله أعلم (**الوجه الثالث**) من نظر إليه زحل قال الحكيم يتزوج من النساء بالفرد ويرزق الأولاد بالزوج وربما يفارق أول نسائه ويحصل له قيل وقال وضرب لسان وغضب ورضا وتعب قلب ويقاسي من بعض نسائه تعباً ، وينجو منه بصفو نيته ، وقد ظهر لصاحب هذا الطالع بشارة وعمارة وكلام مليح ، أما البشارة شيء قد خرج من اليد ، إما نفس إنسان أو مال فإن كان مالاً فإنه يرجع على أحسن بعد التعب ، وإن كان السؤال عن نفس إنسان فاعلم أنه يقدم عليك يجتمع به عن قريب ، ولابد لك من حركة السفر وتنال الكسب والفائدة وتنال كل ما تؤمله وترتجيه ، ولكن يخاف عليك من الأعداء والحساد فإنهم

يقولون عليك ماليس فيك وأنت صافي النية، ربما يحصل لك قيل وقال وضرب لسان، ولكن أنت الغالب عليهم، فإذا أراد أن يكون له صحبة ومودة يعقد عنه لسان كل كبير وصغير من أولاد آدم وبنات حواء يكتب له حجاب الأنوار ويبخر ببخور الحلك على طهارة كاملة فإنه ينجو من ذلك والله أعلم.

(القول على الطالع السادس) وهو طالع عطارد

قال الحكيم صاحب هذا النجم يكون مبارك الطلعة قلبه أبيض صافي النية فيه ثلاثة أشياء لاهو ظنان ولاهو خوان، ولايريد للناس السوء، ويحب الناس ويعاشرهم، غير أنه قليل البخت في عشرتهم؛ لأنه أمن جماعة خانوه وقربهم وأبعدوه، وناس انقلبوا عليه انقلاب الدست على مجامر النيران، ولكن هو الغالب والله أعلم، ولابد له من ثلاثة وجوه وثلاث علامات **(الوجه الأول)** من نظر إليه المشتري قال الحكيم يخاف عليه من شدة وضرورة، أوجاع تلبسه من رأسه إلى قدميه كما يلبس الإنسان القيمص على البدن، فيظهر منها في بعض الأوقات وجع في رأسه وقلبه وأعضائه وجميع مفاصله، ويحصل له ضيق الخلق وضيق الصدر، يبقى مثل الجمل الهائج لكن بهمدان، وهمه في الليل أكثر من النهار، وسبب ذلك أنه رقد في مكان خال من الناس فهف عليه ريح من أرياح الجن الشياطين فأصابه ذلك الأمر. قال الحكيم: إن بانت فيه هذه الإشارة فليكتب له حجاب القفل ويبخر ببخور الأرواح، ويكتب له بعد ذلك التهاطيل السبعة، ثم يتخبر بهم مع الجاوي واللبان والفسوخ لمدة سبعة أيام فإنه يبرأ بإذن الله والله أعلم. **(الوجه الثاني)** من نظر إليه المريخ قال الحكيم: يتزوج من النساء بالزوج ويرزق من الأولاد بالفرد، وربما يفارق أول نسائه بموت أو طلاق، ويأخذ غيرها، ينقلبون عليه النساء وينال بسبب ذلك مشقة وتعباً وينجو منه، ويدل في هذا الكتاب أنه يتزوج بامرأة جليلة القدر تنسب إلى بيت عال، وينال من قبلها مالاً جزيلاً وخيراً كثيراً وينال من قبل أولاده مايسره ولكن يخاف عليه وعلى أولاده من العين والنظرة والحسد، فإن حصل له شيء من ذلك فيكتب له حجاب القفل ويبخر بالبخور المذكور ويحمله معه فإنه ينجو من ذلك والله أعلم. **(الوجه الثالث)** من نظرت إليه الشمس قال الحكيم: يخاف من مخاصمة ومشاجرة ومكايد وقيل وقال وضرب لسان وهرج كلام بينه

وبين جماعة بسبب أرضيه أو دراهم عددية، ويقاسي بسبب ذلك مشقة وتعباً ويشتد عليه ذلك الأمر حتى يقف معهم على يد حاكم أو ظالم وينجو منهم، قال الحكيم: وقد ظهر لصاحب هذا الطالع ثلاثة أشياء بشارة وعمارة وزيارة أما البشارة فرزق والعمارة تعمر مكاناً غير المكان الذي ولدت فيه والزيارة تنال الحج إلى بيت الله الحرام، وترجع سالماً، ولابد لك أيها السائل من حصول مال ونوال إما من بيع أو شراء أو ميراث أو من رجل جليل القدر، وتنال العز والجاه بقدرة الله، ولابد لك أيها السائل من اشتغال بال وتعب قلب من جهة إنسان يكون بعيداً منك أو مريضاً، ومسجوناً يكون مسافراً أو أنثى تكون محكومة عنك أو بعيدة أو خارجة من اليد، وقلبك تعبان بسبب ذلك فلابد لك من الاجتماع بما في ضميرك، كل ما تؤمله وترتجيه وتكون عواقبه حميدة، ويخاف عليك من الأعداء والحساد أو من شخص ذكر أسمر اللون، فإذا أراد أن يكون له صحبة ومودة وينعقد عنه كل لسان كبير وصغير من أولاد آدم وبنات حواء، فيكتب له حجاب القفل ويبخر ببخور الأرواح فيكون أماناً لَهُ مما ذكرنا بهذا نطق الفال والله أعلم.

(القول على الطالع السابع) وهو طالع كوكب القمر وهو سعيد مبارك

قال الحكيم:

الحجر والمدر والقمر الدالي، وزحل نطقوا للنبي المفتخر، قال الحكيم: صاحب هذا الطالع يكون مبروكاً ابن حلال عنده أمانة قلبه أبيض صافي النية كامل العقل رئيساً يفعل المعروف مع من يعرفه ومن لايعرفه، وأنت أيها السائل صابر وصبرك لايضيع، قال الحكيم: صاحب هذا الطالع لابد له من عسر ويسر وصحة وسقم، لأن العالم أطوار والفلك أدوار والأعمار قصار، وليس للعبد اختيار لافي الليل ولا في النهار، والقدرة والإرادة للواحد القهار وله ثلاثة وجوه، **(الوجه الأول)**: من نظرت إليه الزهرة قال الحكيم يخاف عليه من الأمراض وخذلان الأعضاء وجميع المفاصل وخفقان القلب، وطارق بوجع وارتجاف في الطبيعة وخصوصاً يخاف عليه من وجع الظهر ومجاري الماء، وسبب ذلك أنه التمس بريح من أرياح الجن فأصابه ذلك الأمر، فإن بانت فيه هذه العلامات يكتب له حجاب الأقطار وأسماء التهاطيل السبعة ثم يبخر بهم مع الجاوي واللبان والكزبرة ويحمله فإنه يبرأ بإذن الله والله أعلم، **(الوجه الثاني)** من نظر إليه عطارد قال الحكيم يخاف عليه من قيل وقال وضرب لسان وهرج

كلام بينه وبين جماعة بسبب أرضية أو دراهم عددية ، أو حرمة ولية ، وربما أنه يقف معهم على يد حاكم أو ظالم أو يد قوية ، ويقاسي بسبب ذلك تعباً شديداً وينجو منه والله أعلم ، قال الحكيم : يخاف عليه من قوم يأكلون خيره ويألفون غيره ويجعلون أنهم أحبابه في الظاهر والباطن خراب ، يحسن إليهم ويسعون له في الأذية ، ويتكلمون من قُدّامه بكلام ، ومن ورائه بكلام وهو غافل عن ذلك لايعلم الذي يحبه من الذي يبغضه ولكن الله ينجيه منهم والله أعلم ، **(الوجه الثالث)** : من نظر إليه القمر قال الحكيم صاحب هذا الطالع يتزوج من النساء بالفرد ويرزق من الأولاد بالجوز ، وإن فارق أول نسائه لابد أن يتزوج إلى الرابعة وربما أنه يجمع بين امرأتين ، ويقاسي منهما مكايد عظيمة وينجو منها ، ويخاف عليه وعلى أولاده من العين والنظرة والقرناء والتوابع وأمهات الصبيان ولايعيش له إلا القليل ، ولكن يرزق بولد ذكر يكون جليل القدر ، ويخاف على صاحب هذا الطالع من شيء يخرج من يده ، إما مال أو إنسان ، ويقاسي بسبب ذلك تعباً شديداً وهو مشغول به ليلاً ونهاراً ، فلا بد من الاجتماع به عن قريب ، وربما تنتقل من مكان إلى مكان ولكن يكون فيه الخير والصلاح ، ولابد لك أيها السائل من حصول مال ونوال إما من بيع أو شراء أو من رجل جليل القدر ، وينال العز والجاه والحظ الجزيل والعمر الطويل ، ويكون محبوباً أينما توجه ، وينال كل مايؤمله ، ولكن يخاف عليه وعلى أولاده من الحسد من الناس ، فإنهم يتكلمون في حقه بكلام لاخير فيه ، ولكن نجمه غالب عليهم والله أعلم . فإذا أردت أن تكون له صحبة ومودة يعقد عنه كل لسان ، فيكتب له كل حجاب الأقطار ويبخر بالبخور المذكور ويحمله معه ويكتب بعد ذلك التهاطيل السبعة ثم يبخر بها فإنه ينال العز والجاه ويبلغ المراد والله أعلم .

(تمت طوالع الرجال ويليها طوالع النساء)

بسم الله الرحمن الرحيم

(القول على الطالع الأول) وهو طالع كوكب زحل

قال الحكيم فيه شعراً:

سبع سموات خلقها الباري بلا عمد ... وبسط الأرضين على ماء جمد

وخلق الخلق وأحصاهم عدد ... وتكفل بالأرزاق فلم ينس أحد

قال الحكيم: صاحبة هذا النجم تكون مبروكة بنت حلال صابرة طاهرة حرة تحب النساء، وتهوى محل الضحك واللعب والطرب، وتكره الشر والنكد، وليس لها بخت مع من تعاشره؛ لأن عشرتها مع الغريب خير لها من القريب، وهي جليلة القدر وكثيرة الخيرات على حسن الطالع زحل، لأنه سلطان الأفلاك ومافي السموات أكبر منه حظاً، ولافي الأرض أقل قسمة منه، قال الحكيم: وصاحبة هذا الطالع لابد لها من عسر ويسر وضيق وفرج وصحة وسقم؛ لأن الزمان لايدوم على حالة واحدة تارة لها وتارة عليها، وصاحبة هذا الطالع لابد لها من ثلاثة وجوه. **(الوجه الأول)**: من نظر إليها زحل قال الحكيم: يخاف عليها من وجع الرأس وخفقان القلب، وتنزل عليها ثلاث نزلات من رأسها إلى قدميها، تبقى ساهية عن الوجود، تقف تدوخ تمشي تحس بسلب القلب ووجع الرأس وخذلان البدن، وإذا نامت تقوم من منامها ثقيلة الجثة مهمدة الأذرع، فإن حصل لها شيء من ذلك فيكون سببه أنها اغتسلت في مكان خال من الناس، ودفقت الماء على رأس طارق من العمار ففات عليها ونفخ في وجهها فأدركها ذلك الأمر، فإذا أرادت خلاصها من ذلك يكتب لها حجاب الأسقام، وشفاء الأسقام وتعلقه معها بعد أن تبخره بعود وجاوي وعنبر، فإنه يكون أماناً لها من جميع العكوسات والله أعلم. **(الوجه الثاني)** من نظر إليها المشتري قال الحكيم: تتزوج من الرجال بالفرد وترزق من الأولاد بالجوز، وربما تفارق أول رجالها بموت أو بطلاق، ولكن يخاف عليها من القيل والقال وضرب لسان وهرج كلام وتعب قلب، بينها وبين رجالها من جهة امرأة تكون صديقة أو شريكة وتتعب بسببها تعباً شديداً، ويشتد عليها ذلك الأمر حتى تقف على يد حاكم ويحكم بينهما بالفراق، وتقف على الصدر والبغض ويظهر من ذلك أمور صعبة، لأن وراءها عدوة ومبغضة لها، وتنظر لها بعين السوء وتريد الخراب في مالها وعيالها، وربما تعمل لها عملاً أو تسخر لها بخطوط الأقلام ويتكلمون في

حقها بكلام لاخير فيه، ولكن الله ينجيها منها، ومن كيدها والله أعلم. قال الحكيم: فإن حصل لها شيء من ذلك يكتب لها حجاب الأقسام وتبخر بالبخور المذكور وهو عنبر وجاوي وعود وميعة سايلة وتحملها معها، ويكتب لها بعد ذلك أسماء التهاطيل السبعة، وأسماء القمر النورانية، وتحمله معها على رأسها لنيل القصد وبلوغ المراد والله أعلم. **(الوجه الثالث)** من نظر إليها المريخ قال الحكيم: يخاف عليها من الانتقال من مكان إلى مكان أو من عتبة إلى عتبة، وربما يخرج من يدها شيء وتندم عليه ولاينفع الندم، ويحصل لها اشتغال البال وتعب قلب من جهة إنسان يكون غائباً عنها أو مريضاً أو مسافراً أو مسجوناً، وقلبها مولع وهو أعز الأحباب إليها، ولكن العواقب كلها حميدة والاجتماع حاصل والحبيب مواصل، والأمور سليمة، قال الحكيم: وصاحبة هذا الطالع عليها من عاقة في بيت الولد، وتغلق فيها شهور كوامل، فإن حصل لها شيء من ذلك فيكون سببه أنها خطت على ملك من ملوك الجان فهفها في بيت أولادها، بما تقعد عن الحيض شهوراً وسنين عديدة فيأتي أوان الدم فتغبها أيام وترجع عليها أيام، وتغيب عنها ولاترجع، فإن حصل لها شيء من ذلك فيؤخذ لها هذه الوصفة التي بانت لها في الكتاب، وهي شيح وبابونج وعقدة ريح، وتوتية هندي وكمون كرماني ومرسين تدق الجميع وتغليهم في زيت طيب، وتعملهم صوفتين تتحمل منهما واحدة على الدم والأخرى بعد الطهر من الحيض، فإنها تحمل بإذن الله تعالى، ولابد لها من حصول مال ونوال من بيع أو شراء أو ميراث أو من رجل جليل القدر، ولو كان في آخر عمرها يفرح قلبها ويسر خاطرها وتبلغ المراد وتقهر الأعداء والحساد بهذا نطق الفال والله أعلم.

(القول على الطالع الثاني) وهو طالع كوكب المشتري

قال الحكيم:

الحجر والمدر والدالي وزحل نطقوا للنبي المفتخر، قال الحكيم: صاحبة هذا النجم تكون مبروكة بنت حلال، قلبها أبيض لمن تصاحبه، تحمل الهموم على قلبها من أجل غيرها، ولكن الله يفرج عنها بحسن نيتها، وطالعها يخبرها الخير ومنع الأسية وزوال كل هم وغم وضيق وبلية، وقد دل هذا الكتاب أن صاحبة هذا الطالع قلبها مشغول من جهة إنسان غائب عنها أو غضبان أو مريض أو خارج أو مسافر، وقلبها تعبان من أجله، هي في فكر وسواس ليلاً ونهاراً فلا بد لها من الاجتماع به على أحسن مايكون، ويزول عنها التعب والغبون، أنت أيتها السائلة ناوية على نية وجماعة قاصدة منهم حاجة، ولكن هذه الحاجة فيها تعويق أيام قلايل، فعليك

بالصبر لأن من صبر سلم ومن لج ندم والله أعلم. ولابد لها من ثلاثة وجوه: **(الوجه الأول)** من نظرت إليها الشمس قال الحكيم: يخاف عليها من قيل وقال وهرج كلام وتعب قلب مع الرجال، وأصل ذلك أن إمراة سمرة اللون بشعة الوجه محندقة العيون تسعى لها في الأذية والأعمال الردية، وربما تعمل بها بالبغضة، حتى تفرق بينها وبين رجالها، وهي أكبر أعدائها ولو طالت العشرة، وصاحبة هذا الطالع تتزوج الرجال بالزوج وترزق من الأولاد بالفرد، ربما تفارق أول رجالها بموت أو بطلاق، وتأخذ غيره ويحصل لها تعب شديد، وأصل ذلك التعب من خطوط الأقلام والسحر والله أعلم. فإن حصل لها شيء من ذلك يكتب لها حجاب الأنوار وتعلقه بعد أن تبخره بعود وجاوي وعنبر وحصا لبان ذكر، وتحمله على طهارة كاملة ويكتب لها ثلاثة أوراق تتبخر بهم مع الميعة السايلة والشبة الزفرة والفسوخ المغربي، فإنها تبرأ بإذن الله والله أعلم. **(الوجه الثاني)** من نظرت إليها الزهرة قال الحكيم: يخاف عليها من شدة حتى تشرف على الهلاك وتنجو منها، ويخاف عليها من شدة أو من خضة وفزع في ليل أو نهار يكون على الريق أو على غفلة، فتورثها وجع الرأس والرجيف، ووجع القلب والمفاصل والأسنان، قال الحكيم: فإن حصل لها ذلك الأمر يكتب لها حجاب الأنوار ويبخر بالبخور المذكور، فإنها تبرأ بإذن الله والله أعلم. **(الوجه الثالث)** من نظر إليها عطارد تكون امرأة سمراء اللون مقرونة الحواجب قال الحكيم: يخاف عليها من عاقة في بيت الولد مدة من الزمان، وربما يقعد فيها مدة من شهور كوامل، وسنين معدة، وتقاسي فيها تعباً شديداً من قبل هفوات الجن، وتسدُّ أمّ أولادها كما يسد الشق بالعجين، والقنا بالطين، وربما تعوقها من الحبل أيام وليال وبعد ذلك تنفك بقدرة الله تعالى وتنال مرادها على كيد العدا والحساد، قال الحكيم: فإن حصًل لها ذلك الأمر وتعوقت عن الحبل فتؤخذ لها هذه الوصفة التي بانت لها في الكتاب، وهي زعفران مغربي وإهليج وعناب وكمون كرماني وخزامة ومرسين تدق الجميع وتغليهم في زيت طيب وتقلبهم في وبر جمل صغير وتعملهم صوفتين تتحمل بواحدة منها على الدم والأخرى بعد الطهر من الحيض فإنها تحبل بإذن الله، ويخاف عليها على أولادها من العين والنظرة من القرنا والتوابع وأمهات الصبيان، فإن حصل لها شيء من ذلك يكتب لها حجاب الأنوار وتبخره بالبخور المذكور فإنها تبرأ بإذن الله وأرى عليك نذراً لبعض الصالحين فأوفيه يعوضك الله خيراً منه، ولابد لها من حصول مال ونوال، إمّا من بيع وشراء أو ميراث من رجل جليل القدر، فإن ذلك يدخل تحت حكم يدها وتنال العز والجاه وتبلغ المراد وتقهر الأعداء والحساد بحسن الاعتقاد،

وإن الحاجة التي أضمرت عليها فإنها مقضية بإذن رب البرية بهذا نطق الفال والله أعلم.

(القول على الطالع الثالث) وهو طالع كوكب المريخ

قال الحكيم:

السيف وحده والقلم ومده وابن آدم وسعده، ومن لايسعده ربه يتعب قلبه قال الحكيم صاحبة هذا النجم تكون بنت حلال قلبها أبيض جليلة القدر كريمة النفس سخية الكف شفوقة قنوعة طاهرة فاخرة حرة محبوبة عند الرجال مبغوضة عند البعض منهم، وهي غافلة عن ذلك لاتعلم الذي يحبها من الذي يبغضها، وهي تفعل الجميل مع الناس، سريعة الغضب، قريبة الرجوع لأن طبعها هوائي لاتثبت على حالة واحدة، كلمة توديها وكلمة تجيبها، والكلمة التي في قلبها على طرف لسانها، من جاها بالكلام اللين ملكها، ومن عاندها لم يقدر عليها، صاحبة قول معروف وعقل وتدبير تقول الحق وتكره الباطل، ولكن قليلة البخت في عشرة الناس، ويخاف عليها من العين والنظرة، ومن الخوانة من قبل جماعة يكونون صديقين من الأقارب إليها، ولابد لها من ثلاثة وجوه **(الوجه الأول)** من نظر إليها القمر يخاف عليها من قيل وقال وضرب لسان وهرج كلام وتعب شديد من قبل امرأة صفرة اللون محندقة العيون، وقيل إنها أرملة، وربما أنها تعمل لها عملاً بالبغضة حتى تفرق بينها وبين من يحبها، وهي تغيب وتحضر لها بالأذية، وإذا ظهرت تظهر لها مثل العقرب والثعبان، ومرادها ترميها في جب، ولكن الله ينجيها منها ومن كيدها ويرمي كيدها في نحرها، فإن كانت تعرفها تأمن منها غاية الأمن، فإنها أكبر أعدائها ولو طالت العشرة والله أعلم، **(الوجه الثاني)** من نظر إليها زحل قال الحكيم يخاف عليها من وجع الرأس والقلب وضربان العظم، وسواقط تنزل عليها من رأسها إلى قدمها، كما يلبس القميص على البدن، تبقى ساهية غائبة عن الوجود، قال الحكيم: فإن حصل لها شيء من ذلك فإنها تكون قد أقبلت على مريض من مرضى الجن فأصابته برجلها ففاق وضربها في رأسها وقلبها وغير حالها، قال الحكيم: فإذا أردت منع ذلك عنها يكتب لها سورة الجن فإنها تبرأ بإذن الله والله أعلم. **(الوجه الثالث)** من يظهر إليها المشتري قال الحكيم: تتزوج من الرجال بالجوز وترزق من الأولاد بالفرد، وربما تفارق أول رجالها بموت أو بطلاق وتأخذ غيره، قال الحكيم: ويخاف عليها من غربة أو نقلة وخلو فراش وتغيير وجوه الرجال وتقاسي تعباً شديداً من قبل رجل من رجالها، ويخاف عليها من القيل والقال وضرب اللسان والفتنة من النساء وأسحارهن ومن سوء

مكرهن وهي مهمومة القلب في فكر ووسواس، قال الحكيم: يكتب لها حجاب الأقسام ويبخر بعود عنبر وجاوي وحصا لبان ذكر وتعلقه لإبطال السحر، وعقد اللسان عنها، ويكتب لها ثلاثة أوراق تتبخر بهم على ثلاثة أيام بالميعة السايلة وقشر المحلب، فإنها تأمن على نفسها مما تخاف، وإن حصل لها عاقة في بيت الولد وتعوقت عن الحبل فيؤخذ هذه الوصفة التي بانت لها في الكتاب وهي لسان ثور ومقل أزرق وخزامة ومرسين تدق الجميع وتعجنهم بالميعة السايلة وتعملهم صوفتين تتحمل بهما، واحدة قبل الطهر والثانية بعد الطهر من الحيض، وتعلق الحجاب المذكور فإنها تحبل بإذن الله تعالى، قال الحكيم وأنت أيتها السائلة طوالعك سعيدة وعواقبك حميدة وأمورك مفيدة وأوقاتك طيبة فأبشري بزيادة الخيرات وقضاء الحاجات وبلوغ المراد من رب العباد والله أعلم.

(القول على الطالع الرابع) وهو طالع كوكب الشمس

قال الحكيم:

تزودي من الدنيا وكلي من حلالها	غداً ترحلي منها وتسكني بدالها
وأعمل لنفسك صالحاً ترضى به	ولا كل من طلب السعادة نالها

قال الحكيم: صاحبة هذا النجم الطالع تكون مبروكة بنت حلال صابرة فاخرة تحب الضحك واللعب والانشراح، مليحة الكلام طالعها سعيد وقولها حميد، ولابد لها من رزق جديد وعمر مديد، ويكون رزقها من وجه حلال إما من بيع أو شراء أو ميراث من رجل جليل القدر وتأتيها بشارة، ويفرح قلبها، ولابد لها من معاشرة رجل جليل من رجالها وتنال العز على يديه والخير والبركة، ويكون عندها الصبر وكتمان السر، وقد قال هذا الكتاب إن عندها انشغال بال بسبب إنسان يكون غائباً أو مسافراً، وقلبها تعبان من أجله، وهي في فكر ووسواس ليلاً ونهاراً، ولابد لها من الاجتماع به قريباً، ولابد لها من ثلاثة وجوه: **(الوجه الأول)** من نظر إليها المريخ قال الحكيم: يخاف عليها من شدة وضرورة تعكر مزاجها فيحصل لها منها وجع الرأس والقلب وجميع المفاصل، وضيق الخلق، وقلة الجهد، وتنزل عليها نزلات كثيرة، وسبب ذلك خضة أو فزعة حصلت لها أو رؤية منام تصورت لها صورة رجل أو ثعبان، وهمّ عليها فانتبهت من منامها مرعوبة فأصابها ذلك الأمر، فإن بانت فيها هذه العلامات يكتب لها حجاب السيد مططرون، ويبخر بعود وجاوي وعنبر، ويعلق عليها،

وبعد ذلك يكتب لها أسماء التهاطيل السبعة وتتبخر بها مع الجاوي والفسوخ، فإنها تبرأ بإذن الله تعالى. **(الوجه الثاني)** من نظرت إليها الشمس تكون تتزوج من الرجال بالفرد وترزق من الأولاد بالزوج، وربما تفارق أول رجالها بموت أو طلاق، فإن فارقت الأول لابد أن تأخذ غيره مع هجرة وغربة وخلو فراش مدة من الزمان، وتقاسي فيه تعباً شديداً، وترتاح بعد ذلك من قبل رجل جليل القدر، وتنال منه رفعة وشاناً عظيماً، ولكن يخاف عليها من قيل وقال وهرج كلام وتعب قلب من بعض رجالها، وأصل ذلك التعب من امرأة سمراء اللون أو شخص طويل القامة، يتكلمون في حقها بكلام لاخير فيه، وربما أنهم يعملون لها بالبغضة ويتبعونها بالأذية، وسبب ذلك غيرة وحسد، قال الحكيم: يخاف عليها وعلى أولادها من العين والنظرة والقرنا والتوابع وأمهات الصبيان، ولكن يعيش لها من بعض أولادها ولد ذكر، ويكون سبب الفتوح، وتعيش في عزه وسعده فإن حصل لها ذلك الأمر، يكتب لها خط قلم روحاني لإبطال السحر وعقد اللسان عنها، ويكتب لها بعد ذلك ثلاث أوراق، وتحط في كل ورقة جنزار وقشر ثوم وميعه سايلة وتتبخر بهم، وتغتسل بعد البخور، فإنها تبرأ بإذن الله والله أعلم. **(الوجه الثالث)** من نظرت إليها الزهرة قال الحكيم: يخاف عليها من عاقة تتعوق بها في بيت أولادها من قبل عوارض الأرض وهفوات الشيطان، فإنها تتعوق عن الحبل مدة شهور وسنين معدة، وربما يخالطها قطع الدم أيام وليالي، ويكون سببه الهفوة الأرضية فإن حصل لها ذلك الأمر وتعوقت عن الحبل فيؤخذ لها هذه الوصفة التي بانت لها في الكتاب، وهي مصطكى وزعفران مغربي وصبر سقطري، وقشر الحرمل وشيح وكمون كرماني من كل حاجة درهم وتدق الجميع وتغليهم في زيت طيب وتعملهم صوفتين تتحمل بواحدة على الدم والأخرى بعد الطهر، ويكتب لها حجاب السيد مططرون المقدم ذكره ويبخر بالبخور المذكور، فإنها تحبل بإذن الله، وصاحبة هذا النجم الطالع تنال العز والجاه، وتكون عواقبها حميدة، ولكن يخاف عليها من الأعداء والحساد وهي الغالبة عليهم بإذن الله وإن الحاجة التي ضمرت عليها مقضية بإذن الله، هكذا نطق الفال والله أعلم.

(القول على الطالع الخامس) وهو كوكب الزهرة

أبشري أيتها السائلة بالأمان ومنع الاختلاف وزوال التعكيس وتفريج الكرب وتمام السرور والنجاة في سائر الأمور، وصاحبة هذا النجم تكون مبروكة بنت حلال قلبها أبيض

مليحة الوجه جليلة القدر محبوبة معزوزة عند كل الناس ، مهابة معظمة مكرمة معجبة بنفسها تحب الضحك واللعب ، وتكره الشر والنكد ، وليس لها بخت مع من تعاشره ، تعبانـة القلـب والخاطر ، إلا أنها محبوبة عند الرجال مبغوضة عند النسـاء ، تفعـل الخير مـع غير أهلـه وهـي عزيزة النفس سخية الكـف مـن جاهـا بـالكلام واللـين ملكهـا ، سـريعة الغضـب ولكـن قريبـة الرجوع ، ولكن صاحبة هذا النجم قولها سديد ونجمها سـعيد فأبشـري بزيـادة الخير وإذهـاب النكد ، فأوقاتك طيبة وأمورك حميدة ، فهمِّي واعزمي علـى مـاقصدت تنـالي مـاطلبت ، فـإن نجمك مبشر بنجاح أمرك وإبعاد ضدك وانشراح صدرك ، ونيتك صافية وقلبك أبيـض تبيحـي بسرك لمن لايكتمه صابرة على من يؤذيـك ، وإذا همـت لشـيء تسـاوي همتهـا همـة الرجـال ، وإذا كسلت لايكون أحد أكسل منها ، وكلما كبر سنها زاد قدرهـا مـن ثلاثـة وجـوه ، **(الوجـه الأول)** من نظر إليها عطارد قال الحكيم : يخاف عليهـا مـن مخاصمـة ومشـاجرة ومكيـدة بـين جماعة بسبب أرض أو دراهم ، ويحصل لها قيل وقال وضرب لسان ، وتقاسـي بسـبب ذلـك تعباً شديداً ، ولكن سبحانه وتعالى ينجيها منهـم ومـن كـل سـوء ، ويخـاف عليهـا مـن مـرض حتى تشرف منه على الهلاك ، وتنجو منه ويكون سببه من أريـاح الجـن ، فيظهـر لهـا منهـا هَـمٌّ وغَمٌّ وضيق وتعـب ، وهـي تلبسـها مـن رأسـها إلـى قدمهـا ويخـاف عليهـا مـن وجـع الـرأس والمفاصل وأصلها من العين والنظرة ، فإن حصل لها شيء فيكتب لها حجـاب الأنـوار وآيـات الشفا ، وتعلقه عليها فإنها تبرأ بـإذن الله . **(الوجـه الثـاني)** مـن نظـر إليهـا القمـر قـال الحكيـم : تتزوج من الرجال بالفرد وربما تفارق أول رجالها بموت أو طلاق وتأخذ غيره ، ويقع لها تعب وغضب ورضا ، يخاف عليها من صيرة قلوب الرجال عليها بـلا سـبب وتقاسـي تعبـاً شـديداً ويكون من خطوط الأقلام والأسحار أو من امرأة سمرة اللـون أو بيضـة ، فإنهـا تسـعى لهـا في الأذية والأعمال الردية ، فإن حصل لها ذلك يكتب لها حجاب الأنوار ويعلق عليها ويكتـب لها أسماء التهاطيل السبعة ثم تتبخر بهم مع الجـاوي والكزبـرة والفسـوخ المغربـي فإنهـا تنجـو بإذن الله . **(الوجه الثالث)** من نظر إليها زحل قـال الحكيـم : تـرزق مـن الأولاد بـالزوج ولكـن يخاف عليها من العين والنظـرة والقرنـا والتوابـع ، لأن القرنـا يعارضونهـا في بعـض أولادهـا ، ويخاف عليها من العاقة في الحبـل وربمـا يغبهـا الحيـض أيـام وتتغير عليهـا أيـام يعنـي يجـي في ميعاد ، وينقلب في ميعاد فإن حصل لها ذلك الأمر وتعوقت عن الحبل يؤخذ لها هذه **الوصفـة** وهي ثوم مقشور وعقدة ريح وكمون كرملي وخزامة ومرسين يُدق الجميـع وتغليهـم في زيـت

طيب قديم، وتعملهم صوفتين تتحمل بواحدة منهم على الدم والأخرى بعد الطهر، ويكتب لها حجاب الأنوار ويعلق عليها بعد أن يكتب لهـا أسـماء التهـاطيل السبعة، ثـم تتبخـر فإنهـا تحبل بإذن الله تعالى. وقد ظهر لصاحبة هذا الطالع بشارة وعمارة وكلام مليـح، أمـا البشـارة فشيء يخرج من اليد وإما إنسان أو مال ويرجع لها على أحسن مايكون، ويزول عنها التعـب والغبون، ولابد لصاحبة هذا الطالع من حركات السفر وترجـع سـالمة غانمـة، وتنـال الكسـب والفائدة وحل العقدة، وتنال كلّ ما تؤمله، ولكن يخاف عليهـا مـن الأعـداء والحسـاد فـإنهم يقولون عليها ماليس فيها قال الحكيم: فإذا أرادت أن يكون لها صحبـة ومـودة، ويعقـد عنهـا لسان كل صغير وكبير من أولاد آدم وبنات حـواء، فيكتـب لهـا حجـاب الأنـوار ويبخـر بعـود وعنبر وجاوي وحصالبان ذكـر، ويعلـق عليهـا بعـد أن يكتـب لهـا أسـماء التهـاطيل السبعة، وتتبخر بهم مع الكزبرة تبرأ بإذن الله والله أعلم.

(القول على الطالع السادس) وهو طالع كوكب عطارد

وهو طالع سعيد مبارك يخبر بالحق قال حكيم فيه شعراً:

يـــــامن أمـــــورك تبهرجــــــت ... مـــن بعـــد ماإســتقامت تعوجـــت

اصـــبر علـــى حكـــم الإلـــه ... ماضـــــاقت إلا فرجـــــــت

قال الحكيم: صاحبة هذا الطالع تكون مبروكة قلبهـا أبيـض صافيـة النيـة والخـاطر، تحب الضحك واللعب والطـرب والزينـة والروايـح الطيبـة، ولاتحـب أن تجيـب سيرة أحـد بـردي، وعندهـا الأمانـة، وفيهـا ثـلاث خصـال يرضـاهم الله والنبي، لاهي ظنانـة ولاهـي خوانـة، ولاتريد للناس سوء، وهي تحب معاشرة الناس، إنها قليلـة البخـت في عشـرتهم لأنهـا أمنـت ناس وخانوها، ولكن هي الغالبة عليهم بإذن الله تعالى، وصاحبة هذا النجم الطالع لابد لهـا من ثلاثة وجوه (**الوجـه الأول**) مـن نظـر إليهـا المشتري قـال الحكيـم: يخـاف عليهـا مـن شـدة وضرورة وأوجاع تلبسها من رأسها إلى قدمها، فيظهر منها وجـع الـرأس والقلـب والأعضـاء ووجع المفاصل، وبعض الأوقات يحصل لها ضيق صدر وزعل، وتبقـى مثـل الجمـل الهـائج بهمدان وحمدان، وهمها الليل أكثر من النهار، وسبب ذلك أنهـا رقـدت في مكـان خـال مـن الناس، ولم تسم فهف عليها ريح أرياح الجن فأورثها ذلك الأمر، فإن حصـل لهـا شـيء مـن ذلـك فيكتـب لهـا حجـاب القفـل ويبخـر ببخـور الأريـاح، ويعلـق بعـد أن يكتـب لهـا أسـماء

التهاطيل السبعة، ثم تتبخر بهم مع الجاوي والفسوخ المغربي فإنها تبرأ بإذن الله. **(الوجه الثاني)** من نظر إليها المريخ قال الحكيم: تتزوج من الرجال بالزوج، وربما تفارق أول رجالها بموت أو طلاق، وتأخذ غيره وتتغير عليها الرجال وتقاسي بسبب ذلك مشقة وتعباً شديداً، وتنجو منه بإذن الله تعالى، قال الحكيم: ويدل في هذا الكتاب أنها تتزوج برجل جليل القدر ينسب إلى بيت عال، وتنال من قبله مالاً جزيلاً وخيراً كثيراً، وترزق من الأولاد بالفرد، وتنال من بعض أولادها مايسرها، ولكن يخاف عليها وعلى أولادها من العين والنظرة والقرنا والتوابع وأمهات الصبيان، فإن حصل لها شيء من ذلك فيكتب لها حجاب القفل ويبخر ببخور الأرياح، وتعلقه على طهارة تنجو بإذن الله والله أعلم. **(الوجه الثالث)** من نظرت إليها الشمس قال الحكيم: يخاف على صاحبة هذا الطالع من العاقة في الحبل مدة من الزمان، وربما تعقد فيها شهور وسنين معدة، وتنزل عليها بثقل بين الأكتاف ووجع في سلسلة الظهر، تبقى مثل الوحمانة وتحس بوجع السوة والسرة وبوجع أم أولادها، وتقوم تدوخ ثم إنها تروق فيكون سببها هفوة من الجن، فإن حصل لها ذلك الأمر يكتب لها حجاب القفل والبخور المذكور، وتعلقه على طهارة، يؤخذ لها الوصفة وهي أترج مغربي وتوتيا هندي وكمون كرماني، تدق الجميع وتغليهم في الزيت الطيب وتعملهم وصفتين، تتحمل بواحدة على الدم والأخرى بعد الطهر، فإنها تحبل بإذن الله، قال الحكيم: وقد ظهر لصاحبة هذا الطالع ثلاث إشارات بشارة وعمارة وحج بيت الله، ولابد لك من حصول مال ونوال إما من بيع أو ميراث أو من رجل جليل القدر، ولو كان في آخر العمر، وتنال العز والجاه ولابد لها من اشتغال بال وتعب قلب من قبل إنسان يكون بعيداً أو مريضاً أو مسافراً، فلا بد لها من الاجتماع به وتنال كلّ ما تؤمل وترتجيه، وتكون عاقبتها حميدة، لكن يخاف عليها من الأعداء والحساد أو من امرأة سمراء اللون محندقة العيون، فإنها تقف لها وتتكلم في حقها بكلام لاخير فيه، وهو باطل، ولكن الله ينجيها منها، ومن كل سوء، قال الحكيم: فإذا أرادت أن يكون لها صحبة ومودة يعقد عنها الألسن، فليكتب لها حجاب القفل ويبخر بالبخور المذكور، فإنه يكون أماناً مما ذكرناه والله أعلم.

(القول على الطالع السابع) وهو طالع كوكب القمر

قال الحكيم: الحجر والمدر والقمر وزحل نطقوا للنبي المفتخر، قال الحكيم: صاحبة هذا الطالع بنت حلال عندها الأمانة، قلبها أبيض، صافية النية والخاطر، كاملة العقل، شفوقة

على من تعاشره، تفعل الخير والمعروف مع من تعرفه ومن لاتعرفه، وأنتِ أيتها السائلة صابرة وصبرك لايضيع ولابد لك من عسر ويسر، وضيق وفرج، وصحة وسقَم؛ لأن العالم أطوار والفلك دوار وليس للعبد اختيار لافي الليل ولا في النهار، وإنما القدرة لله الواحد القهار، قال الحكيم: صاحبة هذا الطالع لابد لها من ثلاثة وجوه وثلاث علامات: **(الوجه الأول)** من نظرت إليها الزهرة قال الحكيم: يخاف عليها من الأمراض، ويعتريها وجع برأسها وجسمها، وخذلان في الأعضاء والمفاصل، وخفقان القلب، خصوصاً يخاف عليها من وجع العصب ومجامع الحزام، فيكون سبب ذلك أنها التمست بريح من أرياح الجن، فأصابها ذلك الأمر، قال الحكيم: فإن بانت فيها هذه الإشارة يكتب لها حرز الأقطار، ويعلق عليها ويكتب لها أسماء التهاطيل السبعة، تغتسل بهم بماء لاتراها الشمس والقمر فإنها تبرأ بإذن الله. **(الوجه الثاني)** من نظر إليها عطارد قال الحكيم تتزوج من الرجال بالفرد وترزق الأولاد بالزوج، وربما يخاف عليها من قيل وقال وضرب لسان بسبب أرضية أو دراهم عددية، أو من قبل رجل من بعض رجالها، وتقاسي بسبب ذلك مشقة عظيمة، ويخاف عليها من قوم يأكلونها ويألفون غيرها، ويجعلون أنهم أحبابها، وهي تحسن لهم وهم يسعون لها في القسم والأعمال الردية، ولكن الله ينجيها منهم والله أعلم. **(الوجه الثالث)** من نظر إليها القمر قال الحكيم: يخاف عليها وعلى أولادها من العين والنظرة والقرنا والتوابع وأمهات الصبيان قال الحكيم: وقد دل هذا الكتاب على أنها ترزق من الأولاد بولد صالح يكون الفتوح على يديه وخصوصاً يخاف عليها أن تتعوق في بيت أولادها، وتعلق فيها شهوراً عددية، قال الحكيم: فإن بانت فيها هذه الإشارة فيؤخذ لها على بركة الله تعالى هذه الوصفة وهو عود صليب وعرق جناح، وغبار الطلع وكمون كرماني وخزامة ومرسيخ تدق الجميع وتغليهم في زيت طيب وتعملهم صوفتين، تتحمل منهم بواحدة على الدم، والأخرى بعد الطهر، فإنها تحمل بإذن الله والله أعلم. قال الحكيم: ويخاف عليها من شيء قد خرج من يدها، إما مال أو أنساب وتقاسي بسبب ذلك تعباً شديداً، وربما أنها تنتقل من مكان إلى مكان ويكون فيه الخير والصلاح، ولابد من حصول مال ونوال إما من بيع أو شراء أو ميراث، قال الحكيم: وإذا أردت أن يكون لها صحبة ومودة يرد عنها لسان الكبير والصغير فيكتب لها حجاب الأقطار، ويبخر بالبخور المذكور، ويعلق عليها، هو وأسماء التهاطيل السبعة وتتبخر بهم مع الكزبرة واللبان الذكر فإنها تبلغ المراد من رب العباد والله سبحانه وتعالى أعلم.

هرمس في الكتب المقدسة

في القرآن الكريم

ورد ذكر إدريس عليه السلام في القرآن الكريم في سورتي مريم والأنبياء وقد جاء في سورة مريم في آيتين هما رقم (56) ورقم (57) كما يلي :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾

وجاء في سورة الأنبياء في الآيتين 84 و 85 .

﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِي رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ صدق الله العظيم .

أخنوخ (إدريس) أو (هرمس) في التوراة

من سفر التكوين الفصل (الإصحاح) الخامس الآيات 18 ـ 25 .

[«18» وعاش يارد مئة واثنتين وستين سنة وولد أخنوخ «19» وعاش أخنوخ خمساً وستين سنة وولد متوشالح «22» وسلك أخنوخ فكانت كل أيام يارد تسع مئة سنة واثنتين وستين سنة ومات «21» وعاش أخنوخ خمساً وستين سنة وولد متوشالح «22» وسلك أخنوخ مع الله بعدما ولد متوشالح ثلاث مئة سنة ولد فيها بنين وبنات «23» فكانت كل أيام أخنوخ ثلاث مئة سنة وخمساً وستين سنة «24» وسلك أخنوخ مع الله ولم يوجد بعد لأن الله أخذه «25» وعاش متوشالح مئة سنة وسبعاً وثمانين سنة وولد لامك].

هرمس أخنوخ في التوراة الباطنية

«ياسيدي ياأخي تذكر سروري، أقسم لك بالرب الواحد رب السموات أن هذه البذرة هي بذرتك وأن هذا الحمل هو منك، وهذه الثمرة قد زرعتها أنت ولم يزرعها أي غريب أو أي حارس أو أي من أبناء السماء. لماذا تغيرت سحنتك وشعرت باليأس؟ ولماذا دخل الحزن إلى نفسك وروحك؟ إني أتكلم معك بصدق.

عندها أنا (لامك) ركضت إلى حيث والدي (ميتاشالح) وأفضيت له بكل شيء وطلبت منه أن يذهب إلى (أنوخ) أبيه حيث يمكنه أن يفهم كل شيء منه، لأنه كان محبوباً وكان يقاسم الملائكة. وكانوا يعلمونه كل شيء وعندما سمع والدي كلماتي ذهب إلى (أنوخ) أبيه ليعلم منه كل الأشياء بصدق. وعن رغبته».

هرمس أخنوخ في الإنجيل

من رسالة القديس يهوذا عدد 14 و 15 و 16

14 «وقد تنبأ على هؤلاء أيضاً أخنوخ سابع آدم حيث قال هوذا يأتي الرب في ربوات قديسية».

15 «ليجري القضاء على جميعهم ويحج جميع المنافقين منهم على كل أعمال نفاقهم التي نافقوا بها، وعلى جميع الفظاظات التي نطق بها عليك أولئك الخطاة المنافقون».

16 «هؤلاء متذمرون لايفترون عن الشكوى سالكون في شهواتهم وأفواههم تنطق بأمور مفخمة إعجاب الناس ابتغاء للربح».

هرمس في كتب التفسير

وجاء في جامع البيان في تفسير القرآن لأبي جعفر بن جرير الطبري المتوفى 310هـ[1].

«القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَـٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ يقول تعالى ذكره واذكر يامحمد في كتابنا هذا إدريس إنه كان صديقاً لايقول الكذب، نبياً نوحي إليه من أمرنا مانشاء، ورفعناه مكاناً علياً، ذكر أن الله رفعه وهو حي إلى السماء الرابعة، فذلك معنى قوله ورفعناه مكاناً علياً يعني به إلى مكان ذي علو وارتفاع، وقال بعضهم رفع إلى السماء السادسة، وقال آخرون الرابعة، ذكر الرواية بذلك حدثني يونس بن عبد الله الأعلى قال: أخبرنا ابن وهب قال: أخبرني جرير بن حازم عن سليمان الأعشى عن شمر بن عطية عن هلال بن يساف قال: سأل ابن عباس كعباً وأنا حاضر فقال له: ماقول الله تعالى لإدريس ورفعناه مكاناً علياً؟ قال كعب: أما إدريس فإن الله أوحى إليه إني رافع لك كل يوم مثل عمل جميع بني آدم فأحب أن تزداد عملاً فأتاه خليل له من الملائكة فقال إن الله أوحى إليّ كذا وكذا فكلم لي ملك الموت فليؤخرني حتى ازداد عملاً، فحمله بين جناحيه ثم صعد به إلى السماء، فلما كان في السماء الرابعة تلقاهم ملك الموت منحدراً فكلم ملك الموت في الذي كلمه فيه إدريس، فقال وأين إدريس؟ فقال: هوذا على ظهري، قال ملك الموت: فالعجب بعثت أقبض روح إدريس في السماء الرابعة فجعلت أقول كيف أقبض روحه في السماء الرابعة وهو في الأرض فقبض روحه، فذلك قول الله تبارك وتعالى ﴿ وَرَفَعْنَـٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾. حدثني محمد بن عمر قال: أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورفاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ﴿ وَرَفَعْنَـٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ قال إدريس: رفع فلم يمت كما رفع عيسى. حدثنا القاسم قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله إلا أنه قال ولم يمت. حدثني محمد بن سعد قال أبي قال حدثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ﴿ وَرَفَعْنَـٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ قال رفع إلى السماء السادسة فمات فيها. حدثت عن الحسين قال: سمعنا أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد بن

---

(1) تفسير الطبري المجلد الثامن دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان 1978 .

سلمى قال: سمعت الضحاك يقول في قوله ﴿ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ إدريس أدركه الموت في السماء السادسة. حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد ﴿ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ قال السماء الرابعة. حدثنا أبو كريب قال حدثنا ابن يمان عن سفيان عن أبي هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري ﴿ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ قال في السماء الرابعة. حدثنا علي بن سهل قال ثنا حجاج قال ثنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية الرياحي عن أبي هريرة أو غيره «شك أبو جعفر الرازي» قال لما أسرى بالنبي ﷺ صعد به جبرائيل إلى السماء الرابعة فقيل من هذا قال: جبرائيل، قالوا ومن معه قال محمد قالوا أو قد أرسل إليه قال نعم قالوا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء، قال فدخل فإذا هو برجل قال هذا إدريس رفعه الله مكانا عليا. حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله (ورفعناه مكانا عليا) قال حدثنا أنس بن مالك أن نبي الله حدث أنه لما عرج به إلى السماء قال أتيت على إدريس في السماء الرابعة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ هؤلاء الذين اقتصصت عليك أنباءهم في هذه السورة يامحمد الذين أنعم الله عليهم بتوفيقه فهداهم لطريق الرشد من الأنبياء من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح في الفلك ومن ذرية إبراهيم خليل الرحمن ومن ذرية إسرائيل وممن هدينا للإيمان بالله والعمل بطاعته واجتبينا. يقول وممن اصطفينا واخترنا لرسالتنا ووحينا فالذي عني به من ذرية آدم إدريس، والذي عني به من ذرية من حملنا مع نوح إبراهيم، والذي عني به من ذرية إبراهيم إسحق ويعقوب وإسماعيل، والذي عني به من ذرية إسرائيل موسى وهارون وزكريا وعيسى وأمه مريم، ولذلك فرق الله ذكره أنسابهم وإن كان يجمع جميعهم آدم لأن فيهم من ليس من ولد، ومن كان مع نوح في السفينة وهو إدريس وإدريس جد نوح».

وجاء في تفسير النسفي (تفسير القرآن الكريم الجليل) المتوفى عام 701هـ[1].

﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ۝٥٦ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾

(1) هو أخنوخ أول مرسل بعد آدم عليه السلام وأول من خط بالقلم وخاط اللباس ونظر في علم النجوم والحساب واتخذ الموازين والمكاييل والأسلحة فقاتل بني قابيل. وقولهم سمي به لكثرة دراسته كتب الله، لايصح لأنه لو كان إفعيلا من الدرس لم يكن فيه إلا سبب واحد وهو العَلَمِيّة وكان منصرفاً فامتناعه من الصرف دليل العجمة.

(2) أنزل الله عليه ثلاثين صحيفة.

(3) هو شرف النبوة والزلفى عند الله. وقيل معناه رفعته الملائكة إلى السماء الرابعة. وقد رآه النبي ﷺ ليلة المعراج فيها. وعن الحسن إلى الجنة لاشيء أعلى من الجنة. ذلك أنه حبب لكثرة عبادته إلى الملائكة. فقال لملك الموت أذقني الموت يهن علَيَّ. ففعل ذلك بإذن الله فحي. وقال أدخلني النار أزدد رهبة ففعل. ثم قال أدخلني الجنة أزدد رغبة. ثم قال اخرج فقال ذقت الموت ووردت النار فما أنا بخارج من الجنة. فقال الله عز وجل بإذني فعل، وبإذني دخل. فدعه.

جاء في التفسير الكبير للفخر الرازي في تفسير

قوله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ۝٥٦ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾

اعلم أن إدريس عليه السلام هو جد أبي نوح عليه السلام وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ، قيل سمى إدريس لكثرة دراسته، واسمه أخنوخ ووصفه الله تعالى بأمور: (إحداها) أنه كان صدِّيقاً (وثانيها) أنه كان نبياً وقد تقدم القول فيهما (وثالثها) قوله (ورفعناه مكاناً عليا) وفيه قولان (أحدهما) أنه من رفعة المنزلة كقوله تعالى لمحمد ﷺ ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾ فإن الله تعالى شرفه بالنبوة وأنزل عليه ثلاثين صحيفة وهو أول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب وأول من خاط الثياب ولبسها، وكانوا يلبسون الجلود. (الثاني) أن المراد به الرفعة في المكان إلى موضع عال وهذا أولى، لأن الرفعة المقرونة بالمكان تكون رفعة

---

(1) تفسير النسفي الجزء 16 مجلد 3 ص169 ـ 170 طبعة المكتبة الأموية بيروت ودمشق.

في المكان لا في الدرجة، ثم اختلفوا فقال بعضهم إن الله رفعه إلى السماء وإلى الجنة وهو حي لم يمت، وقال آخرون بل رفع إلى السماء وقبض روحه، سأل ابن عباس رضي الله عنهما كعباً عن قوله: ﴿ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ قال جاءه خليل له من الملائكة فسأله حتى يكلم ملك الموت حتى يؤخر روحه فحمله ذلك الملك بين جناحيه فصعد به إلى السماء فلما كان في السماء الرابعة، فإن ملك الموت يقول بعثت وقيل لي اقبض روح إدريس في السماء الرابعة، وأنا أقول كيف ذلك وهو في الأرض فالتفت إدريس فرآه ملك الموت فقبض روحه هناك. واعلم أن الله تعالى إنما مدحه بأن رفعه إلى السماء لأنه جرت العادة أن لا يرفع إليها إلا من كان عظيم القدر والمنزلة. ولذلك قال في حق الملائكة ﴿ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ ﴾ وههنا آخر القصص.

قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا ﴾.

اعلم أنه أثنى على كل واحد مما تقدم ذكره من الأنبياء بما يخصه من الثناء ثم جمعهم آخراً فقال ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم ﴾ أي بالنبوة وغيرها مما تقدم وصفه، وأولئك إشارة إلى المذكورين في السورة من لدن زكريا إلى إدريس، ثم جمعهم في كونهم من ذرية آدم، ثم خص بعضهم بأنه من ذرية من حمل مع نوح. والذي يختص بأنه من ذرية آدم دون من حمل مع نوح هو إدريس عليه السلام، فقد كان سابقاً على نوح على ما ثبت في الأخبار، والذين هم من ذرية من حمل مع نوح هم إبراهيم عليه السلام لأنه من ولد سام بن نوح، وإسماعيل وإسحاق ويعقوب من ذرية إبراهيم، ثم خص بعضهم بأنهم من ولد إسرائيل أي يعقوب وهم موسى وهارون وزكريا ويحيى، وعيسى من قبل الأم، فرتب الله سبحانه وتعالى أحوال الأنبياء عليهم السلام الذين ذكرهم على هذا الترتيب، منبهاً بذلك على أنهم كما فضلوا بأعمالهم فلهم مزيد في الفضل بولادتهم من هؤلاء الأنبياء، ثم بين أنهم ممن هدينا واجتبينا منبهاً بذلك على أنهم اختصوا بهذه المنازل لهداية الله تعالى لهم، ولأنه اختارهم للرسالة».

وجاء في الظلال[1]:

﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ۝٥٦ وَرَفَعْنَـٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾.

ولانملك نحن تحديد زمان إدريس، ولكن الأرجح أنه سابق إبراهيم وليس من أنبياء بني إسرائيل، فلم يرد ذكره في كتبهم. والقرآن يصفه بأنه كان صِدِّيقاً ونبياً، ويسجل له أن الله رفعه مكانا عليا. فأعلى قدره ورفع ذكره.

وهناك رأي نذكره لمجرد الاستئناس به ولانقره أو ننفيه، يقول به بعض الباحثين في الآثار المصرية، وهو أن إدريس تعريب لكلمة «أوزريس» المصرية القديمة. كما أن يحيى تعريب لكلمة يوحنا وكلمة اليسع تعريب لكلمة إليشع.. وأنه هو الذي صيغت حوله أساطير كثير. فهم يعتقدون أنه صعد إلى السماء وصار له فيها عرش عظيم. وكل من وزنت أعماله بعد الموت فوجدت حسناته ترجح سيئاته فإنه يلحق بأوزريس الذي جعلوه إلهاً لهم. وقد علمهم العلوم والمعارف قبل صعوده إلى السماء.

وعلى أية حال فنحن نكتفي بما جاء عنه في القرآن الكريم، ونرجح أنه سابق على أنبياء بني إسرائيل.



(1) المجلد الرابع طبعة دار الشروق بيروت 1976 ص 2312 ـ 2313.

هرمس في كتاباتنا التاريخية التراثية

وجاء في كتاب وهب بن منية «التيجان في ملوك حمير»(1)

المتوفى عام 733م/ 114هـ.

«(وأخنوخ): اسمه في التوراة عبراني وتفسيره بالعربي إدريس، وهو إدريس عليه السلام، وأخنوخ اسمه سرياني وأنزل في التوراة أنه حي إلى موت جميع الخلق وموت الملائكة فيذوق الموت حتماً مقضياً، وأنه عاش في الأرض ثلاث مائة سنة وخمساً وستين سنة ثم رفعه الله إلى السماء السابعة فهو مع الملائكة. وقال الله: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ۝٥٦ وَرَفَعْنَـٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾. وقال بعض أهل العلم: . ورفعناه مكاناً علياً أي أنه رفعه في النسب مكاناً علياً أن ليس بعد آدم وشيث نبي غيره والله أعلم.

قال وهب: إدريس النبي أول من كتب بيده من أهل الدنيا أنزل عليه الكتاب السرياني وعلمه إياه جبريل. فأول من أنزل الله تبارك وتعالى عليه (بسم الله الرحمن الرحيم) في صحيفة وبعده في الصحيفة مكتوب ـ شهد الله أنه لاإله إلا هو، إلى آخر الآية ـ ثم أنزل عليه أبجد إلى آخرها فكتب وقرأ ولما رفع الله إدريس استخلف ابنه متوشلح».

تاريخ اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب(2)

(من العصر العباسي) توفي عام 807م/ 284هـ.

أخنوخ بن يرد

ثم قام بعد يرد أخنوخ بن يرد، فقام بعبادة الله، سبحانه، ولما أتت له خمس وستون سنة ولد له متوشلح، وأخذ بنو شيث ونساؤهم وأبناؤهم في الهبوط. فعظم ذلك على أخنوخ، فدعا ولده متوشلح ولمكاً ونوحاً. فقال لهم: إني أعلم أن الله معذبٌ هذه الأمة عذاباً عظيماً ليس فيه رحمة.

كان أخنوخ أول من خط بالقلم. وهو إدريس النبي. فأوصى ولده أن يخلصوا عبادة

---

(1) كتاب التيجان في ملوك حمير ـ وهب بن منبه تحقيق ونشر مركز الدراسات والأبحاث اليمنية الطبعة الأولى 1347هـ.

(2) تاريخ اليعقوبي المجلد الأول ص11 طبعة بيروت 1960 .

الله، ويستعملوا الصدق واليقين. ثم رفعه الله بعد أن أتت له ثلاثمائة سنة.

في كتاب «المعارف» لابن قتيبة الدينوري المتوفى عام 276هـ[1].

(إدريس صلى الله عليه وسلم) قال وهب إن إدريس النبي صلى الله عليه وسلم كان رجلاً طويلاً ضخم البطن عريض الصدر قليل شعر الجسد، كثير شعر الرأس، وكانت إحدى أذنه أعظم من الأخرى، وكانت في جسده نكتة بيضاء من غير برص، وكان دقيق الصوت دقيق المنطق قريب الخطى إذا مشى، وإنما سمي إدريس لكثرة ماكان يدرس من كتب الله تعالى سنن الإسلام، وأنزل عليه ثلاثون صحيفة، وهو أول من خط بالقلم وأول من خاط الثياب ولبسها، وكانوا من قبله يلبسون الجلود، واستجاب له ألف إنسان ممن كان يدعوه، فلما رفعه الله اختلفوا بعده وأحدثوا الأحداث إلى زمن نوح. وهو أبو جد نوح، ورفع وهو ابن ثلاث مئة وخمس وستين سنة، وفي التوراة أن أخنوخ أحسن قدام الله تعالى فرفعه إليه وولد لإدريس متوشالخ على ثلاث مئة سنة من غيره، وولد لمتوشالخ لمك ولد للمك غلام فسماه نوح.

أبو حنيفة الدينوري المتوفى سنة 282هـ

أورد ذكر إدريس عليه السلام بكتابه «الأخبار الطوال»[2].

«وكان أول نبي بعد شيث إدريس، واسمه «أخنوخ بن يرد بن مهليل» وسمي إدريس، لكثرة دراسته».

يقول الطبري المتوّفى عام 923م/310هـ

في كتابه «تاريخ الرسل والملوك» عن النبي إدريس عليه السلام مايلي.

فيما حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، وهو ابن مائة سنة واثنتين وستين سنة ـ بركنا ابنه الدرمسيل بن محويل بن خنوح بن قين بن آدام. فولدت له أخنوخ بن يرد ـ وأخنوخ إدريس النبي، وكان أول بني آدم أعطي النبوة ـ فيما زعم ابن إسحاق ـ وخط

---

(1) تحقيق محمد إسماعيل عبد الله الصاوي طبعة مصر 1934.

(2) الأخبار الطوال للدينوري تحقيق عبد المنعم عامر طبعة دار المثنى ببغداد.

بالقلم، فعاش يرد بعدما ولد له أخنوخ ثلاثمائة سنة، وولد له بنون وبنات، فكان كل ماعاش يرد تسعمائة سنة واثنتين وستين سنة ثم مات.

وقال غيره من أهل التوراة: ولد ليرد أخنوخ - وهو إدريس - فنبأه الله عز وجل، وقد مضى من عمر آدم ستمائة سنة واثنتان وعشرون سنة، وأُنزل عليه ثلاثون صحيفة. وهو أول من خط بعد آدم وجاهد في سبيل الله، وقطع الثياب وخاطها، وأول من سبى من ولد قابيل، فاسترق منهم، وكان وصي والده يرد فيما كان آباؤه أوصوا به إليه وفيما أوصى به بعضهم بعضاً، وذلك كله من فعله في حياة آدم.

قال: وتوفي آدم عليه السلام بعد أن مضى من عمر أخنوخ ثلثمائة سنة وثماني سنين، تتمة تسعمائة وثلاثين سنة التي ذكرنا أنها عمر آدم. قال: ودعا أخنوخ قومه ووعظهم، وأمرهم بطاعة الله عز وجل ومعصية الشيطان، وألا يلابسوا ولد قابيل، فلم يقبلوا منه، وكانت العصابة بعد العصابة من ولد شيث تنزل إلى ولد قابيل.

قال: وفي التوراة: إن الله تبارك وتعالى رفع إدريس بعد ثلثمائة سنة وخمس وستين سنة مضت من عمره، وبعد خمسمائة سنة وسبع وعشرين سنة مضت من عمر أبيه، فعاش أبوه بعد ارتفاعه أربعمائة وخمساً وثلاثين سنة تمام تسعمائة واثنتين وستين سنة، وكان عمر يارد تسعمائة واثنتين وستين سنة، وولد أخنوخ وقد مضت من عمر يارد مائة واثنتان وستون سنة.

حدثني الحارث، قال حدثنا ابن سعد، قال: أخبرني هشام، قال أخبرني أبي، عن أبي الصالح، عن ابن عباس، قال: في زمان يرد عملت الأصنام، ورجع من رجع عن الإسلام.

وقد حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب، قال: حدثني عمي، قال: حدثني الماضي بن محمد، عن أبي سليمان، عن القاسم بن محمد، عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي ذر الغفاري، قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ياأبا ذر، أربعة - يعني من الرسل - سريانيون: آدم، وشيث، ونوح، وأخنوخ، وهو أول من خط بالقلم، وأنزل الله تعالى على أخنوخ ثلاثين صحيفة».

وقد زعم بعضهم أن الله بعث إدريس إلى جميع أهل الأرض في زمانه، وجمع له علم الماضين، وأن الله عز وجل زاده مع ذلك ثلاثين صحيفة، قال: فذلك قول الله عز وجل:

﴿ إِنَّ هَـٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾ .

وقال : يعني بالصحف الأولى [الصحف] التي أنزلت على ابن آدم هبة الله وإدريس عليهما السلام .

وقال لي بعضهم : ملك بيوراسب في عهد إدريس ، وقد كان وقع إليه كلام من كلام آدم صلوات الله عليه ، فاتخذه في ذلك الزمان سحراً ، وكان بيوراسب يعمل به ، وكان إذا أراد شيئاً من جميع مملكته أو أعجبته دابة أو امرأة نفخ بقصبة كانت له من ذهب ، وكان يجيء إليها كل شيء يريده ، فمن ثم تنفخ اليهود [في الشبورات] .

ثم نكح ـ فيما حدثنا به ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق : أخنوخ بن يرد هدانة ـ وقال : أدانة ـ ابنة باويل بن محويل بن جنوخ بن قين بن آدم ، وهو ابن خمس وستين سنة ، فولدت له متوشلخ بن أخنوخ ، فعاش بعدما ولد له متوشلخ ثلثمائة سنة . وولد له بنون وبنات ، فكان كل ماعاش أخنوخ ثلثمائة سنة وخمساً وستين سنة ثم مات .

وأما غيره من أهل التوراة فإنه قال فيما ذكر عن التوراة : ولد لأخنوخ بعد ستمائة سنة وسبع وثمانين سنة خلت من عمر آدم متوشلخ ، فاستخلفه أخنوخ على أمر الله ، وأوصاه وأهل بيته قبل أن يرفع ، وأعلمهم أن الله عز وجل سيعذب ولد قابيل ومن خالطهم ومال إليهم ، ونهاهم عن مخالطتهم ، وذكر أنه كان أول من ركب الخيل ، لأنه اقتفى رسم أبيه في الجهاد ، وسلك في أيامه في العمل بطاعة الله طريق آبائه . وكان عمر أخنوخ إلى أن رفع ثلاث مئة سنة وخمساً وستين سنة . وولد له متوشلخ بعدما مضى من عمره خمس وستون سنة .

المسعودي المتوفى عام 346هـ يقول في مروج الذهب[1] :

«قام بعده[2] ولده أخنوخ ، وهو إدريس النبي صلى الله عليه وسلم ، والصابئة تزعم أنه هرمس ، ومعنى هرمس عطارد ، وهو الذي أخبر الله عز وجل في كتابه أنه رفعه مكاناً علياً [وكانت حياته في الأرض ثلاث مئة سنة ، وقيل أكثر من ذلك] ، وهو أول من درز الدروز ،

(1) مروج الذهب للمسعودي تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد طبعة دار الفكر بيروت الجزء الأول ص39 ـ 40 .
(2) أي بعد أنوش بن شيث .

وخاط بالإبرة، وأُنزل عليه ثلاثون صحيفة، وكان قد نزل قبل ذلك على آدم إحدى وعشرون صحيفة، وأُنزل على شيث تسع وعشرون صحيفة فيها تهليل وتسبيح».

وفي «كتاب الفهرست» للنديم أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق المعروف بالوراق المتوفى عام 995م / 373هـ. تحقيق رضا.

اسمها من اسم المشتري، فجمع فيها العلم والعلماء وبنى بها اثنا عشر قصراً على عدد بروج السماء وسماها بأسمائها، وخزن كتب أهل العلم، وأسكنها العلماء. . . من غير كلام أبي سهل : ـ بنى سبعة بيوت على عدد الكواكب السبعة، وجعل كل بيت منها إلى رجل، فجعل بيت عطارد إلى هرمس. وبيت المشتري إلى تينكلوس. وبيت المريخ إلى طينقروس. . . رجعنا إلى كلام أبي سهل ـ فانقاد لهم الناس، وانقادوا لقولهم ودبروا أمورهم، لمعرفتهم بفضلهم عليهم في أنواع العلم وحيل المنافع. إلى أن بعث نبي في ذلك الزمان، فإنهم أنكروا عند ظهوره، ومابلغهم من أمره علمهم، واختلط عليهم كثير من رأيهم، فتشتت أمرهم واختلفت أهواؤهم وجماعتهم، فأمّ كل عالم منهم بلدة ليسكنها ويكون فيها ويترأس على أهلها. وكان فيهم عالم يقال له هرمس، وكان من أكملهم عقلاً وأصوبهم علماً وألطفهم نظراً، فسقط إلى أرض مصر. فملك أهلها وعمر أرضها وأصلح أحوال سكانها، وأظهر علمه فيها، وبقي جل ذلك وأكثره ببابل، إلى أن خرج الإسكندر ملك اليونانيين، غازياً أرض فارس، من مدينة للروم يقال لها مقدونية، عند الذي كان من إنكاره الفدية التي لم تزل جارية على أهل بابل ومملكة فارس، وقتله دارا بن دارا الملك، واستيلائه على ملكه وهدمه المدائن، وإخرابه المجادل المبنية بالشياطين والجبابرة، وإهلاكه ماكان في صنوف البناء من أنواع العلم الذي كان منقوشاً، مكتوباً في صخور ذلك وخشبه بهدم ذلك وإحراقه، وتفريق مؤتلفه. ونسخ ماكان مجموعاً من ذلك في الدواوين والخزائن بمدينة إصطخر. وقلبه إلى اللسان الرومي والقبطي، ثم أحرق بعد فراغه من نسخ حاجته منها، ماكان مكتوباً بالفارسية، وكتاب يقال له الكشتج، وأخذ ماكان يحتاج إليه من علم النجوم والطب والطبائع، فبعث بتلك الكتب وسائر ماأصاب من العلوم والأموال والخزائن والعلماء إلى بلاد مصر. وقد كانت تبقت أشياء بناحية الهند والصين، كانت ملوك فارس نسختها على عهد نبيهم زرادشت، وجاماسب العالم، وأحرزتا هناك. لما كان نبيهم،

وجاماسب حذراهم من فعلة الإسكندر، وغلبته على بلادهم، وإهلاكه ماقدر عليه من كتبهم وعلمهم، وتحويله إياه عنهم إلى بلاده. فدرس عند ذلك العلم بالعراق، وتمزق واختلفت العلماء وقلّت، وصار الناس أصحاب عصبية وفرقة، وصار لكل طائفة منهم ذلك، فسموا ملوك الطوائف، واجتمع ملك الروم لملك واحد، بعد الذي كان فيهم من التفرق والاختلاط والتحارب قبل ملك الإسكندر، فصاروا بذلك يداً واحدة، ولم يزل ملك بابل منتشراً ضعيفاً فاسداً ولم يزل أهله مقهورين مغلوبين لايمنعون حريما ولايدفعون ضيما، إلى أن ملك أردشير بن بابك من نسل ساسان، فألف مختلفهم وجمع متفرقهم وقهر عدوهم واستولى على بلادهم واجتمع له أمرهم وأذهب عصبيته واستقام له ملكهم. فبعث إلى بلاد الهند والصين في الكتب التي كانت قبلهم وإلى الروم. ونسخ ماكان سقط إليهم، وتتبع بقايا يسيرة بقيت بالعراق فجمع منها ماكان متفرقاً، وألف منها ماكان متبايناً، وفعل ذلك من بعده ابنه سابور. حتى نسخت تلك الكتب كلها بالفارسية، على ماكان هرمس البابلي الذي كان ملكاً على مصر، ودورسوس السرياني، وفيدروس اليوناني من مدينة أثينس المذكورة بالعلم، وبطليموس الإسكندراني، وفرماسب الهندي، فشرحوها وعلموها للناس على مثل ماكانوا أخذوا من جميع تلك الكتب التي كان أصلها من بابل.

كتب هرمس في النجوم كما أوردها صاحب الفهرست

هرمس

وقد تقدم ذكره. وله من الكتب في النجوم، كتاب عرض مفتاح النجوم الأول، كتاب طول مفتاح النجوم الثاني، كتاب تسيير الكواكب، كتاب قسمة تحويل سني المواليد على درجة. كتاب المكتوم في أسرار النجوم، ويسمى قضيب الذهب.

كتب هرمس في النيرنجات

الخواص والطلسمات

كتاب هرمس في النشر والتعاويذ والعزائم. كتاب الطاريطوس من نيرنجات الأشجار والثمار والأدهاق والحشائش. كتاب فريقوسوس في الأسماء والحفظة والتمائم والعوذ من

حروف الشمس والقمر والنجوم الخمسة وأسماء الفلاسفة. كتاب فريقوسوس في الخـواص. وجزأه ثلاثة أجزاء، كل جزء يحتوي على معنى.

كتب هرمس في الكيمياء

قال محمد بن إسحاق النديم المعروف بابن أبي يعقوب الوراق: زعم أهل صناعة الكيمياء وهي صنعة الذهب والفضة من غير معادنها، أن أول من تكلم على علم الصنعة هرمس الحكيم البابلي، المنتقل إلى مصر عند افتراق الناس عن بابل، وأنه ملك مصر وكان حكيماً فيلسوفاً، وأن الصنعة صحت له، وله في ذلك عدة كتب، وأنه نظر في خواص الأشياء وروحانيتها، وصح له ببحثه ونظره علم صناعة الكيمياء، ووقف على عمل الطلسمات، وله في ذلك كتب كثيرة، وقد قيل إن ذلك قبل هرمس بألوف السنين، على مذهب أصحاب القدم.

ذكر هرمس البابلي

قد اختلف في أمره، فقيل إنه كان أحد السبعة السدنة الذين رتبوا لحفظ البيوت السبعة، وإنه كان إليه بيت عطارد، وباسمه يسمى، فإن عطارد باللغة الكلدانية هرمس. وقيل إنه انتقل إلى أرض مصر بأسباب وإنه ملكها، وكان له أولاد عدة. منهم، طاط وصا واشمن واثريب وقفط. وإنه كان حكيم زمانه. ولما توفي دفن في البناء الذي يعرف بمدينة مصر بأبي هرمس، وتعرفه العامة بالهرمين فإن أحدها قبره والآخر قبر زوجته وقيل قبر ابنه الذي خلفه بعد موته. ص417- 418.

كتب هرمس في الصنعة

كتاب هرمس إلى ابنه في الصنعة. كتاب الذهب السائل. كتاب إلى طاط في الصنعة. كتاب عمل العنقود. كتاب الأسرار. كتاب الهاديطوس. كتاب الملاطيس. كتاب الأسطماخس. كتاب أرمينس تلميذ هرمس. كتاب نيلادس تلميذ هرمس في رأي الأذخيقي. كتاب دمانوس لهرمس. كتاب السلماطس.

الإكيل للهمداني المتوفى نحو سنة 350هـ[1].

جاء عن هرمس مايلي:

ونكح يارذ بن مهلاييل وهو ابن مائة سنة واثنين [كذا] وستين سنة، بركنا بنت الدرمشيك بن مخويل بن خنوخ بن قائن بن آدم، فولدت له أخنوخ وهو إدريس النبي عليه السلام، وتسميه الأعاجم هرمس الكبير، وولد ليارذ غيره بنون وبنات وكان عمر يارذ تسعمائة سنة واثنتين وستين سنة، ثم نكح أخنوخ بن يارذ هدانة بنت تاويل بن خنوخ بن قائن بن آدم، فولدت له متوشلخ وصابئ، فعلم صابئ الخط، فكانت العرب تسمي كل من قرأ الكتب أو كتب صابئاً، وكانت قريش تسمي النبي صلى الله عليه وسلم أيام كان يدعو الناس بمكة ويتلو القرآن صابئاً. ويقال: إن أخنوخ أول من خاط الثياب وترك لبس الأدم، وهو أول من بدع الميزان ووضع المكيال، وكان عمره ثلاثمائة سنة وخمساً وستين سنة، ثم توفي.

وقيل: إنه رفع رفعة الوداع، وقيل: لم يرفع حتى أتقن معرفة الفلك مدة، ثم أعيد إلى الأرض فمات فيها ودفن، والذي يعول عليه العلماء، أنه ألهم وأوحي إليه علم النجوم، وكشف له عن المقاييس.

وقد أورد صاحب الإكليل شعراً منقولاً عن حسان [بن ثابت الأنصاري] شاعر رسول الله ﷺ، ينسب فيه إدريس عليه السلام إلى اليمن ويعتبره من أصول بني قحطان:

فنحن بنو قحطان والملك والعلى ... ومنا نبي الله هود الأخاير
وإدريس ماإن كان في الناس مثله ... ولامثل ذي القرنين أبناء عابر
وصالح والمرحوم يونس بعدما ... ألات به حوت بأخلب زاخر
شعيب وإلياس وذو الكفل كلهم ... يمانون قد فازوا بطيب السرائر

وينقل صاحب الإكليل عن كعب الأحبار مايلي:

وكان يارذ لايألو ينصح لهم وينهاهم عما كانوا عليه من الضلال، ثم أوصى بعده إلى إدريس، واسمه في التوراة، أخنوخ، وشالت. وكان أول نبي بعثه الله وعلمه الحساب

---

(1) المجلد الأول من الإكليل تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي طبعة دار الحرية ببغداد عام 1977 ص118 ـ 119.

والكتابة. فلم يطعه أحد من ولد شيث، واختلفوا بنسل قائن، فرفع الله إليه إدريس، كما قال جل ثناؤه: ﴿ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾، واستخلف إدريس بعده متوشلخ [ص 131].

إلا أن الهمداني قد وجه إليه بعض النقض والتشكيك في نقله هذا ومثال على ذلك ماأورد الأستاذ عبد القدوس الأنصاري في كتابه «بين التاريخ والآثار» إذ يقول[1]:

ويقول الهمداني صاحب «الإكليل»: إن شعيباً النبي ينتمي إلى أرومة اليمن.. فهو من قوم صاحب الإكليل نفسه. وعزا الهمداني إلى حسان بن ثابت رضي الله عنه أبياتاً، نسب فيها شعيباً إلى نبي قحطان باليمن هي:

فنحن بنو قحطان والملك والعلا ... ومنا نبي الله هود الأخاير

وإدريس ماإن كان في الناس مثله ... ولامثل ذي القرنين أبناء عابر

وصالح والمرحوم يونس بعدما ... ألات به حوت بأخلب زاخر

«شعيب» وإلياس وذو الكفل كلهم ... يمانون قد فازوا بطيب السرائر

ونلاحظ على هذه الأبيات أموراً. منها أن أسلوبها ليس قوياً. ووردت فيها كلمة «المرحوم» والمفهوم أنها «المولود» فإن كان هذا الشعر، شعر حسان بن ثابت حقاً، فهو نص على أصالة الكلمة، وصحة التعبير بها. وليست هذه الأبيات في ديوان حسان المطبوع والموجود لدينا. ولانتهم الهمداني بالتقول على حسان، ولكن السهو والانتحال موجودان في الرواة من قديم الزمان... فقد تكون الأبيات رويت عن حسان للمؤلف، وهي منحولة، ولم يمحص الهمداني نصها ولم يفحص رواتها لأنها وافقت مبدأ له.. والإنسان بشر يخطئ ويصيب على كل حال.

في كتاب «طبقات الأطباء والحكماء» لأبي داود سليمان بن حسان الأندلسي المعروف بابن جلجل الذي ألفه عام 377هـ[2].

ذكر

الطبقة العالية الأولية

ممن تكلم في الحكمة الطبية والفلسفة العلوية.

قال أبو معشر البلخي المنجم، في كتاب الألوف: الهرامسة ثلاثة أولهم:

---

(1) طبعة بيروت 1969، ص270 ـ 271.

(2) تحقيق فؤاد السيد طبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة عام 1955 ص5 ـ10.

1 . هرمس

الذي كان قبل الطوفان . ومعنى هرمس لقب ، كأن يقال قيصر وكسرى . . وتسميه الفرس في سيَرها ابن جهد ، وهو الذي تدَّعي الحرَّانية حكمته وتذكر أن جده جيومرت . وهو آدم ، ويذكر العَبرانيون أنه خنوخ ، وهو بالعربية إدريس .

قال أبو معشر : هو أول من تكلم في الأشياء العلوية من الحركات النجومية ، وإن جده جيومرت علمه ساعات الليل والنهار ، وهو أول من بنى الهياكل ومجد الله فيها ، وأول من نظر في الطب وتكلم فيه ، وإنه ألف لأهل زمانه قصائد موزونة ، وأشعاراً معلومة ، في الأشياء الأرضية والعلوية . وهو أول من أنذر بالطوفان ، ورأى أنه آفة سماوية تلحق بالأرض من الماء أو النار ، وكان مسكنه صعيد مصر ، تخير ذلك فبنى هنالك الأهرام ومدائن التراب ، وخاف ذهاب العلم بالطوفان فبنى البرابى ، وهو الجبل المعروف بالبربا (بإخميم) نحته وصور فيه جميع الصناعات وصنائعها نقشاً ، وصور جميع آلات الصناع وأشار إلى صفات العلوم برسوم ، حرصاً منه على تخليد العلوم لمن بعده ، وخيفة بأن يذهب رسم ذلك من العالم[1] .

وثبت في الأثر المروي عن السلف ، أن إدريس أول من درس الكتب ونظر في العلوم ، وأنزل الله عليه ثلاثين صحيفة ، وهو أول من خاط الثياب ولبسها ورفعه الله مكاناً علياً .

وحكى عنه أبو معشر حكايات شنيعة أتيت بأخفها وأقربها . وبالله التوفيق .

2 . هرمس الثاني

من أهل بابل ، سكن مدينة الكلدانيين وهي بابل ، (وكان) بعد الطوفان في زمن نبريزباني الذي هو أول من بنى بابل بعد نمرود بن كوش ، وكان بارعاً في علم الطب والفلسفة ، وعارفاً بطبائع الأعداد ، وكان تلميذ فيثاغورس الأرتماطيقي . وهرمس هذا ، جدد علم الطب والفلسفة وعلم العدد ماكان قد درس بالطوفان ببابل . ذكر أبو معشر .

ومدينة الكلدانيين هذه هي مدينة الفلاسفة من أهل المشرق ، وفلاسفتهم أول من حدد الحدود ورتب القوانين ، (وهم فلاسفة حذاق الفرس) .

---

(1) هذا ماكان يفسر به النقوش الموجودة على المعابد والقبور المصرية القديمة .

3. هرمس الثالث
(ويسمى أيضاً المثلث بالحكمة)

سكن مدينة مصر. كان بعد الطوفان. وهو صاحب كتاب الحيوان ذوات السموم. وكان فيلسوفاً طبيباً، عالماً بطبائع الأدوية القتالة والحيوانات المعدية وكان جوالاً في البلاد طوافاً بها، عالماً بنصبة المدائن وطبائعها وطبائع أهلها، وله كلام (حسن) في صناعة الكيمياء نفيس، يتعلق منه إلى صناعات (كثيرة) كالزجاج والخرز والغضائر ومأأشبه ذلك، وكان له تلميذ يعرف اسمه إسقلابيوس، له أخبار شنيعة وقصص كثيرة، تستجلب ماصح منها مما وقع في الكتب المعروفة إن شاء الله.

الصابئة وهرمس (أو بوذاسف)

يقول أبو الريحان محمد بن البيروني في كتابه «الآثار الباقية عن القرون الخالية» وهو المتوفى عام 449هـ[1].

«القول على تواريخ المتنبئين وأممهم المخدوعين. . .

وأول المذكورين ـ بوذاسف وقد ظهر عند مضي سنة من ذلك طهمورث بأرض الهند وأتى بالكتابة الفارسية ودعا إلى ملة الصابئين فاتبعه خلق كثير، وكانت الملوك البشداذية وبعض الكيايثة ممن كان قد استوطن بلخ يعظمون النيِّرَيْن والكواكب وكليات العناصر ويقدسونها إلى وقت ظهور زرادشت بعد مضي ثلاثين سنة من ملك بشتاسف، وبقايا أولئك الصابئة بحرَّان يُنسبُون إلى موضعهم فيقال لهم الحرَّانية، وقد قيل إنها هاران بن ترح أخي إبراهيم عليه السلام، وقد كان من بين رؤسائهم أوغلهم في الدين وأشدهم تمسكاً به وحكى عنه ابن سنكلا النصراني في كتابه الذي قصد فيه نقض نحلتهم فحشاه بالكذب والأباطيل أنهم يقولون أن إبراهيم عليه السلام إنما خرج عن جملتهم لأنه في قلفته برص، وإن من كان به ذلك فهو نجس لايخالطونه فقطع قلفته بذلك السبب يعني اختتن، ودخل إلى بيت من بيوت الأصنام فسمع صوتاً من الصنم يقول له ياإبراهيم خرجت من عندنا بعيب واحد وجئتنا بعيبين ولاتعاود المجيء إلينا فحمله الغيظ على أن جعلها جذاذاً وخرج من جملتهم،

(1) طبعة دار المثنى ببغداد ص204 ومابعدها.

ثم إنه ندم بعد مافعله وأراد ذبح ابنه لكوكب المشتري على عادتهم في ذبح أولادهم زعم فلما علم كوكب المشتري صدق توبته فداه بكبش، وكذلك حكى عبد المسيح بن إسحاق الكندي النصراني عنهم في جوابه عن كتاب عبد الله بن إسماعيل الهاشمي أنهم يعرفون بذبح الناس ولكن ذلك لايمكنهم اليوم جهراً، ونحن لانعلم منهم إلا أنهم أناس يوحدون الله وينزهونه عن القبائح بالسلب لا الإيجاب كقولهم لايحد ولايرى ولايظلم ولايجور، ويسمونه بالأسماء الحسنى مجازاً، إذ ليس عندهم صفة بالحقيقة، وينسبون التدبير إلى الفلك وأجرامه، ويقولون بحياتها ونطقها وسمعها وبعمرها ويعظمون الأنوار، ومن آثارهم القبة التي فوق المحراب عند المقصورة في جامع دمشق وكان مصلاهم أيام كان اليونانيون والروم على دينهم، ثم صارت في أيدي اليهود فعملوها كنيستهم ثم تغلب عليها النصارى فصيروها بيعة إلى أن جاء الإسلام وأهله فاتخذوها مسجداً، وكانت لهم هياكل وأصنام بأسماء الشمس معلومة الأشكال كما ذكرها أبو معشر البلخي في كتابه في بيوت العبادات مثل هيكل بعلبك كان لصنم الشمس، وحرَّان فإنها منسوبة إلى القمر وبناؤها على صورته كالطيلسان، وبقربها قرية تسمى سلمسين واسمها القديم صنم القمر، وقرية أخرى تسمى ترع عوز أي باب الزهرة، ويذكرون أن الكعبة وأصنامها كانت لهم وعبدتها كانوا من جملتهم، وأن اللات كان باسم زحل، والعزى باسم الزهرة، ولهم أنبياء كثيرة أكثرهم فلاسفة يونان كهرمس المصري وأغاذيمون وواليس وفيثاغورس وبابا وسوار جد أفلاطون من جهة أمه وأمثالهم، ومنهم من حرم عليه السمك خوفاً أن يكون رعادة، والفرخ لأنه أبدا محموم، والثوم لأنه مصدع محرق للدم أو المنى الذي منه قوام العالم، والباقلاء فإنه يغلظ الذهن ويفسده، وإنه في أول الأمر إنما نبت في جمجمة إنسان، ولهم صلوات ثلاث مكتوبات أولها عند طلوع الشمس ثماني ركعات، والثانية قبل زوال الشمس عن وسط السماء خمس ركعات، والثالثة عند غروب الشمس خمس ركعات، وفي كل ركعة في صلواتهم ثلاث سجدات ويتنقلون بصلاة في الساعة الثانية من النهار وأخرى في التاسعة من النهار وثالثة في الساعة الثالثة من الليل، ويصلون على طهر ووضوء، ويغتسلون من الجنابة ولايختتنون إذ لم يؤمروا بذلك زعموا، وأكثر أحكامهم في المناكح والحدود مثل أحكام المسلمين، وفي التنجس عند مس الموتى وأمثال ذلك شبيهة بالتورية، ولهم قرابين متعلقة بالكواكب وأصنامها وهياكلها، وذبائح يتولاها كهنتهم وفاتنوهم ويستخرجون من ذلك علم ماعسى

يكون المقرب وجواب مايسأل عنه ، وقد يسمى هرمس بإدريس الذي ذكـر في التورية أخنوخ وبعضهم زعم أن بوذاسف هو هرمس وقد قيل إن هؤلاء الحرَّانية ليسوا هـم الصابئة بالحقيقة بل هم المسمون في الكتب بالحنفاء والوثنية ، فإن الصابئة هـم الذيـن تخلفـوا ببـابل مـن جملـة الأسباط الناهضة في أيام كورش وأيام أرطحشت إلى بيت المقدس ، ومالوا إلى شرائع المجوس فصبوا إلى دين بختنصر فذهبوا مذهباً ممتزجاً من المجوسـية واليهودية كالسـامرة بالشـام ، وقـد يوجد أكثرهم بواسط وسواد العراق بناحية جعفر والجامدة ونهرى الصلـة منتمـين إلـى أنـوش بن شيث ومخالفين للحرانيـة عـائبين مذاهبهـم ولايوافقونهـم إلا في أشـياء قليلـة ، حتـى إنهـم يتوجهون في الصلاة إلى جهة القطب الشـمالي ، والحرَّانيـة إلـى الجنوبـي ، وزعـم بعـض أهـل الكتاب أنه كان لمتوشالح ابنٌ غيرلمك تسمى صابي ، وأن الصابئـة سـموا بـه وكـان النـاس قبـل ظهور الشرائع وخروج بوذاسـف شـمنبيين سـكان الجـانب الشـرقي مـن الأرض وكـانوا عبـدة أوثان ، وبقاياهم الآن بـالهند والصـين والتغزغـز ، ويسـميهم أهـل خراسـان شـمنان وآثـارهم وبهارات أصنامهم وفرخاراتهم ظاهرة في ثغور خراسان المتصلة بالهند ، ويقولون بقدم الدهـر وتناسخ الأرواح وهوى الفلك في خلاء غير متناه ، ولذلك يتحرك علـى اسـتدارة فـإن الشـيء المدور إذا أزيل ينزل مع دوران زعموا ، ومنهم من أقر بحدوث العالم وزعم مدتـه ألـف ألـف سنة مقسومة بأربعة أقسام أولها أربعمائة ألف وهو زمان الصـلاح والخير ، فيجتمـع لـه ثلاثـة آلاف وأربع مئة وسبع وخمسون ، ونظن أنهم يلاحوننا فيما نورده من معنى نجومي لاشتراكنا معهم في علمه ، فإذن ليس لاعتلال المعتل وتأويل المتأول معنى بوجه من الوجوه . هـذا الـذي ذكرنا من أمر القسمة يشهد لأهل مصر في أمر الحدود ، فإن مدة حد الزهرة في الحوت أربعمائة سنة على قولهم ومائتان وست وستون سنة على قول بطليموس ، وقد قدمنا أن المدة التي بـين الإسكندر وأردشير يجاوز الأربع مائة سنة ، واجتهدنا في تصحيح ذلك ونعود الآن فنقـول إن الفرس كانوا يدينون بما أورده زرادشت من المجوسية لايفترقون فيهـا ولايختلفـون إلـى ارتفـاع عيسى وتفرق تلامذته في الأقطـار للدعـوة وأنهـم لما تفرقـوا في البـلاد وقـع بعضهـم إلـى بـلاد الفرس وكان ابن ديصان ومرقيون من استجاب وسمعا كـلام عيسـى وأخـذا منـه طرفـاً ، وممـا سمعا من جهة زرادشت طرفا واستنبط كل واحد من كلا القولين مذهباً يتضمـن القـول بقـدم الأصلين ، وأخرج كل واحد منهما إنجيلاً نسبه إلى المسيح وكذب ماعداه ، وزعم ابن ديصـان أن نور الله قد حـل قلبـه ، ولكـن الخـلاف لـم يبلـغ بحيـث يخرجهمـا وأصحابهمـا مـن جملـة

النصارى ولم يكن إنجيلاهما مباينين في جميع الأسباب لإنجيل النصارى بل زيادات ونقصان وقع فيهما والله أعلم.

وقد جاء في كتاب «طبقات الأمم» لابن صاعد الأندلسي المتوفى عام 1070م مايلي:

«وكان من الكلدانيين علماء من أجَلِّ الناس فضلاً وحكماً متوسعون في فنون المعارف من المهن التعليمية والعلوم الرياضية والإلهية. وكانت لهم علوم بأرصاد الكواكب وتَحقُّق بعلم أسرار الفلك ومعرفة مشهورة بطبائع النجوم وأحكامها وخواص المولدات وقواها. وهم نهجوا لأهل الشق الآخر من معمور الأرض الطريق إلى تدبير الهيكل لاستجلاب قوى الكواكب وإظهار طبائعها وطرح شعاعاتها عليها بأنواع القرابين المؤلفة لها وضروب التدابير المخصوصة بها، فظهرت منهم الأفاعيل الغريبة والنتائج العجيبة من انتماء الطلسمات وغيرها من صناعة السر.

وأشهر علمائهم عندنا وأجَلُّهم هو هرمس البابلي، وكان في عهد سقراط الفيلسوف اليوناني. وذكر عنه أبو معشر جعفر بن محمد بن عمر البلخي في كتاب (الألوف) أنه هو الذي صحح كثيراً من كتب الأوائل في علوم النجوم وغيرها من أصناف الفلسفة مما كان فسد، وأنه صنف كتباً كثيرة في علوم شتى. قال أبو معشر: والهرامس جماعة شتى منهم الهرمس الذي كان قبل الطوفان الذي يزعم العبرانيون أنه خنوخ النبي، وهو إدرس عليه السلام. وكان بعد الطوفان منهم عدة ذوي معرفة وتمييز، وكان للقدم منهم اثنان، البابلي الذي ذكرنا والآخر تلميذ فيثاغورس الحكيم من سكان مصر.

قال صاعد وقد وصل إلينا من مذهب هرمس البابلي مادل على تقدمه في العلم، من ذلك مذهبه في مطارح شعاعات الكواكب ومذهبه في تسوية بيوت الفلك، ومن ذلك كتبه في أحكام النجوم مثل كتاب (الطول) وكتاب (العرض) وكتاب (قضيب المذهب) (ص19)».

«وذكر جماعة من العلماء أن جميع العلوم التي ظهرت قبل الطوفان إنما صدرت عن هرمس الأول الساكن بصعيد مصر الأعلى وهو الذي يسميه العبرانيون خنوخ بن يارد بن مهلائيل بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام وهو إدريس النبي عليه السلام. وقالوا إنه

أول من تكلم في الجواهر العلوية والحركات النجومية، وأول من بنى الهياكل ومجد الله تعالى فيها، وأول من نظر في علم الطب وألف لأهل زمانه قصائد موزونة في الأشياء الأرضية والسماوية. وقالوا إنه أول من أنذر بالطوفان ورأى أن آفة سماوية تلحق الأرض من الماء والنار فخاف ذهاب العلم ودروس الصنائع، فبنى الأهرام والبرابي في صعيد مصر الأعلى وصور فيها جميع الصنائع والآلات، ورسم فيها صفات العلوم حرصاً منه على تخليدها لمن بعده وخيفة أن يذهب رسمها من العالم».

ويقول عن هرمس الثاني:

ومن قدماء العلماء بمصر هرمس الثاني وكان فيلسوفاً جوالاً في البلاد طوافاً على المدائن بنصب أهلها وطبائع أهلها، وله كتاب جليل في صناعة الكيميا، وكتاب في الحيوانات ذوات السموم (ص41).

وفي قصيدة نشوان الحجري المتوفى 537هـ تلميحات لإدريس عليه السلام وأنه من أصول العرب العاربة وقحطان [1].

لاتبتئس للحادثات ولاتكن	بمسرة في الدهر بالمفراح
أفأين هودٌ وأصفى ووصية	قحطان زرع نبوة وصلاح

هود النبي صلى الله عليه وسلم ابن عابر بن شالح بن أرفحشذ بن سام بن نوح بن لمك بن متوشلح بن أخنوخ وهو إدريس عليه السلام، ابن يارد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم أبي البشر صلى الله عليه وسلم. واتفق كثير من علماء السير، أن أول نبي مرسل بعثه الله بعد نوح بشيراً ونذيراً وأميناً على وحيه هو هود عليه السلام، وهو أبو العرب العاربة، وهو الذي يقول فيه علقمة:

أبونا نبي الله هود بن عابر	ونحن بنو هود النبي المطهر
لنا الملك في شرق البلاد وغربها	ومفخرنا يسمو على كل مفخر
فمن مثل كهلان القواضب والقَنا	ومن مثل أملاك البرِيَّة حِمْيَر

(1) ملوك حمير وأقيال اليمن قصيدة نشوان الحميري المتوفى عام 537هـ تحقيق الجرافي والمؤيد ـ دار العودة ـ بيروت.

في كتاب «الملل والنحل» للشهرستاني المتوفى 548هـ[1] .

حكم هرمس العظيم

المحمود آثاره، المَرْضيُّ أقواله، الذي يعد من الأنبياء الكبار، ويقال هو إدريس النبي عليه السلام، وهو الذي وضع أسامي البروج، والكواكب السيارة، ورتبها في بيوتها وأثبت لها الشرف والوبال والأوج والحضيض والمناظر بالتثليث والتسديس والتربيع والمقابلة والمقارنة والرجعة والاستقامة، وبين تعديل الكواكب وتقويمها، وأما الأحكام المنسوبة إلى هذه الاتصالات فغير مبرهن عليها عند الجميع، وللهند والعرب طريقة أخرى في الأحكام، أخذوها من خواص الكواكب، لامن طبائعها، ورتبوها على الثوابت لاعلى السيارات، ويقال إن عاذيمون وهرمس هما شيث وإدريس عليهما السلام، ونقلت الفلاسفة عن هاذيمون أنه قال، المبدئ الأول خمسة، الباري تعالى، والعقل، والنفس، والمكان، والخلاء، وبعدها وجود المركبات، ولم ينقل هذا هن هرمس.

قال هرمس، أول مايجب على المرء الفاضل بطباعه، المحمود بسنخه، المَرْضيِّ في عادته. المرجُوِّ في عاقبته، تعظيم الله عز وجل وشكره على معرفته، وبعد ذلك، فللناموس عليه حق الطاعة له، والاعتراف بمنزلته، وللسلطان عليه حق المناصحة والانقياد، ولنفسه عليه حق الاجتهاد، والدأب في فتح باب السعادة، ولخلصائه عليه حق التحلي لهم بالود والتسارع إليهم بالبذل، فإذا أحكم هذه الأسس، لم يبق عليه إلا كف الأذى عن العامة، وحسن المعاشرة بسهولة الخلق، انظروا معاشر الصابئة كيف عظم أمر الرسالة، حتى قرن طاعة الرسول الذي عبر عنه بالناموس بمعرفة الله عز وجل، ولم يذكر هاهنا تعظيم الروحانيات ولاتعرض لها، وإن كانت هي من الواجبات، وسئل بماذا يحسن رأي الناس في الإنسان، قال بأن يكون لقاؤه لهم لقاء جميلاً، ومعاملته إياهم معاملة حسنة، وقال مودة الإخوان أن لايكون لرجاء منفعة، أو لدفع مضرة، ولكن لصلاح فيه وطباع له، وقال أفضل مافي الإنسان من الخير العقل، وأجدر الأشياء أن لايندم عليه صاحبه العمل الصالح، وأفضل مايحتاج إليه في تدبير الأمور الاجتهاد، وأظلم الظلمات الجهل، وأوبق الأشياء الحرص، وقال، من أفضل البر ثلاثة الصدق في الغضب والجود في العسرة، والعفو عند المقدرة، وقال، من لم يعرف عيب نفسه فلا قدر لنفسه عنده، وقال، الفصل بين العاقل والجاهل، أن

(1) تصحيح الأستاذ أحمد فتحي محمد الجزء الثاني ص202 ومابعدها .

العاقل منطقه لـه، والجاهل منطقه عليـه، وقـال لاينبغـي للعـاقل أن يستخف بثلاثـة أقـوام: السلطان، والعلماء والإخوان فإن من استخف بالسـلطان أفسـد عليـه عيشه، ومـن استخف بالعلماء أفسد عليه دينه، ومن استخف بـالإخوان أفسد عليـه مروءتـه، وقـال: الاستخفاف بالموت هو أحد فضائل النفس، وقال المرء حقيق أن يطلب الحكمة، ويثبتها في نفسه أولى بـأن لايخرج من المصائب التي تعم الأخبار، ولايأخذه الكبر فيما يبلغه من الشرف، ولايعيِّر أحداً بما هو فيه، ولايغيره الغنى والسلطان، وأن يعدل بين نيتـه وقولـه، حتـى لايتفـاوت، وتكـون سنته مالاعيب فيه، ودينه مالايختلف فيه، وحجته الشره والسخط، وإنما يكون كـل السرور بالقناعة والرضى، وكل الحزن بالشره والسـخط. ويحكـى عنـه فيمـا كتبـه أن أصـل الضـلال والهلكة لأهله أن يعد مافي العالم من الخير من عطية الله عز وجل ومواهبه، ولايعد مافيـه مـن الشر والفساد من عمل الشيطان ومكايده، ومن افترى على أخيه فرية لـم يخلـص مـن تبعتهـا حتى يجازى بها. فكيف يخلص من أعظم الفرية علـى الله عـز وجـل أن جعلـه سبباً للشرور وهو معدن الخير، وقـال: الخير والشر واصـلان إلـى أهلهمـا لامحالـة، فطوبـى والويـل لمـن أجرى وصولهما إلى من وصلا إليه وعلى يديه، وقال: الإخـاء الدائـم الـذي لايقطعـه شـيء اثنان، أحدهما محبة المـرء نفسـه في أمـر معـاده، وتهذيبـه إياهـا في العلـم الصحيـح، والعمـل الصالح والآخر مودته لأخيـه في ديـن الحـق، فـإن ذلـك مصـاحب أخـاه في الدنيـا بجسـده وفي الآخرة بروحه، وقال الغضب سلطان الفظاظة والحرص سلطان الفاقة، وهما منشأ كل سـيئة ومُفْسدا كل جسد، ومُهلكا كل روح، وقال: كل شيء يطاق تغييره إلا الطبـاع، وكـل شـيء يقدر على إصلاحه غير الخلق السوء، وكل شـيء يستطاع دفعـه إلا القضـاء، وقـال: الجهـل والحمق للنفس بمنزلة الجوع والعطش للبدن، لأن هذين خلاء النفس، وهذين خـلاء البـدن، وقال: أحمد الأشياء عند أهل السماء والأرض لسان صادق ناطق بالعدل والحكمة والحـق في الجماعة، وقال: أدحض الناس حجة من شهد على نفسـه بدحـوض حجتـه، وقـال مـن كـان دينه السلامة والرحمة والكف عن الأذى فدينه دين الله عـزَّ وجـلَّ، وخصمـه لـه شـاهد بفلـج الحجة، ومن كان دينه الإهلاك والفظاظة والأذى فدينه دين الشيطان، وهو بدحـوض حجتـه شاهد على نفسه، وقال: الملوك تحتمل الأشياء كلها إلا ثلاثة: قدح في الملك، وإفشاء للسر، وتعرض للحرمة، وقال: لاتكن أيها الإنسان كـالصبي إذا جـاع صغـى، ولا كـالعبد إذا شـبع طغى، ولا كالجاهل إذا ملك بغى، وقال، لاتشيرن على عدو ولاصديـق إلا بالنصيحـة، أمـا

الصديق فيقضى بذلك من واجبه، وأما العدو فإنه إذا عرف نصيحتك إياه هابك، وحسدك، وإن صح عقله استحيا منك، وراجعك، وقال: يدل على غريزة الجود السماحة عند العسرة، وعلى غريزة الورع الصدق عند الشره، وعلى غريزة الحلم العفو عند الغضب، وقال: من سره مودة الناس له ومعونتهم إياه وحسن القول منهم فيه، حقيق بأن يكون مثل ذلك لهم، وقال: لايستطيع أحد أن يحوز الخير والحكمة، ولا أن يخلص نفسه من المعايب، إلا أن يكون له ثلاثة أشياء، وزير، وولي وصديق، فوزيره عقله، ووليه عفته، وصديقه عمله الصالح، وقال: كل إنسان موكول بإصلاح قدر باع من الأرض، فإنه إذا أصلح قدر ذلك الباع صلحت له أموره كلها، وإذا أضاعه أضاع الجميع، وقدر ذلك نفسه، وقال: لايمدح بكمال العقل من لم تكمل عفته، ولابكمال العلم من لم يكمل عقله، وقال: من أفضل أعمال العلماء ثلاثة أشياء؛ أن يبدلوا العدو صديقاً، والجاهل عالماً، والفاجر بَراًّ، وقال: الصالح من يعد خيره خيراً لكل أحد، ومن يعد خير كل أحد لنفسه خيراً، وقال: ليس بحكمة مالم يعاد الجهل، ولابنور مالم يمحق الظلمة، ولابطيب مالم يدفع النتن، ولابصدق مالم يدحض الكذب، ولابصالح مالم يخالف الصالح والله أعلم.

ابن الأثير والكامل في التاريخ[1] المتوفى في عام 1234م/630هـ

(ذكر خنوخ وهو إدريس عليه السلام)

ثم نكح خنوخ بن يرد هدانة ويقال أدانة ابنة باويل بن محويل بن خنوخ بن قين بن آدم وهو ابن خمس وستين سنة، فولدت له متوشلخ بن خنوخ، فعاش بعدما ولد متوشلخ ثلاث مئة سنة، ثم رفع، واستخلفه خنوخ على أمر ولده وأمر الله، وأوصاه وأهل بيته قبل أن يرفع، وأعلمهم أن الله سوف يعذب ولد قابيل ومن خالطهم، ونهاهم عن مخالطتهم. وأنه كان أول من ركب الخيل لأنه سلك رسم أبيه خنوخ في الجهاد، ثم نكح متوشلخ عربا ابنة عزازيل بن أنوشيل بن خنوخ بن قين وهو ابن مائة سنة وسبع وثلاثين سنة، فولدت له لمك ابن متوشلخ، فعاش بعدها ماولد له لمك سبعمائة سنة، وولد له بنون وبنات فكان كل ماعاش متوشلخ تسعمائة وعشرين سنة، ثم مات وأوصى إلى ابنه لمك فكان يعظ قومه

---

(1) عن كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير المتوفى 630هـ طبعة دار الفكر بيروت عام 1978 ج1 ص35 و 36.

وينهاهم عن مخالطة ولد قابيل فلم يقبلوا حتى نزل إليهم جميع من كان معهم في الجبل، وقيل كان لمتوشلخ ابن آخر غير لمك يقال له صابئ وبه سمي الصابئون.

وجاء في «تاريخ الحكماء» للقفطي المتوفى عام 1248م/646هـ[1]

[إدريس] النبي صلى الله عليه وسلم. وقد ذكر أهل التواريخ والقصص وأهل التفسير منَ أخباره ماأنا في غنى من إعادته وأنا ذاكر ماقاله الحكماء خاصة، اختلف في مولده ومنشئه وعمن أخذ العلم قبل النبوة، فقالت فرقة ولد بمصر وسموه هرمس الهرامسة ومولده بمنف، وقالوا هو باليونانية أرميس وعرب بهرمس ومعنى أرميس عطارد، وقال آخرون اسمه باليونانية طرميس وهو عند العبرانيين اسمه خنوخ وعرب أخنوخ وسماه الله عز وجل في كتابه العربي المبين إدريس، وقال هؤلاء أن معلمه اسمه الغوثاذيمون وقيل أغثاذيمون المصري ولم يذكروا من كان هذا الرجل إلا أنهم قالوا إنه كان أحد الأنبياء اليونانيين والمصريين، وسموه أيضاً أورين الثاني وإدريس عندهم أورين الثالث، وتفسير غوثاذيموس السعيد الجد، وقالوا خرج هرمس من مصر وجاب الأرض كلها ثم عاد إليها ورفعه الله إليه بها، وذلك بعد اثنتين وثمانين سنة من عمره، وقالت فرقة أخرى إن إدريس ولد ببابل ونشأ بها وإنه أخذ في عمره بعلم شيث بن آدم وهو جد جد أبيه إدريس لأن إدريس بن يارد بن مهلائيل بن قينان بن شيث. قال الشهرستاني: إن أغثاذيمون هو شيث، ولما كبر إدريس آتاه الله النبوة فنهى المفسدين من بني آدم عن مخالفتهم شريعة آدم وشيث، فأطاعه أقلهم وخالفهم فنوى الرحلة عنهم وأمر من أطاعه منهم بذلك فثقل عليهم الرحيل عن أوطانهم فقالوا له وأين نجد إذا رحلنا مثل بابل، وبابل بالسريانية النهر وكأنهم عنوا بذلك دجلة والفرات، فقال إذا هاجرنا لله رزقنا غيره فخرج وخرجوا وساروا إلى أن وافقوا هذا الإقليم الذي سمي بابليون فرأوا النيل وراؤه إلى أن وافوا هذا الإقليم الذي سمي بابليون ورأوْهُ النيل، ورأوه وادياً خالياً من ساكن، فوقف إدريس على النيل وسبح الله وقال لجماعته بابليون واختلف في تفسيره فقيل نهر كبير كنهركم، وقيل نهر مبارك، وقيل إن يون في السريانية مثل افْعَل التي للمبالغة في كلام العرب، وكأن معناه نهر أكبر فسمى الإقليم عند جميع الأمم بابليون وسائر فرق الأمم على ذلك، إلا العرب فإنهم يسمونه إقليم مصر نسبة إلى مصر بن حام النازل به بعد الطوفان

---

(1) طبعة دار الآثار بيروت ص2 ومابعدها.

والله أعلم بكل ذلك . . وأقام إدريس ومن معه بمصر يدعو الخلائق إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وطاعة الله عزَّ وجلَّ وتكلم الناس في أيامه باثنين وسبعين لساناً ، وعلمه الله عزَّ وجلَّ منطقهم ليُعلِّم كل فرقة منهم بلسانها ، ورسم له تمدين المدن وجمع له طالبي العلم بكل مدينة فعرفهم السياسة المدنية ، وقرر لهم قواعد فبنت كل فرقة من الأمم مدناً في أرضها ، وكانت عدة المدن التي أنشئت في زمانه مائة مدينة وثمان وثمانين مدينة أصغرها الرها ، وعلَّمهم العلوم . . وهو أول من استخرج الحكمة وعلم النجّوم ، فإن الله عزَّ وجلَّ أفهمه سر الفلك وتركيبه ونقطة اجتماع الكواكب فيه ، وأفهمه عدد السنين والحساب ، ولولا ذلك لم تصل الخواطر باستقرائها إلى ذلك ، وأقام للأمم سنناً في كل إقليم تليق كل سنة بأهلها وقسم الأرض أربعة أرباع ، وجعل على كل ربع ملكاً يسوس أمر المعمور من ذلك الربع ، وتقدم إلى كل ملك بأن يلزم أهل كل ربع بشريعة سأذكر بعضها ، وأسماء الأربعة الملوك الذين ملكوا . الأول إيلاوس وتفسيره الرحيم . والثاني أوس . والثالث سقلبيوس والرابع أوس آمون وقيل إيلاوس آمون وقيل يسيلوخس وهو آمون الملك .

(ذكر بعض) ماسنه لقومه المطيعين له . دعا إلى دين الله والقول بالتوحيد وعبادة الخالق وتخليص النفوس من العذاب في الآخرة بالعمل الصالح في الدنيا ، وحض على الزهد في الدنيا والعمل بالعدل وأمرهم بصلوات ذكرها لهم على صفات بينها ، وأمرهم بصيام أيام معروفة من كل شهر وحثهم على الجهاد لأعداء دينهم وأمرهم بزكاة الأموال معونة للضعفاء بها ، وغلظ عليهم في الطهارة من الجنابة وحرم عليهم لحم الحمار والكلب وحرم السكر من كل شيء من المشروبات ، وشدد فيه أعظم التشديد ، وجعل لهم أعياداً كثيرة في أوقات معروفة وقربانات منها لدخول الشمس رؤس البروج ، ومنها لرؤية الهلال وكلما صارت الكواكب في بيوتها وشرفها وناظرت كواكب أُخَر .

ذكر ماأمر به من القرابين . . أمر بتقريب ثلاثة أشياء : البخور والذبائح والخمر ، وتقريب كل باكورة فمن الرياحين الورد ومن الحبوب الحنطة ومن الفواكه العنب ، ووعد أهل ملته بأنبياء يأتون من بعده عدة وعرفهم صفة النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يكون بريأ من المذمات والآفات كلها كاملاً في الفضائل الممدوحات ، لايقصر عن مسألة يسئل عنها مما في الأرض والسماء ومما فيه دواء وشفاء من كل ألم ، وأنه يكون مستجاب الدعوة في كل مايطلبه ، وأنه يكون مذهبه ودعوته المذهب الذي يصلح به العالم . ولما ملك إدريس الأرض

رتب الناس ثلاث طبقات كهنة وملوكاً ورعية وجعل مرتبة الكاهن فوق مرتبة الملك؛ لأن الكاهن يسأل الله في نفسه وفي الرعية وليس للملك أن يسألَ الله إلا في نفسه وفي ملكه وفي الرعية، وماله أن يسأله في الكاهن لأن الكاهن أقرب إلى الله منه فقد نقصت منزلة الملك بهذا عن منزلة الكاهن، وليس للرعية أن تسأل الله في شيء إلا في نفسها، لأن الملك أجل منزلة منها عند الله الذي ملّكه على الرعية فنقصوا بذلك مرتبة عن الملك، ومرتبتين عن الكاهن، فلم يزالوا على هذه القاعدة من العمل في العبادة وآداب الأئتمار بهذه الشريعة إلى أن رفع الله إدريس إليه وخلفه أصحابه على شريعته. وكان أقوى الملوك عزماً من الأربعة إسقلبيوس، فإنه أجهد لحفظ الكلمة وقوانين الشريعة الإدريسية، وحزن لرفع إدريس من بين أظهرهم وصور صورته في الهياكل، وصورة رفعه، وكان إسقلبيوس ملكاً في الجهة التي ملكها يونان بعد الطوفان فوجدوا صور إدريس ورفعه، وعلموا علو قدر إسقلبيوس وتدوينه الحكم لهم في الهياكل التي لم يفسدها الطوفان فظنوا أن إسقلبيوس هو الذي ارتفع إلى السماء وغلطوا في ذلك غلطاً بيناً، لأنهم أخذوه بالحدس، وسيأتي بعض ذلك في أخبار إسقلبيوس إن شاء الله تعالى وشريعته يعني إدريس هي المملكة الحقيقية وتعرف في ملة الصابئين بالقيمة وطبقة المعمور من الأرض، وكانت قبلته إلى حقيقة الجنوب على خط نصف النهار.

صورة هرمس الهرامسة وهو إدريس قيل إنه كان عليه السلام رجلاً آدم تام القامة أجلح حسن الوجه كثيف اللحية مليح الشمائل والتخاطيط، تام الباع عريض المنكبين ضخم العظام قليل اللحم براق العينين أكحلهما، متأنياً في كلامه كثير الصمت ساكن الأعضاء، إذا مشى أكثر نظره إلى الأرض، كثير الفكرة، به عبسة، وإذا اغتاظ احتد، يحرك سبابته إذا تكلم، وكانت مدة إقامته على الأرض اثنين وثمانين سنة، وكان على فص خاتمه الصبر مع الإيمان بالله يورث الظفر، وعلى المنطقة التي يلبسها في الأعياد حفظ الفروض والشريعة من تمام الدين، وتمام الدين كمال المروءة، وعلى المنطقة التي يلبسها وقت الصلاة على الميت، السعيد من نظر نفسه وشفاعته عند ربه أعماله الصالحة، وكانت له مواعظ وآداب استخرجها كل فرقة بلسانها تجري مجرى الأمثال والرموز، فأذكرُ بعضه إن شاء الله تعالى، فمن ذلك قوله: لن يستطيع أحد أن يشكر الله على نعمه بمثل الإنعام على خلقه، وقال: من أراد بلوغ العلم وصالح العمل فليترك من يده أداة الجهل وسيء العمل كما ترى الصانع الذي يعرف الصنائع كلها إذا أراد الخياطة أخذ آلتها وترك آلة النجارة، فحب الدنيا وحب الآخرة لايجتمعان في

قلب أبداً. وقال خير الدنيا حسرة وشرها ندم. وقال: إذا دعوتم الله سبحانه وتعالى فأخلصوا النية وكذا الصيام فافعلوا. وقال لاتحلفوا كاذبين ولاتهجموا على الله سبحانه وتعالى باليمين، ولاتُحلِّفوا الكاذبين فتشاركوهم في الإثم. وقال تجنبوا المكاسب الدنيئة. وقال أطيعوا ملوككم واخضعوا لأكابركم واملؤا أفواهكم بحمد الله. وقال: حياة النفس في الحكمة. وقال: اجتنبوا مصاحبة الأشرار. وقال لاتحسدوا الناس على مواتاة الحظ فإن استمتاعهم به قليل. وقال من تجاوز الكفاف لم يغنه شيء.. قال سليمان بن حسان المعروف بابن جلجل: الهرامسة ثلاثة أولهم هرمس الذي كان قبل الطوفان، ومعنى هرمس لقب كما يقال قيصر وكسرى، وتسميه الفرس في سيرها أبهجد وتذكر الفرس أن جده جبومرت، وتسمية العبرانيون خنوخ، وهو عندهم إدريس أيضاً، قال أبو معشر: وهو أول من تحكم في الأشياء العلوية من الحركات النجومية، وهو أول من بنى الهياكل ومجد الله فيها، وهو أول من نظر في الطب وتكلم فيه وألف لأهل زمانه قصائد موزونة وأشعاراً معلومة في الأشياء الأرضية والعلوية، وهو أول من أنذر بالطوفان وذلك أنه رأى أن آية سماوية تلحق الأرض من الماء والنار، وكان مسكنه صعيد مصر تخير ذلك فبنى هياكل الأهرام ومدائن البرابي، وخاف ذهاب العلم بالطوفان فبنى البرابي وصور فيها جميع الصناعات وصانعها نقشاً وصور جميع آلات الصناع، وأشار إلى صفات العلوم برسوم لمن بعده خشية أن يذهب رسم تلك العلوم، وثبت في الأثر المروي عن السلف أن إدريس أول من درس الكتب ونظر في العلوم وأنزل الله عليه صحيفة، وهو أول من خاط الثياب ولبسها ورفعه الله إليه مكاناً علياً، وحكى عنه أبو معشر حكايات شنيعة أتيت بأخفها وأقربها، انقضى كلام ابن جلجل.

زكريا بن محمد بن محمود القزويني في كتابه «آثار البلاد وأخبار العباد»[(1)] المتوفى عام 1283م/682هـ.

ومن الناس من يزعم أن هرمس الأول الذي يسميه اليونانيون أخنوخ بن يرد بن مهلائيل بن أنوش بن شيث بن آدم. عليه السلام، وهو إدريس. علم بطوفان نوح إما بالوحي أو بالاستدلال على ذلك من أحوال الكواكب. فأمر ببناء الأهرام وإيداعها الأموال وصحائف العلوم إشفاقاً عليها من الدروس، واحتياطاً عليها وحفاظاً عليها.

(1) طبعة دار صادر ببيروت ص 269.

(حنوخ بن يرد) ولد له متوشلح وعمره على الرأي السبعيني مائة وخمس وستون سنة، وعلى رأي اليهود خمس وستون سنة. هذا حنوخ تمسك بوصايا الله الطاهرة وعمل بها وتتبع الخير وصرف عن الشر مواظباً على العبادة ثلاث مئة سنة فنقله الله إلى حيث شاء حياً وقيل إلى الفردوس.

والأقدمون من اليونانيين يزعمون أن حنوخ هو هرمس، ويلقب طربسميجيسطيس أي ثلاثي التعليم، لأنه كان يصف الباري تعالى بثلاث صفات ذاتية هي الوجود والحكمة والحياة. والعرب تسمية إدريس. وقيل إن الهرامسة ثلاثة: الأول هرمس الساكن بصعيد مصر الأعلى وهو أول من تكلم في الجواهر العلوية وأنذر بالطوفان، وخاف ذهاب العلوم ودرس الصنائع فبنى الأهرام وصوَّر فيها جميع الصناعات والآلات ورسم فيها صفات العلوم حرصاً منه على تخليدها لمن بعده. والثاني هرمس البابلي سكن كلواذا مدينة الكلدانيين وكان بعد الطوفان، وهو أول من بنى مدينة بابل بعد نمرود بن كوش. والثالث هرمس المصري وهو الذي يسمى طريسميجيسطيس أي المثلث بالحكمة، لأنه جاء ثالث الهرامسة الحكماء، ونقلت من صحفه نبذ من مقالاته إلى تلميذه طاطي على سبيل سؤال وجواب بينهما، وهي على غير نظام وولاء؛ لأن الأصل كان بالياً مفرقاً، والنسخة موجودة عندنا بالسريانية، وقيل إن هرمس الأول بنى مائة وثمانين مدينة أصغرها الرها، وسن للناس عبادة الله والصوم والصلاة والزكاة والتعييد لحلول السيارة بيوتها وإشراقها، وكذلك كلما استهل الهلال وحلت الشمس برجاً من الاثني عشر. وأن يقربوا قرابين من كل فاكهة باكورتها، ومن الطيب والذبائح والخمور أنفسها. وحرَّم السكر والمآكل النجسة. والصابئة تزعم بن آدم هو أغاثاديمون المصري معلم هرمس. وكان إسقليبياذيس الملك أحد من أخذ الحكمة عن هرمس وولاه هرمس، ربع الأرض المعمورة يومئذ وهو الربع الذي ملكه اليونانيون بعد الطوفان. ولما رفع الله هرمس إليه حزن إسقليبياذيس حزناً شديداً تأسفاً على مافات الأرض من بركته وعلمه، وصاغ له تمثالاً على صورته ونصبه في هيكل عبادته. وإن التمثال على غاية مايمكن من إظهار أهبة الوقار عليه والعظمة في هيبته، ثم صوره مرتفعاً إلى السماء، وكان يَمْثُلُ بين يديه تارة ويجلس أخرى، ويتذكر شيئاً من حكمه ومواعظه على

العبادة. وبعد الطوفان ظن اليونانيون أن الصورة لإسقليباذيس فعظموه غاية التعظيم، وكان إبقراط إذا عهد إلى تلامذته يقول: نشدتكم الله باري الموت، الحياة وأبي وأبيكم إسقليبياذيس. وكان يصوره وبيده نبات الخطمي رمزاً منه إلى فضيلة الاعتدال في الأمور واللين والمؤاتاة والمطاوعة في المعاملة. وقال جالينوس: لايجب أن يرفض الشفاء الذي يحصل عليه المرضى بدخولهم هيكل إسقليبياذيس. أقول كلما ورد من أخبار ماقبل الطوفان ولم يسند إلى نبإ نبوي فهو حدس وتخمين لعدم المخبر به على الوجه.

أما عماد الدين إسماعيل أبي الفداء المتوفى عام 734هـ فقد قال في كتابه (المختصر في أخبار البشر) مايلي[1]:

ولما صار ليرد مائة واثنتان وستون، ولد له (حنوخ) بحاء مهملة ونون وواو وخاء معجمة ولمضي عشرين سنة من عمر حنوخ توفي شيث وعمره تسعمائة واثنتا عشرة.

«وكان عمر يرد لما توفي تسعمائة واثنتين وستين سنة، وأما حنوخ وهو إدريس فإنه رفع لما صار له من العمر ثلاث مئة وخمس وستون سنة رفعه الله إلى السماء، فكان ذلك لمضي ثلاث عشرة سنة من عمر لامخ قبل ولادة نوح بمائة وخمس وسبعين سنة، ونبأ الله إدريس المذكور وانكشفت له الأسرار السماوية، وله صحف منها لاترومو أن تحيطوا بالله خبرة فإنه أعظم وأعلى أن تدركه فطن المخلوقين إلا من آثاره».

في «البداية والنهاية» للحافظ بن كثير المتوفى عام 744هـ[2]

إدريس عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ فإدريس عليه السلام قد أثنى الله عليه ووصفه بالنبوة والصديقية، وهو خنوخ هذا، وهو في عمود نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ماذكره غير واحد من علماء النسب. وكان أول بني آدم أعطي النبوة بعد آدم وشيث عليهما السلام، وذكر ابن إسحاق

(1) المختصر في أخبار البشر لأبي الفداء ج2 ص9.
(2) ج1 ص99ـ100 طبعة مكتبة المعارف ببيروت الطبعة الثانية 1977.

أنه أول من خط بالقلم، وقد أدرك من حياة آدم ثلاثمائة سنة وثمانين سنين. وقد قال طائفة من الناس إنه المشار إليه في حديث معاوية بن الحكم السلمي لما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخط بالرمل، فقال إنه كان نبي يخط به، فمن وافق خطه فذاك، ويزعم كثير من علماء التفسير والأحكام أنه أول من تكلم في ذلك ويسمونه هرمس الهرامسة، ويكذبون عليه أشياء كثيرة كما كذبوا على غيره من الأنبياء والعلماء والحكماء والأولياء وقوله تعالى: ﴿ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ هو كما ثبت في الصحيحين في حديث الإسراء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر به وهو في السماء الرابعة، وقد روى ابن جرير عن يونس عن عبد الأعلى عن ابن وهب عن جرير بن حازم عن الأعشى عن شمر بن عطية عن هلال بن يساف قال سأل ابن عباس كعباً وأنا حاضر فقال له ماقول الله تعالى لإدريس ﴿ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ فقال كعب أما إدريس فإن الله أوحى إليه إني أرفع لك كل يوم مثل جميع عمل بني آدم (لعله من أهل زمانه) فأَحَبَّ أن يزداد عملاً، فأتاه خليل له من الملائكة فقال إن الله أوحى إلي كذا وكذا فكلم ملك الموت حتى أزداد عملاً فحمله بين جناحيه ثم صعد به إلى السماء، فلما كان في السماء الرابعة تلقاه ملك الموت منحدراً فكلم ملك الموت في الذي كلمه فيه إدريس فقال: وأين إدريس؟ قال: هو ذا على ظهري فقال ملك الموت فالعجب بعثت وقيل لي اقبض روح إدريس في السماء الرابعة فجعلت أقول كيف أقبض روحه في السماء الرابعة وهو في الأرض فقبض روحه هناك فذلك قول الله عز وجل ﴿ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ ورواه ابن أبي حاتم عند تفسيرها، وعنده فقال لذلك الملك سل لي ملك الموت كم بقي من عمري، فسأله وهو معه: كم بقي من عُمرِه؟ قال: لاأدري حتى أنظر، فنظر فقال إنك لتسألني عن رجل مابقي من عمره لا طرفة عيَن فنظر الملك إلى تحت جناحه إلى إدريس فإذا هو قد قبض وهو لايشعر، وهذا من الإسرائيليات وفي بعضه نكارة. وقول ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ﴿ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ قال إدريس رفع ولم يمت كما رفع عيسى، إن أراد أنه لم يمتْ إلى الآن ففي هذا نظر، وإن أراد الله رفع حياً إلى السماء ثم قبض هناك فلا ينافي ماتقدم عن كعب الأحبار والله أعلم. وقال العوفي عن ابن عباس في قوله ﴿ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ رفع إلى السماء فمات بها. وهكذا قال الضحاك. والحديث المتفق عليه من أنه في السماء الرابعة أصح، وهو قول مجاهد وغير واحد. وقال الحسن البصري ﴿ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ قال إلى الجنة. وقال قائلون رفع في

حياة أبيه يرد بن مهلاييل والله أعلم. وقد زعم بعضهم أن إدريس لم يكن قبل نوح بل في زمان بني إسرائيل.

قال البخاري ويذكر عن ابن مسعود وابن عباس أن إلياس هو إدريس، واستأنسوا في ذلك بما جاء في حديث الزهري عن أنس في الإسراء أنه لما مر به عليه السلام قال له مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح، ولم يقل كما قال آدم وإبراهيم مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح قالوا فلو كان في عمود نسبه لقال له كما قال آدم له على سبيل الهضم والتواضع ولم ينتصب له في مقام الأبوة كما انتصب لآدم أبي البشر وإبراهيم الذي هو خليل الرحمن وأكبر أولي العزم بعد محمد صلوات الله عليهم أجمعين.

في كتاب «قصص الأنبياء» للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير[1] المتوفى عام 774هـ. ذكر إدريس عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ۝ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ فإدريس عليه السلام قد أثنى الله عليه ووصفه بالنبوة والصديقية. وهو خنوخ هذا. وهو في عمود نسب رسول الله ﷺ على ماذكره غيره واحد من علماء النسب[2].

ونقتطف من رسائل إخوان الصفا بعض الفقرات التي وردت عن هرمس. وهم من القرن الرابع الهجري[3].

ويحكى عن هرمس المثلث بالحكمة، وهو إدريس النبي، عليه السلام أنه صعد إلى فلك زحل ودار معه ثلاثين سنة، حتى شاهد جميع أحوال الفلك، ثم نزل إلى الأرض فخبر الناس بعلم النجوم، قال الله تعالى: ﴿ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾. ص138.

(1) طبعة دار عمر بن الخطاب بالإسكندرية طبعة 1981.
(2) لم يتابع ابن كثير بنص بطابق النص السابق.
(3) رسائل إخوان الصفا الجزء الأول.

فصل في حقيقة نغمات الأفلاك

اعلم ياأخي ، أيدك الله وإيانا بروح منه ، أن في اعتبار هذه المقالات التي تقدم ذكرها في هذه الفصول الدالة على أن أحكم المصنوعات ، وأتقن المركبات ، وأحسن التأليفات هو ماكان تركيب بنيته على النسبة الأفضل ، وتأليف أجزائه على مثل ذلك دليل وقياس لكل عاقل متفكر معتبر ، على أن تركيب الأفلاك ، وكواكبها ومقادير أجرامها الأركان ومولداتها موضوعة بعضها على بعض على النسبة الأفضل . وهكذا أبعاد هذه الأفلاك وكواكبها وحركاتها متناسبات على النسبة الأفضل . وإن لتلك الحركات المتناسبة تفضلت متناسبات مطربات متوازيات لذيذات . كما بينا في حركات أوتار العيدان ونغماتها . فإذا تفكر ذو اللب واعتبر تبين له عند ذلك وعلم بأن لها صانعاً حكيماً صنعها ، ومركباً حاذقاً ركبها ، ومؤلفاً لطيفا ألفها ، وتيقن بذلك ، فتزول الشبهة المموهة التي دخلت على قلوب كثير من المرتابين ، وترتفع الشكوك ، ويتضح الحق ، ويعلم أيضاً ويتبين له أن في حركات تلك الأشخاص ونغمات تلك الحركات لذة وسروراً لأهلها ، مثل مافي نغمات أوتار العيدان لذة وسرور لأهلها في هذا العالم . فعند ذلك تشوقت نفسه إلى الصعود إلى هناك والاستماع لها والنظر إليها . كما صعدت نفس هرمس الثالث بالحكمة ، لما صفت ورأت ذلك ، وهو إدريس النبي عليه السلام . وإليه أشار بقوله تعالى : ﴿ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ وكما سمعته نفس فيثاغورس الحكيم لما صفت من درن الشهوات الجسمانية ، ولطفت بالأفكار الدائمة وبالرياضات العددية والهندسية والموسيقية . فاجتهد ياأخي أيدك الله وإيانا بروح منه ، في تصفية نفسك وتخليصها من بحر الهيولي ، وأسر الطبيعة ، وعبودية الشهوات الجسمانية ، وافعل كما فعلت الحكماء ووضعت في كتبها ، فإن جوهر نفسك من جوهر نفوسهم . وآمل كما وصفنا في كتاب الأنبياء ، عليهم السلام ، وصف نفسك من الأخلاق الرديئة والآراء الفاسدة والجهالات المتراكمة والأفعال السيئة ، فإن هذه الخصال هي المانعة لها عن الصعود إلى هناك بعد الموت ، كما ذكر الله تعالى بقوله : ﴿ لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ ﴾ . ص225 ، 226 .

فصل في قابلية الإنسان جميع الأخلاق

اعلم ياأخي، أيدك الله وإيانا بروح منه، بأن الله، جل ثناؤه، لما أراد أن يجعل في الأرض خليفة له من البشر ليكون العالم السفلي الذي هو دون فلك القمر عامراً بكون الناس فيه، مملوءاً من المصنوعات العجيبة على أيديهم، محفوظاً على النظام والترتيب بالسياسات الناموسية والملكوتية والفلسفية والعامية والخاصية جميعاً، ليكون العالم باقياً على أتم حالاته وأكمل غاياته، كما ذكر في السفر الرابع من صحف هرمس وهو إدريس النبي، عليه السلام، وذكرناه في رسالة الجامعة، وأشرنا إليه في رسائلنا، وكما سنبين في هذه الرسالة، فبدا أولاً ربنا تعالى فبنى لخليفته هيكلاً من التراب عجيب البنية، ظريف الخلقة، مختلف الأعضاء، كثير القوى، ثم ركبها وصورها في أحسن صورة من سائر الحيوانات، ليكون بها مفضلاً عليها، مالكاً لها، متصرفاً فيها كيف يشاء، ثم نفخ فيه من روحه، فقرن ذلك الجسد الترابي بنفس روحانية من أفضل النفوس الحيوانية وأشرفها، ليكون بها متحركاً حساساً دراكاً علاماً عاملاً فاعلاً مايشاء، ثم أيد نفسه بقوى روحانية سائر الكواكب في الفلك، ليكون متهيئاً له بها، وممكناً له قبول جميع سائر الأخلاق، وتعلم جميع العلوم والآداب والرياضيات والمعارف والسياسات، كما مكنه وهيأ له بأعضاء بدنه المختلفة الأشكال والهيئات تعاطي جميع الصنائع البشرية، والأفعال الإنسانية، والأعمال الملكية. ص297.

وعن ابن خلدون المتوفى عام 808هـ
ننقل من كتابه المعروف باسم تاريخ ابن خلدون مايلي[1]:

«وليس لدينا من أخبار آدم وذريته إلا ماوقع في الوصف الكريم وهو معروف بين الأئمة، واتفقوا على أن الأرض عمرت بنسله أحقاباً وأجيالاً بعد أجيال إلى عصر نوح عليه السلام، وأنه كان فيهم أنبياء مثل شيث وإدريس، وملوك في تلك الأجيال معدودون، وطوائف مشهورون بالنحل، مثل الكلدانيين ومعناه الموحدون، ومثل السريانيين وهم المشركون وزعموا أن أمم الصابئة منهم وأنهم من ولد صابئ بن لمك بن أخنوخ، وكان نحلتهم في الكواكب والقيام لها كلها واستنزل روحانيتها وأن من حزبهم الكلدانيين أي الموحدين، وقد ألف أبو إسحاق الصابي الكاتب مقالة في أنسابهم ونحلتهم، وذكر أخبارهم أيضاً داهر مؤرخ

---

(1) تاريخ ابن خلدون ج2 طبعة بيروت عام 1951 ص5.

السريانيين، والبابا الصابي الحراني، وذكر استيلاءهم على العالم وجملاً من نواميسهم، وقد اندرسوا وانقطع أثرهم، وقد يقال إن السريانيين من أهل تلك الأجيال، وكذلك النمرود والازدهاق وهو المسمى بالضحاك من ملوك الفرس، وليس ذلك بصحيح عند المحققين واتفقوا على أن الطوفان الذي كان في زمن نوح وبدعوته ذهب بعمران الأرض أجمع، بما كان من خراب المعمور، ومَهْلك الذين ركبوا معه في السفينة، ولم يعقبوا فصار أهل الأرض كلهم من نسله، وعاد أباً ثانياً للَخليفة وهو نوح بن لامك، ويقال لمك بن متوشلح بفتح اللام وسكونها ابن خنوخ، ويقال أخنوخ ويقال أشنخ، ويقال أخنخ وهو إدريس النبي فيما قاله ابن إسحاق بن يرد، ويقال بيرد بن مهلائيل، ويقال ماهلايل بن فاين، ويقال قينن بن أنوش، ويقال يانش بن شيث بن آدم، ومعنى شيث عطية الله، هكذا نسبه ابن إسحاق وغيره من الأئمة، وكذا وقع في التوراة نسبه، وليس فيه اختلاف بين الأئمة، ونقل ابن إسحاق أن خنوخ الواقع اسمه في هذا النسب هو إدريس النبي صلوات الله عليه، وهو خلاف ماعليه الأكثر من النسابين، فإن إدريس عندهم ليس بجد لنوح ولا في عمود نسبه، وقد زعم الحكماء الأقدمون أيضاً أن إدريس هو هرمس المشهور بالإمامة في الحكمة عندهم».

في تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس تأليف الإمام الشيخ حسين بن محمد بن الحسن الديار بكري[1] المتوفى عام 1582م/960هـ.

ذكر ملوك الفرس متفرقة
ومشاهير الأنبياء والحكماء الذين كانوا في أيامهم

ذكر كيومرث:

في نظام التواريخ للشيخ ناصر الدين البيضاوي اتفق أهل التواريخ على أن أول الملوك كيومرث، وزعم بعض المؤرخين أن كيومرث هو آدم عليه السلام ولم يصدقهم الآخرون، وأورد اسرالي في كتاب نصائح الملوك أن كيومرث أخو شيث وقال جماعة أن كيومرث من أولاد نوح، وقيل هذا أظهر وعلى التقادير كلها أن كيومرث هو أول الملوك في الأرض، ويقال إن كيومرث أول من بنى المدن ابتنى مدينتين إحداهما اصطخر وكان أكثر مقامه بها

---

(1) ج1 ومابعدها طبعة بيروت .

والثانية دوماوند، وكان يقيم بها أحياناً، وعاش ألف سنة وكان ملكه قريباً من أربعين سنة ووصى بملكه لابن ابنه هوشنج.

ذكر هوشنج:

وكان هوشنج صاحب علم وعدل، وله كتاب في الحكمة العملية، ويدّعي الأعاجم أنه نبيّ، ومن غاية عدله لقبوه بيشداد، يعني كثير العدل، ووضع تاجاً على رأسه واستخرج الحديد من الحجر، وصنع منه آلات، وزاد في عمارة اصطخر التي هي دار ملكه، وبنى مدينتي بابل وسوس، ويقال إن بابل بناء الضحاك، ويقال إن هوشنج كان مشتغلاً بالعبادة في الجبال حتى إن بعض الشياطين ضربوا رأسه وهو في السجود فأهلكوه، وكان كيومرث يتضرع إلى الله حتى أخبر ليلة في النوم عن حال هوشنج، فقصد كيومرث تلك الجماعة من الشياطين فأهلكهم، وبنى في مقامهم مدينة بلخ من خراسان كذا في نظام التواريخ.

ذكر طهمورث:

ولما توفى هوشنج قام مقامه سبطه طهمورث الذي هو ولي عهده، وملك الأقاليم السبعة وعقد على رأسه تاجاً، وكان محمود في ملكه مشفقاً في رعيته، وإنه ابتنى شابور في فارس وكهن في مرو، وبنى في خطة أصفهان قرين وسارويه ونزلها وتنقل في البلدان، وإنه وثب على إبليس حتى ركبه فطاف عليه في أداني الأرض وأقاصيها، وأفزعه ومردته حتى تفرقوا، وكان أول من اتخذ الصوف والشَّعر للّبس والفرش، وأول من اتخذ زينة الملوك من الخيل والبغال والحمير، وأمر باتخاذ الكلاب لحفظ المواشي وغيرها، وأخذ الجوارح للصيد، وكتب بالفارسية، وإن موارسب ظهر في أول سنة من ملكه ودعا إلى ملة الصابئين، كذا قال أبو جعفر وغيره من العلماء إنه ركب إبليس وطاف عليه والعهدة عليهم، وإنما نحن نقلنا ماقالوا، قال ابن الكلبي: أول ملوك الأرض من بابل طهمورث، وكان لله مطيعاً وكان ملكه أربعين سنة، وهو أول من كتب بالفارسية، وفي أيامه عبدت الأصنام، وأول ماعرف الصوم في ملكه، وسببه أن قوماً فقراء تعذر عليهم القوت فأمسكوا نهاراً وأكلوا ليلاً مايمسك رمقهم، واعتقدوا به تقرباً إلى الله تعالى وجاءت الشرائع به كذا في الكامل.

وفي نظام التواريخ وقع في زمانه قحط فأمر الأغنياء أن يقنعوا بعشائهم ويعطوا غداءهم للفقراء، فوضع سنة الصوم، ويقال ظهر في زمانه فناء عظيم وكل من مات له حب صور

صورته فبقي منه عبادة الأصنام، وتزوج يرد أغثوث، وقيل بزوره فولدت له (أخنوخ) ابن يرد بهمزة وحذفها وحاء مهملة مفتوحة ونون، وبعد الواو خاء معجمة وقيل بخاءين معجمتين ونون وواو وفي آخره خاء معجمة كذا في الكامل.

وفي سيرة ابن هشام أهنخ ويقال أخنخ، وهو إدريس سمي به لكثرة درسه الكتب في صحف آدم وشيث، كذا في رباب التأويل والعرائس. واشتقاقه من الدرس على تقدير كونه عربياً ويمنعه منع صرفه. وفي الأنس الجليل أدرك إدريس من حياة جده شيث عشرين سنة ويقال إن ولادته كانت في زمن آدم قبل وفاته بمائة سنة وقيل حين توفي آدم كان قد مضى من عمر إدريس ثلاث مئة وستون سنة. وفي المختصر ولد بعد وفاة آدم بمائة وستين سنة والجمهور على أن إدريس أول نبي بعث بعد آدم بمائتي سنة، وما مضى من عمره في النبوة مائة وخمس سنين، وأُنزل عليه ثلاثون صحيفة ونزل عليه جبريل أربع، مرات كذا في الأنس الجليل وكان على شريعة آدم وكان خياطاً وهو أول من خط بالقلم.

قال أبو الحسين بن فارس في كتابه (فقه اللغة) يروي أول من كتب الكتاب العربي والسرياني والكتب كلها آدم عليه السلام قبل موته بثلاث مئة سنة كتبها في طين وطبخه، ولما أصاب الأرض الغرق وجد كل قوم كتاباً فكتبوه، فأصاب إسماعيل الكتاب العربي، وكان ابن عباس يقول: أول من وضع الكتاب العربي إسماعيل، كذا في البرهان للزركشي، وكان إدريس أول من خاط الثياب ولبس المخيط، وكان مَنْ قبله يلبسون الجلود، وهو أول من نظر في علم النجوم والحساب، وحكماء اليونان ينسبون إليه في علم الهيئة والنجوم والحساب ويسمونه هرمس الحكيم، وهو عظيم عندهم، كذا في نظام التواريخ، وهو أول أولي العزم، وأول من اتخذ السلاح وقاتل الكفار، وأول من اتخذ السبي والأسرى وكان يسير إلى حرب أولاد قابيل ويسبهم ويستعبدهم، وقيل ذلك كله كان في حياة آدم. قال العلماء أن إدريس صعد إلى السماء وعلم دور الأفلاك وطبائع الكواكب وخواصها، ثم نزل وكان ذلك معراجاً له، ولما مضى من عمر إدريس ثلاث مئة سنة وثمان سنين توفي آدم، وفي التوراة أن الله تعالى رفع إدريس بعد ثلاث مئة سنة وخمس وستين سنة من عمره، بعد أن مضى من عمر أبيه خمس مئة وسبعة وعشرون سنة، وعاش أبوه بعد ارتفاعه أربع مئة وخمساً وثلاثين سنة، تمام تسع مئة وثنتين وستين سنة، وعاش يرد بعد مولد إدريس ثماني مئة سنة كذا في الكامل، ويقال إنه قبضت روحه في السماء وصلت عليه الملائكة وبدنه في السماء الرابعة، وتصلي

عليه الملائكة كلما هبطت وقيل إنه مات ثم أحياه الله وأدخله الجنة وهو فيها الآن، وسيجيء وقال قوم إنه نبئ بعد آدم بمائتي سنة، ورفع وله أربعمائة وخمس وستون سنة والأول أشهر.

وفي لباب التأويل والمدارك، وكان سبب رفعه إلى السماء الرابعة، على ماقاله كعب الأحبار. وغيره، أنه سار ذات يوم في حاجة فأصابه وهج الشمس، فقال يارب إني مشيت يوماً فكيف من يحملها مسيرة خمس مئة عام في يوم واحد اللهم خفف عنه، ثقلها وحرها، فلما أصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها مالايعرفه فسأل الله عن سبب ذلك فقال إن عبدي إدريس سألني أن أخفف عنك حملها وحرها فأجبته، قال: يارب فاجمع بيني وبينه واجعل بيني وبينه خلة، فأذن له حتى أتى إدريس: فقال له إدريس اشفع لي عند ملك الموت ليؤخر أجلي فأزداد شكراً وعبادة، فقال الملك: لايؤخر نفساً إذا جاء أجلها، وأنا مكلمه فرفعه إلى السماء ووضعه عند مطلع الشمس، ثم أتى ملك الموت وقال: لي إليك حاجة صديق من بني آدم يتشفع بي إليك لتؤخر أجله، فقال ملك الموت: ليس ذلك إلي ولكن إن أحببت أعلمته أجله فيقدم لنفسه، قال نعم فنظر في ديوانه فقال: إنك كلمتني في إنسان ماأراه يموت أبداً، قال: وكيف ذلك قال لاأجده يموت إلا عند مطلع الشمس، قال: أنا أتيتك وتركته هناك، قال انطلق فما أراك تجده إلا وقد مات، فوالله مابقي من أجل إدريس شيء فرجع الملك فوجده ميتاً.

قال وهب كان يرفع لإدريس كل يوم من العباد مثل مايرفع لجميع أهل الأرض في زمانه، فعجب منه الملائكة وحُبب إليهم، واشتاق إليه ملك الموت فاستأذن ربه في زيارته فأذن له فقال لملك الموت: أذقني الموت يهن علي ففعل بإذن الله فجيء بعد ساعة ثم رفعه إلى السماء وقال: أدخلني النار فأزداد رهبة ففعل، ثم قال: أدخلني الجنة فازداد رغبة ففعل، فقال له: أخرج إلى مقرك فتعلق بشجرة، وقال: ماأخرج منها، فبعث الله ملكاً حكماً بينهما، قال له الملك: مالَكَ لاتخرج؟ قال لأن الله تعالى قال كل نفس ذائقة الموت وقد ذقته، وقال: وإن منكم إلا واردها وقد وردتها، وقال: وردتها وقال ماهم منها بمخرجين فلست أخرج، فأوحى الله إلى ملك الموت: بإذني دخل وبأمري لايخرج فهو حيٌّ هنالك. واختلفوا في أنه حيٌّ في السماء أم ميت، فقال قوم هو ميت، وقال قوم هو حي، وقالوا أربعة من الأنبياء في الأحياء؛ اثنان في الأرض وهما الخضر وإلياس، واثنان في السماء هما عيسى وإدريس.

وفي فصوص الحكم إلياس هو إدريس كان نبياً قبل نوح وقد رفعه الله مكاناً علياً فهو في قلب الأفلاك ساكن، وهو فلك الشمس، ثم بعث إلى قرية بعلبك وبعل اسم صنم وبك اسم سلطان تلك القرية وكان هذا الصنم المسمى بعلاً مخصوصاً بالملك وكان إدريس الذي هو إلياس قد مثل له انفلاق الجبل المسمى لبنان من اللبانة، وهي الحاجة، عن فرس من نار وجميع آلاته من نار فلما رآه ركب عليه، فسقطت عنه الشهوة فكان عقلاً بلا شهوة ولم يبق له تعلق بما يتعلق به الأغراض النفسية.

وفي الكشاف قيل إلياس هو إدريس النبي، وقراءة ابن مسعود، وإن إدريس لمن المرسلين في موضع إلياس، وقرئ إدريس وقيل هو إلياس بن ياسين من ولد هارون النبي أخي موسى، وبعل علم لصنم كمناة وهبل، وقيل كان من ذهب وكان طوله عشرين ذراعاً وله أربعة فتنوا به وعظموه حتى أخدموه أربعمائة سادن وجعلوهم أنبياء، وكان الشيطان يدخل في جوفه ويتكلم بشريعة الضلال والسدنة يحفظونها ويعلمونها الناس وهم أهل بعلبك من بلاد الشام، وبه سميت مدينتهم بعلبك، وقيل بعل الرب بلغة اليمن، انتهى كلام الكشاف. فلما رفع إدريس إلى السماء وقع الاختلاف بين الناس وفتر الوحي إلى زمان نوح.

ذكر ملك جمشيد:

وفي زمان أخنوخ ملك جمشيد والشيد عندهم الشعاع وجم القمر لقبوه بذلك لجماله وهو أخو طهمورث، وقيل إنه ملك الأقاليم السبعة، وسخر له مافيها من الجن والإنس وعقد التاج على رأسه، وأمر بعمل السيوف والدروع وسائر الأسلحة وآلة الصناع من الحديد، وبعمل الإبريسم وغزله، والقطن والكتان وكل مايصاغ غزله وحياكته، وصبغه ألواناً ولبسه، وصنف الناس أربع طبقات طبقةً مقاتلة، وطبقةً فقهاء وطبقة كتاباً وصناعاً وحراثين، واتخذ طبقة منهم خدماً كذا في الكامل.

وفي نظام التواريخ زاد جمشيد في عمارة مدينة اصطخر وعظمها حتى كان حدها من حفرك إلى آخر رامجرد مقدار اثني عشر فرسخاً في الطول وعشرة فراسخ في العرض واليوم ظللها وأساطينها باقية يقال لها جهل منارة، أي ذات أربعين منارة ولم يخبر أحد بمثلها في العالم، ولما تم بناؤها سار إليها مع الملوك والعظماء، وفي ساعة بلوغ الشمس نقطة الاعتدال الربيعي جلس على السرير ووعد الناس بالعدل والإحسان، وسمى ذلك اليوم نوروز يعني يوم

جديد. فمدة ملكه بلغت إلى قرب سبعمائة سنة، وأبطره الملك والنعمة وغلبته الحماقة والتجبر فدعا الناس إلى عبادته وصنع الأصنام على صورته، وبعثها إلى أطراف العالم ليعبدوها، فسلط الله عليه شدّاد بن عاد حتى بعث إليه ابن أخيه ضحّاك بن علوان حتى قلع جمشيد وقطعه قطعاً. وكان إدريس بن يرد قد تزوج هدانة، ويقال ادانة كذا في الكامل. ويقال تزوج بروحا فولدت له (متوشلخ) بن أخنوخ بفتح الميم وبالتاء المعجمة باثنتين من فوق وبالشين المعجمة وبحاء مهملة وقيل بخاء معجمة كذا في الكامل، وكان لإدريس حين تزوج خمس وستون سنة وكان متوشلخ أول من ركب الفيل وأنه سلك رسم أبيه أخنوخ في الجهاد.

في «أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ» لأحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي الشهير بالقرماني المتوفى[1] عام 1161م/1019هـ.

في ذكر إدريس عليه السلام

كان رجلاً طويلاً ضخم البطن عظيم الصدر قليل شعر الجسد كثير شعر الرأس، وكانت إحدى أذنيه أعظم من الأخرى، وكانت في جسده نكتة بيضاء من غير برص، وكان دقيق الصوت قريب الخطا إذا مشى، كذا ذكره ابن قتيبة في الأنساب، وكان نبياً وملكاً عظيماً، ولد بمصر وسموه هرمس الهرامسة، أي أسد الأسود، وهو عطارد، وفي المختصر في أخبار البشر نبأ الله تعالى إدريس وكشف له الأسرار السماوية، وأنزل الله عليه ثلاثين صحيفة، ونزل عليه جبريل أربع مرات، كذا في الأنس الجليل. ومن معجزاته أنه كان يرى الملائكة في الهواء حين يظهرون، وكان كلما دعا السحاب أجابه بلغته، وسمعه الناس يتكلم مع السحاب، وفي عجايب الدنيا للمسعودي أن إدريس صب الرصاص ذهباً بصاصا وهو الذي يسمى المثلث لأنه نبيٌّ وملك وحكيم، ودفع إليه كتاب سر الملكوت الذي علمه عزرائيل الملك لآدم، وكانوا يتوارثونه لاينظرون فيه ولم يفتحه بعد شيث، غير إدريس، وإنما سُميّ إدريس لكثرة ما كان يدرس في كتب الإسلام، وهو أول من استخرج الحكمة وعلم النجوم وعلم الرياضة والمنطق والطبيعة والإلهي وأسرار الفلك، وهو أول من خط بالقلم وخاط الثياب ولبسها، وكان من قبله يلبسون الجلود، وهو أول من جاهد في سبيل الله ونهى أرباب الفساد من بني آدم عن مخالفاتهم شريعة آدم وشيث، فأمره الله تعالى أن يقاتلهم ويسبي نساءهم وأولادهم

(1) طبعة عالم الكتب ببيروت ص21.

فأطاعه قليل وعصاه كثير، وكان عدد من أطاعه ألف إنسان، وهو الذي رسم بعمارة المدن وجمع طلاب السلم وقرر لهم قواعد السياسة وعمارة المدن، فبنت كل فرقة من الأمم مدنا في أرضها، فكان عدة المدن التي بنيت في زمانه مائة وثمانين مدينة، وذكر بعض المحققين في شرح الفصوص أن آدم لما مرض مرض الموت تمنى من ثمار الجنة، فأتى جبريل بطبق من ثمار الجنة على رأس حورية، فأكل منه وسأل الله تعالى أن يزوج تلك الحورية من شيث فأجابه الله تعالى فولدت منه إدريس، ولهذا السر الجلي كان له تجرد ملكي وسياحة فلكي، عرج إلى الأفلاك وشاهد أطوارها وصنف الكتب الكثيرة مما جاء به جبريل وأخذها، فسقط من يده في البحر أكثرها لحكمة من الله سبحانه، مما فيه إظهار أسرار الربوبية، فاقتضت الحكمة الإلهية إخفاءها من العامة، وذكر أنه لم ينم ستة عشر سنة، ولم يأكل حتى بقي عقلاً مجرداً وروحانية في فلك الشمس، وهو أول من خالط الملائكة والأرواح المجردة، وحصل له معراج السلاح البشرية، وذكر الشيخ محيي الدين العربي، قدس الله سره، في الفتوحات المكية، وفي قوت القلوب أن إدريس هو إلياس وأنه ينزل كما ينزل عيسى بن مريم عليه السلام تشريفاً لشرف نبينا محمد، وله جولان في الأرض وقطبية برية مع خلافة محمدية، كما للخضر قطبية بحرية، وبينهما اجتماع براً وبحراً عند سد يأجوج ومأجوج، وفي مكة وعرفات وفي مرآة الزمان، قال ابن عباس رضي الله عنهما: أربعة من الأنبياء أحياء فيهم أرواحهم: إدريس وعيسى في السماء، وإلياس والخضر في الأرض، وكلهم يموتون إلا إدريس، فإنه إذا مات الخلق أصابته دهشة فيبقى في عداد الموتى وهو حي، وقيل هو الذي يجيب الله تعالى إذا مات الخلق، وقال: «لمن الملك اليوم» فيقول إدريس: لله الواحد القهار. قال وهب: كان يرفع لإدريس كل يوم من العبادة مثل مايرفع لجميع أهل الأرض في زمانه حتى اشتاق إليه ملك الموت فاستأذن الله عز وجل في زيارته، فأذن له وطلب أن يذيقه الموت فأذاقه بإذن الله تعالى، ثم أحياه الله ثم سأله أن يورده النار فأورده إياها، ثم سأله أن يدخله الجنة فلما دخل الجنة أبى أن يخرج منها محتجاً أن الله تعالى قال كل نفس ذائقة الموت وقد ذقته، وقال «وإن منكم إلا واردها» وقد وردتها، وقال: «ماهم منها بمخرجين» فلست أخرج فبقي بها بعناية الله تعالى، فهو حي هناك، فتارة يعبد الله في السماء الرابعة وتارة يتنعم في الجنة. قيل أسكنه قلب الأفلاك وهو فلك الشمس وعلم دور الأفلاك وطبايع الكواكب وخواصها، ولما رفعه الله تعالى كان عمره اثنتين وثمانين سنة، وقيل رفع وهو ابن ثلاث مئة وخمس وستين سنة،

وعاش أبوه بعد ارتفاعه خمس مئة سنة وخمساً وثلاثين سنة، فلما رفعه عزَّ وجلَّ اختلفوا بعده وأحدثوا الأحداث إلى زمن نوح، وولد لإدريس متوشلخ على ثلاث مئة سنة من عمره استخلفه إدريس بأمر الله تعالى قبل رفعه. ذكر أنه أول من ركب الخيل لأنه اقتفى رسم أبيه في الجهاد وعاش تسع مئة سنة واثنتين وثمانين سنة، ومات في أيلول في حياة آدم. وولد لمتوشلح لمك وفي زمانه كثرت الجبابرة من ولد قابيل، وعاش لمك سبع مئة سنة، وولد له غلام وعمره إذا ذاك مئة وسبع وثمانون سنة فسماه نوحاً.

هرمس في الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، للقاضي مجير الدين ابن اليمن عبد الرحمن العليمي الحنبلي المتوفى عام 927هـ[1].

ثم ولد ليود حنوخ - بخاء مهملة ونون وواو وخاء معجمة - وهو إدريس عليه السلام وأدرك إدريس من حياة شيث جد جده عشرين سنة، ولما صار له من العمر ثلاث مئة وخمس وستون سنة رفعه الله إلى السماء، وكان قد نبأه الله وانكشفت له الأسرار السماوية، ونزل عليه جبريل عليه السلام أربع مرات وله صحف: (منها) ولاتروموا أن تحيطوا بالله خبرة فإنه أعظم وأعلى من أن تدركه فطن المخلوقين إلا من أثره.

ثم ولد لحنوخ متوشلح - بتاء مثناة من فوق وآخر حاء مهملة - عاش تسع مئة وتسعاً وستين سنة. ثم ولد لمتوشلح لامخ، ولما صار له من العمر مائة وثمان وثمانون سنة ولد له نوح.

وقد جاء في كشف الظنون من أسامي الكتب والفنون لآية الله السيد شهاب الدين النجفي المرعشي المتوفى عام 1670م في المقدمة من أحوال العلوم[2].

وروى أن آدم عليه السلام وضع كتاباً بأنواع الألسن والأقلام قبل موته بثلاث مئة سنة كتبها في طين ثم طبخه، فلما أصاب الأرض الغرق وجد كل قوم كتاباً فكتبوه من خطه، فأصاب إسماعيل عليه السلام الكتاب، وكان ذلك من معجزات آدم عليه السلام، وذكره السيوطي في المزهر. وفي رواية: أن آدم عليه السلام كان يرسم الخطوط بالبنان، وكان أولاده

---

(1) طبعة الاردن - عمان ص19.

(2) طبعة بغداد منشورات مكتبة المثنى عام 1941.

تتلقاها بوصية منه، وبعضهم بالقوة القدسية القابلية [القلبية] وكان أقرب عهد إليه إدريس عليه السلام، فكتب بالقلم واشتهر عنه من العلوم مالم يشتهر عن غيره، ولقب بهرمس الهرامسة، والمثلث بالنعمة، لأنه كان نبياً ملكاً حكيماً وجميع العلوم التي ظهرت قبل الطوفان إنما صدرت عنه في قول كثير من العلماء، وهو هرمس الأول أعني إدريس بن يرد بن مهلايل بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام، المتمكن بصعيد مصر الأعلى، وقالوا إنه أول من تكلم في الأجرام العلوية والحركات النجومية، وأول من بنى الهياكل وعبد الله تعالى فيها، وأول من نظر في الطب وألف لأهل زمانه قصائد في البسائط والمركبات، وأنذر بالطوفان، ورأى أن آفة سماوية تلحق الأرض فخاف ذهاب العلم فبنى الأهرام في صعيد مصر الأعلى، وصور فيها جميع الصناعات والآلات، ورسم صفات العلوم والكمالات حرصاً على تخليدها، ثم كان الطوفان وانقرض الناس فلم يبق علم ولا أثر سوى من في السفينة من البشر، وذلك مذهب جميع الناس، إلا المجوس فإنهم لايقولون بعموم الطوفان، ثم أخذ يتدرج الاستئناف والإعادة فعاد مااندرس من العلم إلى ماكان عليه من الفضل والزيادة فأصبح مؤسس البنيان مشيد الأركان لازال مؤيداً بالملة الإسلامية إلى يوم الحشر والميزان».

هرمس في كتاباتنا المعاصرة

في كتاب «تاريخ سورية» للمطران يوسف الدبس[1].

وأخنوخ هو الذي يسميه المؤرخون العرب إدريس، وقد جاء في التوراة أن أخنوخ ولد متوشالح لسنة 65 من عمره، وأنه سلك مع الله بعد ماولده ثلاث مئة سنة وولد فيها بنين وأن كل أيامه كانت 365 سنة، ولم يوجد بعد لأن الله أخذه (تك ف 5 عد 24) وفهم بعض المفسرين الآية الأخيرة بمعنى أن أخنوخ مات موتاً طبيعياً لم يدرك سني سائر الآباء الأولين، إذ عاش أقل من جميعهم 365 سنة، فكان الله أراد أن يقيه الفساد فأماته قبل الوقت المعتاد في تلك الأيام. إلا أن أكثر الآباء والمفسرين على أنه لم يمت بل حجبه الله عن مرأى الناس كما فعل بإيليا، ويؤيده هذا قول بولس الرسول، «وبالإيمان نقل أخنوخ لكي لايرى الموت ولم يوجد بعد، لأن الله نقله، إذ قبل نقله شهد له بأنه أرضى الله» (عبرانية ف 11 عد 5) وقال فيه ابن سيراخ (ف 44 عد 16) «أخنوخ أرضى الرب»، وزادت النسخة اللاتينية العامية «إلى الفردوس» أي الأرض، ولاوجود لكلمة الفردوس في اليونانية، وفهم القديس إيرونيموس بذلك أنه نقل إلى السماء، وكذا يعتقد المؤرخون المسلمون العرب، فقد جاء في تاريخ أبي الفداء «وأما حنوخ وهو إدريس فإنه رفع لما صار له من العمر ثلاث مئة وخمس وستون سنة رفعه الله إلى السماء».

ويعزى إلى أخنوخ سفر لم تثبته الكنيسة الكاثوليكية بين الأسفار المقدسة، على أن القديس يهوذا الرسول قال في رسالته (عد 14) وقد تنبأ على هؤلاء (الأمة) أيضاً أخنوخ سابع آدم (أي السابع بعده) حيث قال يهوذا يأتي الرب في ربوات قديسية ليجري القضاء على جميعهم ويحج جميع المنافقين منهم على كل أعمال نفاقهم التي نافقوا بها» فكان هذا للمفسرين معضلة يعسر الاهتداء لوجهها، آأخذ الرسول هذه الآية عن كتاب لأخنوخ كان في صدر النصرانية أم علم بتقليد أو وحي خاص؟ والأظهر أن الرسول قرأ هذه الفقرة في سفر أخنوخ أو في كتاب اشتمل عليها، وهو لاستنارته بالإلهام الإلهي استشهد بها بما أنها حقيقة وإن لم يكن السفر برمته قانونياً، على أن مشاهير الآباء لم يعتبروا من هذا السفر مُنزلاً إلا هذه الفقرة لإثبات يهوذا الرسول لها في رسالته المعدودة من الأسفار الموحاة. وفسر لانرمان (في المحل المذكور) كلمة أخنوخ بمعنى المبتدي.

---

(1) طبعة بيروت المصورة عن طبعة بيروت 1893 ص60 ـ 61.

في كتاب «تاريخ الطب» للدكتور شوكت الشطي يقول[1]:

الطب عند المصريين

يناسب زمنه مابين السنة 4000 والسنة 715 قبل الميلاد، وقد استدل على ذلك من مجموعة الوصفات الطبية التي عثر عليها في الأقصر سنة 1873م، تلك الوصفات التي عدت أقدم وثيقة طبية أمكن الحصول عليها. لقد ازدهرت مدينة راقية في الألف الرابع قبل المسيح في مصر جعلت المصريين على جانب عظيم من الرقي، ويعزى إيجاد صنعة الشفاء إلى الملكة إيزيس التي ادعت الألوهية بعد حين وزعمت بأنها إلهة. كما يروى أن هرمس جمع قواعد الطب فأودعها في ستة كتب من كتبه الاثنين والأربعين المقدسة. وكانت حراسة هذه الكتب موكولة إلى الكهنة، وقد تضمن أحد هذه الكتب الستة البحث عن بناء الجسم وعمل أجهزته وأثر الكبد في هضم الغذاء وعمل الصفراء. واشتمل الثاني على الأمراض، وحوى الثالث الآلات المستعملة في الطب، وذكر الرابع أمراض العين، ووصف الخامس أمراض النساء، ونعت السادس بكتاب العنبر المقدس، وعد الكتاب الأساسي في دراسة الطب.

في كتاب «الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير» للدكتور رمزي نعناعه[2].

هـ ـ وعند قوله تعالى في الآية (57) من سورة مريم: ﴿ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾. روي عن وهب بن منبه أنه قال: (كان يرفع لإدريس كل يوم من العبادة مثل مايرفع لأهل الأرض في زمانه، فعجب منه الملائكة، واشتاق إليه ملك الموت فاستأذن ربه في زيارته، فأذن له، فأتاه في صورة آدمي. وكان إدريس يصوم النهار، فلما كان وقت إفطاره دعاه إلى طعامه فأبى أن يأكل، ففعل ذلك ثلاث ليال فأنكره إدريس. وقال له: من أنت؟ قال: أنا ملك الموت. استأذنت ربي أن أصحبك فأذن لي، فقال: لي إليك حاجة، قال: وماهي؟ قال: أن تقبض روحي، فأوحى الله تعالى إليه: أن اقبض روحه، فقبضه ورده الله إليه بعد ساعة، وقال له ملك الموت: ماالفائدة من قبض روحك؟ قال لأذوق كرب الموت فأكون له أشد استعداداً، ثم قال إدريس بعد ساعة: إن لي إليك حاجة أخرى، قال: وماهي؟ قال: أن ترفعني إلى

---

(1) السفر الأول من تاريخ الطب طبعة دمشق 1956.

(2) الطبعة الأولى دمشق 1970 ص39.

السماء فأنظر إلى الجنة والنار، فأذن الله تعالى له في رفعه إلى السموات، فرأى النار فصعق، فلما أفاق قال أرني الجنة فأدخله الله الجنة، ثم قال له ملك الموت: اخرج لتعود إلى مقرك، فتعلق بشجرة، وقال: لاأخرج منها، فبعث الله تعالى ملكاً حكماً، فقال: مالك لاتخرج؟ قال: لأن الله تعالى قال ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾، وأنا ذقته. وقال ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ وقد وردتها. وقال ﴿ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾، فكيف أخرج؟ قال: الله سبحانه وتعالى لملك الموت: بإذني دخل الجنة، وبأمري يخرج، فهو يرتفع إلى الجنة، وتارة يعبد الله تعالى مع الملائكة في السماء. وقد روى ابن كثير خبراً قريباً من هذا عن كعب الأخبار، وعلق عليه بقوله: (وهذا من الإسرائيليات وفي بعضه نكارة).

في كتاب «مع الأنبياء في القرآن» عفيف عبد الفتاح طبارة[1].

نبوة إدريس

إدريس من الأنبياء الذين ورد ذكرهم في القرآن، قال تعالى:

﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنبياء: 85].

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ [مريم: 56-57].

فالقرآن وصفه بصفات هي: الصبر، والصدق، ورفعة المنزلة.

وخلاصة أقوال العلماء فيه أنه أول من نزل عليه الملك جبريل بالوحي لهداية نسل (قابيل) ليرجعوا عن غيهم وكفرهم، ويتوبوا إلى الله، ويسيروا حسب شريعته.

والقرآن لم يذكر شيئاً مفصلاً عن حياته وتعاليمه، كما أنه ليس هناك سند تاريخي ثابت عن حياته، وأبرز من تعرض للكلام عنه كتاب (تاريخ الحكماء) الذي سننقل عنه بعض الشذرات مما جاء فيه، ننقلها لاعلى أنها حقائق ثابتة بل من باب الاطلاع.

اختلف الحكماء في مولده ومنشئه فقالت، فرقة ولد بمصر وسموه هرمس الهرامسة

(1) الطبعة السابعة 1979 - دار العلم بيروت ص 56 - 57.

ومولده بمنف، وقالوا هو باليونانية أرميس وعرب بهرمس . . . وهو عند العبرانيين خنوخ، وعرب أخنوخ وسماه الله عز وجل في كتابه العربي المبين: إدريس . . . وخرج هرمس (أي إدريس) من مصر وجاب الأرض كلها ثم عاد إليها ورفعه الله إليه، وذلك بعد اثنتين وثمانين سنة من عمره.

وقالت فرقة أخرى: إن إدريس ولد ببابل وبها نشأ، وإنه أخذ في أول عمره بعلم شيث بن آدم وهو جد أبيه . . . ولما كبر إدريس آتاه الله النبوة فنهى المفسدين من بني آدم عن مخالفاتهم شريعة آدم وشيث، فأطاعه أقلهم وخالفه جلهم، فخرج وأتباعه حتى وافوا مصر.

وأقام إدريس ومن معه بمصر يدعو الخلائق إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وطاعة الله عز وجل، كما قد قيل: إنه دعا إلى دين لله والقول بالتوحيد وعبادة الخالق وتخليص النفوس من العذاب في الآخرة بالعمل الصالح في الدنيا، وحض على الزهد في الدنيا والعمل بالعدل، وأمرهم بصلوات ذكرها لهم على صفات بينها، وأمرهم بصيام أيام معروفة من كل شهر، وحثهم على الجهاد لأعداء دينهم، وأمرهم بزكاة أموالهم معونة للضعفاء.

وكان على فص خاتمة: الإيمان بالله يورث الظفر.

وكان على المنطقة التي يلبسها وقت الصلاة على الميت: السعيد من نظر لنفسه، وشفاعته عند ربه أعماله الصالحة.

ومن أقواله: ـ لن يستطيع أحد أن يشكر الله على نعمه بمثل الإنعام على خلقه.

ـ إذا دعوتم الله سبحانه فأخلصوا النية وكذا الصيام والصلوات فافعلوا.

ـ لا تحسدوا الناس على مؤاتاة الحظ فإن استمتاعهم به قليل.

ـ من تجاوز الكفاف لم يغنه شيء.

ـ حياة النفس في الحكمة.

في كتاب «أضواء على مسلك التوحيد الدرزية» للدكتور نسيب مكارم في إطار عرضه لمصادر التقية في معتقد التوحيد وردا على الأستاذ النجار يقول:

مصادر التقية في معتقد التوحيد

ويتطرق كتاب «مذهب الدروز والتوحيد» إلى مصادر التقية في هذا المسلك التوحيدي فيقول: «من هذه المصادر الثلاثة» - أي أرسطو وأفلاطون وأتباع فيثاغورس - «انحدر المذهب إلى الدروز الذين يعتبرون هؤلاء الفلاسفة أسيادهم الروحيين».

لقد أصاب الأستاذ النجار باعتبار أفلاطون وأتباع فيثاغورس من مصادر السرية في مسلك التوحيد. ولكنه لم يصب في تجاهله مصادر أخرى لهذه السرية كان لها من الأهمية ما لأفلاطون وفيثاغورس وأتباعه. فهناك هرمس، وهو معروف بصيانته الشديدة للأسرار، وهو مكرم عند الدورز، ينظرون إليه بعين التقديس ويجعلونه في مصاف الأنبياء كما يفعل الصابئة، أو كما يعده المانويون. وهؤلاء يعتبرونه واحداً من الأنبياء الخمسة الذين سبقوا «ماني».

يقول الدكتور علي سامي النشار في كتابه «ديموقريطس» فيلسوف الذرة وأثره في الفكر الفلسفي حتى عصورنا الحديثة[1].

«ولكن وجدت الفيثاغورثية الحديثة أكبر تلامذة لها لدى الكثير من غلاة الشيعة والغنوصيين كما قلت. فكان لفكرة الأعداد مكان كبير لدى طوائفهم المختلفة. ثم أثرت الفيثاغورثية الحديثة في الإسماعيلية.. وسيطرت على كتابات إخوان الصفا. وإخوان الصفا إسماعيلية قطعا، وقد آمن إخوان الصفا بأن لحركات أشخاص الأفلاك أصواتاً ونغمات، وأن أشخاص هؤلاء هم ملائكة الله، وخُلَّص عباده، يسمعون ويبصرون ويعقلون، ويسبحون الليل والنهار لايفترون، وتسبيحهم ألحان أطيب من قراءة داوود للزبور في المحراب، ونغمات ألذ من نغمات أوتار العيدان الفصيحة في الإيوان العالي، وهذه التسبيحات والقراءات والتبتلات هي نغمات وألحان حركات الأفلاك. وإن تلك النغمات والألحان تذكر النفوس البسيطة التي هناك (أي الملائكة) بسرور عالم الأرواح التي فوق الفلك، والتي جوهرها أشرف من جواهر عالم الأفلاك، وهو عالم النفوس ودار الحياة التي نعيمها كله

(1) طبعة الهيئة المصرية العامة للكتب بالإسكندريّة.

روح وريحان في درجات الجنان ـ كما ذكر في القرآن، وكما وجد في عالم الكون حركات منتظمة لها نغمات متناسبة لنفوسها ومشوقة لها إلى مافوقها.

وأخيراً يقول إخوان الصفا: «إن حركات تلك الأشخاص ونغمات الحركات لذة وسرور لأهلها، مثل مافي نغمات أوتار العيدان لذة وسرور لأهلها في هذا العالم. فعند ذلك تشوقت نفسه إلى الصعود إلى هناك والاستماع لها والنظر إليها. كما صعدت نفس هرمس الثالث بالحكمة لما صفت ورأت ذلك، وهو إدريس النبي عليه السلام، وإليه أشار بقوله ﴿ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ وهكذا نرى مزيجاً من الفيثاغورية الحديثة والأفلاطونية الحديثة ممتزجة بتفسير قرآني، واصفة هرمس الثالث أو المثلث الحكمة ـ وهو في نظرهم إدريس، وهو في الحقيقة أمونيوس ساكاس ـ فيثاغوريا محدثا».

وعن تأثير هرمس في الإشرافية الإسلامية يقول:

«وقد كان لأنبا دوقليس ذكر ومقام لدى الإشراقيين. بحيث يعتبر واحداً من كبار الأنبياء والأصفياء والأولياء، ونرى شيخ المذهب الإشراقي ـ السهروردي المقتول ـ يقرر أن الحكمة الإشراقية هي التي قررها وأخبر عنها جملة من الحكماء الأولين، وهم في نظر السهروردي من جملة الأصفياء والأنبياء والأولياء، وأن هؤلاء الحكماء هم أغاثاذيمون وهرمس وأنبادوقليس وفيثاغورس وسقراط وأفلاطون وأمثالهم. وأنهم تشبهوا بالمبادئ وتخلقوا بأخلاق الله بتجردهم عن المادة تجرداً تاماً، وانتفشوا بالمعارف على ماهي علي هيئة الوجود فأنْبا دوقليس إذن ـ عند الإشراقية الإسلامية ـ حكمته كشفية ذوقية، تظهر له الأنوار العقلية وتلمع وتفيض بإشراق على النفس عند تجردها، «وكذا قدماء اليونان خلا أرسطو وشيعته» ص 464 ـ 465.

هرمس في التراث اليوناني

جاء في كتاب الفكر اليوناني أو الأدب الهيليني تأليف محمد غلاب طبعة أولى مصر ج 1 مايلي:

نشيد إلى هرمس (وهو رقم 3 في المجموعة)

يتغنى الشاعر في هذا النشيد بتاريخ مولد هرمس رسول الآلهة ونشأته ومواهبه وصفاته، فيحدثنا أن زوس وإحدى صغيرات الإلاهات مايا[1]، ينجبانه ويكون ذلك في كهف مظلم حتى لاترى، هيرية، خفة زوجها وخيانته.

وإذ تضعه أمه تظهر عليه في الحال الدقة والفصاحة والقدرة على قيادة الأحلام والرؤى وإرسالها إلى من شاء متى شاء، ولكنه في الحال أيضاً يظهر عليه الميل إلى اللصوصية.

يولد في الصباح فلا يأتي الظهر حتى يعثر على سلحفاة فيخطر له أنها لازمة لموسيقاه التي يهيم بها، فيقتلها ويصنع من ظهرها القيثارة الأولى التي يظل يغني عليها حتى يسمو بالموسيقى إلى درجة الكمال. وعلى أثر ذلك يهجر الكهف ويجول في الجبال والوديان. وعند غروب الشمس يتجه إلى الجبل الذي تقيم عليه ثيران الآلهة، فيسرق منها خمسين ثوراً وبقرة هي ملك لأبولون رامي السهام، ولكنه يستخدم لإخفاء هذه السرقة حيلة غريبة، إذ يجعل الثيران تسير إلى الخلف أي بعكس سيرها الطبيعي حتى يخفي معالم آثار أظلافها.

وبعد أن يتمم هذه المهمة يعود إلى الكهف فيزمل نفسه في لفافات الأطفال، وينام في المهد نومة الطفل النقي البريء لايعرف من آثام الحياة كبيراً ولا صغيراً.

وفي صباح اليوم التالي يفتقد أبولون ثيرانه فلا يجدها، فيقوم بتحقيق في مصيرها فينبئه أحد الشيوخ بأنه رأى طفلاً يدفع قطيعاً ويسيره تسييراً منعكساً، وعلى أثر سماع أبولون هذا الوصف يرتاب في الأمر ويتجه إلى كهف مايا، فيرى الطفل نائماً في المهد فيسأله على الثيران فينكر ويحتج بشدة قائلاً:

«يابن ليتو، أي كلام جاف ذلك الذي توجهه إلي؟ لماذا أنت جئت إلى هنا تبحث عن أبقارك؟ إني لم أر شيئاً ولم أعلم شيئاً ولم أسمع أي حديث عنها، ولاأستطيع أن أقول لك عنها شيئاً، وبالتالي لست أنا الذي سأربح مكافأة العثور عليها. أنا لاأشبه رجلاً قوياً قديراً على سرقة الأبقار، وليس هذا عملي، وعندي هموم أخرى، فأنا أنشغل بالنوم وبلبن

---

(1) مايا هي ابنة بابينوس، وهو أحد التيتانوس.

والدتي وبوضع اللفافات حول كتفي، وبالاستحمام بالماء الفاتر. إحذر أن يسمعك أحد وأن يتبين سبب هذا النزاع، فإنه سيكون من الأمور الخارقة للعادة بين الآلهة أن يقال: إن طفلاً حديث الولادة سرق ثيراناً. أنت تتحدث الآن كالمعتوهين، فأنا ولدت أمس، وقدماي رقيقتان، والأرض خشنة».

ولكن أبولون لاتنطلي عليه هذه الحيلة ولايصغي لشيء مما يقول ويظل مصمماً على اتهامه إياه فيقتاده إلى والده ويقص عليه الحادثة، ويروي له ماأنبأه به الشيخ قيصر ـ هرمس على إنكاره، غير أن زوس الذي يعلم الحقيقة يسر من لباقة هذا الإله الوليد وذكائه[1]، فيحرص على أن يزيل سوء التفاهم الذي وجد بينه وبين أبولون، فيأمر بأن ترد الثيران والأبقار إلى صاحبها. ولما كان هرميس قد ذبح منها اثنين فإنه يهدي إلى أبولون قيثارة السلحفاة ويعلمه التوقيع عليها فيسر بذلك سروراً عظيماً، ويستقسمه ألا يعود إلى السرقة بعد الآن، فيقسم له. وبهذا يصبح صديقاً ويكل إليه رعاية جميع ثيرانه.

وقد ورد ذكر هرمس في إلياذه هوميروس، فاخترت هذا الفصل (فدية هكطور) كمثال على هرمس في التراث اليوناني، وذلك كما جاء في الترجمة العربية لعنبرة سلام الخالدي.

فدية هكطور

لما انتهى دفن فطرقل، عقد الأرباب مجلساً يبحثون فيه أمر هكطور، فقد ازدرى أخيل بجثته يجرها حول قبر صاحبه، وأشفق الأرباب على القتيل، فهو لم ينفك أبداً في حياته عن تقديسهم.

ولذا أرسل زفس إلى ثيتيس، ولما أتت الأولمب قال: «اذهبي الآن إلى المخيم، واطلبي إلى ولدك أن يرجع هكطور بفدية، وخبريه أرسلني زفس لأقول لك اذهب واحمل معك من الهدايا القيّمة مايرضي، ووجدته يبكي صاحبه بهدوء، وقد نفدت سورة حزنه، فهو كاظم له، وقالت: «إن إرادة الآلهة أن تسلم جثة هكطور لقاء فدية من الذهب والنفائس، يقدمها إليك أبوه».

---

(1) ومنذ ذلك العهد يعينه زوس إلهاً للصوص والتجار لاحتياج كل من هاتين الطائفتين إلى الحيلة والخداع لقرب كل منهما من الأخرى في نظر الهيلين.

فأجابها ابنها : «ليكن ماتشاؤه الآلهة» ثم إن زفس أرسل إيريس رسولاً إلى الملك فريام ، فألفته جالساً وقد أخفى وجهه بوشاحه ، وحوله أبناؤه ينتحبون ، أما بناته فيندبن في مخادع قصره .

فقال إيريس : «هدئ من روعك يافريام بن دردانس ، فقد أرسلني زفس لأقول لك اذهب واحمل معك من الهدايا القيمة مايرضي قلب أخيل ، وارجع بجثة ولدك العزيز هكطور . إذهب ولاتخف أو تخش الموت والأذى ، واذهب وحدك . واصحب معك رسولاً هرماً يعينك عند إيابك على حمل جثة القتيل» .

فنهض فريام جذلاً ، وطلب إلى أبنائه إحضار مركبته ، ولكنه ذهب أولاً إلى مخدعه ، ونادى زوجته إيقاب وأخبرها بعزمه ، ولم ينثن عنه حينما حاولت إرجاعه ، بل قال : «لاتجربي إرجاعي ، ولاتكوني طائر شؤم في منزلي ، ولو كان الذي طلب إلي أن أفعل ذلك عرافاً أو منبئاً لظننتها خدعة . أما وقد سمعت الآن صوت رسول زفس بإذني فسأذهب . وماذا يهمني إن مت؟ وليفتك بي أخيل ، فيتاح لي أن أعانق جثة ولدي مرة أخرى . «ثم طلب أن تتهيأ مركبة ، فيها الشملات والدثارات التي لم تغسل قط ، ثم البسط ، والجلابيب ، والأقبية ، يوضع من كل منها اثنا عشر ثم عشر وزنات من الذهب ، ومرجلان بهيان لهما قوائم ثلاث ، وأربعة سيوف ، وكأس ليس لجمالها نظير ، كان قدمها إليه أهل ثراقة . ولم يبخل الرجل العجوز بشيء في سبيل إرجاع ولده . ولم يكن يحتمل قرب أحد من الطرواد فصاح بهم : «ابتعدوا عني أيها الجبناء . أليس لكم من تندبونه في بيوتكم حتى أتيتم إليّ تندبون؟ حقاً لقد أصبحتم الآن فريسة سائغة للإغريق ، وقد مات هكطور . «ثم نادى أبناءه بما يشبه كلمات الغضب ، فدعا فاريس وأغاثون وذيفوب والباقين ـ وكانوا جميعاً تسعة ـ ناداهم قائلاً : «هلموا يانسل السوء . ليتكم متم جميعاً في غرفة هكطور ، ولاريب في أنني سيئ الحظ ، فقد كان لي كثير من الأبناء والأبطال ، مثل مسطور وإطرويل ثم هكطور ، الذي كان أجمل بني البشر طُراً . ولكن جميع هؤلاء ذهبوا ، ولم يبق منهم إلا الجبناء الذين برعوا في ثرثرة الكلام ، ومهروا بالرقص ، وبرزوا في شرب الخمرة ، فاذهبوا وشدوا البغال إلى العربة» .

وهكذا قرنوا البغال إلى العربة ، أما مركبته ، فقد شد فريام إليها الجياد ، يساعده رسوله .

ثم اقتربت إيقات ، وطلبت إلى إحدى الوصائف أن تصب الماء على يديه ، ولما فعلت

أخذ الملك فريام كأساً من يد امرأته، وخاطب زفس متوسلاً:

ـ «أجب دعائي ياخالق البشر! وهب أخيل الرحمة بي، وأرسل إليَ الآن رمز يمن، أذهب معه إلى سفن الإغريق بقلب رضي».

فسمع زفس دعاءه، وأرسل إليه نسراً هائلاً، مد جناحين متسعين كاتساع باب مخدع باب رحب في قصر رجل ثري. وذهب الطائر إلى يمينه فوق المدينة، وابتهج الجميع لمرآه.

وأسرع الشيخ يمتطي مركبته تاركاً القصر، وأمامه البغال تجر العربة ذات العجلات الأربع، يقودها الرسول إيذيس. أما مركبته هو فقد ساقها الملك العجوز بذاته ومشى معه آل بيته جميعاً، ينتخبون كما لو كان ذاهباً إلى الموت. ولكنهم لما بلغوا السهل من المدينة، توجه فريام والرسول نحو سفن الإغريق، أما الباقون فرجعوا إلى طروادة.

ورآه زفس متوجهاً إلى السفن، فقال لهرمس: «اذهب ياهرمس إلى الملك فريام، وسر به إلى سفن الإغريق، لكي لايراه منهم أحد قبل أن يبلغ خيام أخيل».

فشد هرمس نعليه الذهبيتين الجميلتين إلى قدميه، وطار بهما بسرعة الهواء فوق البحر والأرض، وأخذ بيده قضيباً يفتح به عيون البشر ويغمضها كما يشاء. وانحدر إلى أن حط في سهل طروادة، متخذاً شكل يافع جميل.

ولما بلغ المسافران قبر إيلوس العظيم، أوقفا الجياد والبغال لتشرب من ماء النهر. وقد خيم الظلام على الأرض، وعندها بصر بهرمس، فقال:

ـ «فكر ياسيدي بما يجب أن تفعل، فإني أرى رجلاً، وإنني لجزع أشد الجزع، خشية أن يفتك بنا، فهل نهرب في المركبة، أو نقترب منه، ونستعطفه عله يرأف بنا؟» فبلغ من الشيخ الاضطراب أشده، وقف شعر رأسه ذعراً، ولكن هرمس اقترب منه، وأخذ بيده، وقال:

ـ «إلى أين تذهب أيها الشيخ بجيادك وبغالك في هذا الظلام الدامس، ألا تخشى شراسة هؤلاء الإغريق القريبين منك؟ وماذا يحدث لو رآك أحد بما معك من ثروة؟ وأنت لست في شرخ شبابك، وليس تابعك فتياً حتى تقدرا أن تدفعا عن نفسيكما شر عدو طارئ، ولكنني لن أمَسَّك بأذى، ولن أسمح لأحد أن يؤذيك، لأنك لي بمنزلة الوالد العزيز».

فقال الشيخ:

ـ «حسناً ياولدي، ولاريب في أن أحد الآلهة الأبـرار يشدّ أزري، فأرسـل للقـائي رجـلاً مثلك رائعاً حكيماً، فهنيئاً لوالديك بما أنجبا».

فقال هرمس: «أفضِ إليَّ بحقيقـة الأمـر أيهـا الشـيخ، فهـل أنـت ذاهـب بهـذه النفـائس لتحفـظ لـك في مكـان بعيـدَ أمـين؟ أم إن رجـال طـروادة جميعـاً يخلـون بلدهــم بعـد أن رأوا هكطور أبسل أبطالهم قد مات؟».

فأجاب فريام: «من أنت يابني. وإلى أيّ أمة تنسب، حتى تتكلـم بهـذه الحقيقـة عـن ابنـي المنكود؟» فقال هرمس: «لطالما رأيت هكطور في المعركة، رأيته في أوقات متباينة، وأبصرتـه يـوم ساق الإغريق أمامه نحو السفن، فقد كنا نقف حقـاً، نراقـب ونعجـب بـه، لأن أخيـل لـم يكـن يسمح لنا بالقتال لحنقه على الملك أغاممنون. والآن فـإنني أحـد رجـال أُخيـل، وقـد قدمت مـن اليونان معه بسفينته. فأنا إذاً أحد المرامدة، وأبـي هـو فليقطـور، وهـو شـيخ مثلـك لـه ستة أبنـاء غيري، ولما اقترعنا على القدوم للحرب وقع الأمر علي. أمـا الآن فـاعلم أن الإغريـق ينظمـون صفوفهم للقتال لمهاجمة المدينة في الصباح، فقد ملوا المقام ولايقدر الملوك على إرجاعهم».

فقال فريام: «اصدقني الخبر مادمت لأخيل تابعا. ألا يزال ولـدي عنـد السـفن أم نهشته الكلاب؟».

فأجابه هرمس: «لم تنهشه كلاب ولاعقبان، ولكنه لايزال ملقى عند سفن أخيل، ومع أن اليوم هو الثاني عشر لقتله، فلم يدب فساد إلى جسده. بل إن أخيل ليجره حول قبر حبيبه فطرقل، ومع ذلك فإن ملامحه لم يعرها شـين، ولايـزال نضـراً، وقـد غسـلت عنه الدمـاء، واندملت منه الجراح، إذ نفذت فيه كثير من رؤوس الحراب. ولكــن الآلهـة الأبـرار قـد حبـوه بالإكرام ولو كان ميتاً».

فطابت نفس الملك فريام لما سمع، وقال: «ماأحسن مايكرم الرجلَ الأربـابُ. وحقـاً أن ولدي لم ينس قط ساكني الأولمب، ولهذا فإنهم لم ينسوه حتى في مماته. فخذ منـي الآن هـذه الكأس الجميلة؛ وقدم لأجله صنيعاً بأن تدلني على خيمة أخيل». فأجابـه هرمـس: «كـلا إن هذا لايكون، فلن آخذ من يدك هدية أخفيها عن أخيل، وله عندي كـل إجـلال، ومحـال أن أسلبه، فينالني الشر فيما بعد، أما أنـت فسـآخذك إلـى أرغـوس ذاتهـا إذا شئت، بـراً كـان أو بحراً، إذ لاتثريب علي في صحبتك». ثم قفز إلى مركبـة الملك، وقبـض علـى الأعنة بيده،

ونفخ في روع الجياد والبغال قوة، لم يكن لها بها عهد من قبل. ولما بلغوا القناة والخندق اللذين يحفظان السفن، هنالك كان الحراس قد شغلوا بطعامهم، فألقى عليهم هرمس النوم، ثم فتح الأبواب، وأدخل فريام ومامعه من نفائس، ولما وصلوا إلى خيمة أخيل، ترجل هرمس من المركبة، وقال: «هاأنا ذا هرمس الذي أنفذه أبوه زفس إليك، ليكون لك دليلاً، وسأرجع الآن، فلا أبغي أن يراني أخيل. بل ادخل أنت إليه، وتمسك بركبتيه، وناشده بأبيه وأمه وولده، فتحرك قلبه شفقة عليك».

ثم توارى هرمس صاعداً إلى الأولمب، وقفز الملك فريام من مركبته، وترك رسوله لدى الجياد والبغال، يحرسها، وتوجه إلى الخيمة. هنالك وجد أخيل بين صحبه، وقد جلسوا بعيداً عنه، وقام اثنان على خدمته، إذ كان لم يفرغ من تناول طعامه بعد. ولم ير أحد منهم الملك فريام إلا بعد أن اقترب من أخيل، وأمسك بركبتيه يقبل يديه، هاتين اليدين المخيفتين السفاكتين اللتين قتلتا الكثير من أبنائه، وكقاتل ارتكب جريمة فهرب إلى بلاد غريبة والتجأ إلى منزل أحد الأغنياء، فدهش الجميع لرؤيته، هكذا دهش أخيل لرؤية الملك فريام، وهكذا دهش صحبه، وهم ينظرون بعضهم إلى بعض. ثم تكلم الملك فريام، فقال:

ـ «أذكر أباك ياأخيل ياصنو الآلهة وارْث لحالي، أذكره فهو شيخ مثلي، ولعله يلقى **الآن** بعض العنت من جيرانه، إذ يرون أن لانصير له. وهو لايزال بخير، مادام يعلم أنك على قيد الحياة. فإن الأمل ليحدوه في كل يوم لرؤية ولده الحبيب، يعود من طروادة. أما أنا فإنني شقي بائس، فقد كان لي كثير من الأبناء الأبطال ـ وقد رزقت منهم تسعة عشر من أم واحدة ـ فقتل أكثرهم، كما أنك فتكت بذاك الذي كان أفضلهم جميعاً، والذي كان يحفظ مدينتنا من الدمار، ولأجله أتيت الآن أقدم الفداء، فارحمه وارحمني واذكر أباك، ولم يؤت أحد من الشقاء ماأوتيت، وذلك بأن أقبل اليدين اللتين فتكتا بولدي».

فأشجت هذه الكلمات قلب أخيل، وبكى وهو يذكر فطرقل مرة ويذكر أباه الشيخ في بلده مرة أخرى، وبكى فريام، وهو يذكر هكتور القتيل. ونهض أخيل أخيراً من مجلسه، وأنهض الملك فريام، وقد استدر شفقته رأسه الأبيض ولحيته الناصعة، وقال:

«كيف جرؤت على القدوم إلى سفن الإغريق، إلى الرجل الذي فتك بأبنائك؟ لاريب في أن لك قلباً قد من حديد. فاجلس الآن، ودع أحزاننا تقيم في قلوبنا، فلا فائدة من

النحيب، وإنها لإرادة الآلهة أن يكابد البشر المصائب، بينما يبقون خالين من الهموم. وهنالك على جانبي زفس أبي البشر صوانان، أحدهما لخير العطاء، والثاني لشره، وهو يمزج قسمة البشر آخذاً من كليهما. وقد اجتبى الأرباب الملك فيلا بكثير من أكرم العطاء، فوهبوه من المال والبركة ما يفوق قسمة البشر، ثم ملكوه على المرامدة. بل منحوه فوق هذه إلهةً تكون له زوجاً، ولكنهم منحوه السوء أيضاً حينما ضنوا عليه بعدد من الأولاد الأشداء في بيته. فلم يهبوه غير ولد وحيد، وهاأنا لاأقدر أن أعينه في شيخوخته. بل أقيم هنا بعيداً في طروادة. وأنت أيها الشيخ لك الثروة وقوة الشيخوخة، ولك السيادة على كل مايمتد بين لسبس وفريجيا ونهير هلاسبون. ولك أعطت الآلهة هذا الشر بأن يكون دائماً لدى أسوار مدينتك قتال وسفك دماء. أما ابنك فلا تنتحب عليه، لأنك لن تقدر على إحيائه».

ولكن فريام أجاب: «لاتطلب إلي الجلوس ياأخيل الجبار بينما يطرح هكطور مرذولا، فدعني أفتديه وأنظره بعيني، وتقبل مني هذه الهدايا. ولتمنحك الآلهة الرجع سالماً إلى ارض آبائك».

ولكن أخيل قطب، وقال: «لاتثر غيظي، فلقد أجمعت نفسي على إرجاع هكطور إليك، وأتتْ أميّ من أعماق البحار، تحمل إلي أمر زفس، ولا أظنك أتيت إلي إلا بتوجيه من الآلهة، فلا تقلقني بعد، لئلا يصدر عني بعض مايؤذيك».

فسكت الملك فريام، وسكن روعه، وأسرع أخيل من خيمته، ومعه اثنان من صحبه، فحلوا أولاً وثاق الخيول عن المركبة، والبغال عن العربة، وأدخلوا الرسول إيزيس، وأخذوا الهبات، ولكنهم أبقوا منها معطفين ودثاراً يلفون بها الميت. ثم طلب أخيل إلى النساء أن يغسلن الجسد، ويطيبنه بعيداً عن الخيمة، فقد يرى فريام ولده فيصرخ، فيهيج الحقد والغضب في قلبه.

وعندما غُسِّل وطُيِّب، حمله أخيل بين ذراعيه، ووضعه على النعش ثم حمل صحبه النعش إلى العربة، ولما انتهى الأمر أنَّ أخيل، ونادى صديقه الميت قائلاً: «لاتغضب يافطرقل إذا سمعت في تلك الأرض المجهولة بأنني قبلت الفدية عن هكطور من أبيه، فقد افتداه فداء جميلا، وستنال أنت سهمك اللائق».

ثم رجع إلى خيمته، وجلس قبالة فريام. «لقد افتدي ابنك أيها الشيخ، وستراه غداً،

وترجعه إلى طروادة. أما الآن فدعنا نأكل. ألم تأكل نيوبا حينما فقدت أولادها الاثني عشر. ست بنات وستة صبيان غر ميامين قتلهم أفلون وأرطميس ـ أفلون قتل هؤلاء وأرطميس قتلت أولئك ـ لأنها شبهت نفسها بلاطونة الحسناء، فدعنا إذاً نأكل أيها الشيخ، وستبكي هكطور غداً وأحسب أن دموعاً كثيرة ستنهمر عليه».

وهكذا أكلوا وشربوا، ولما انتهى الطعام، جلس أخيل يعجب بما عند فريام من نظر سام نبيل، كما جلس فريام يعجب بما لأخيل من قوة وجمال.

ثم قال فريام: «دعني أنم ياأخيل الجبار، فإنني لم أذق طعم النوم منذ صرع ابني بيديك، أما الآن فقد أكلت وشربت وثقلت جفوني». فأقام له صحب أخيل فراشاً خارج الخيمة، لكي لايراه من عسى أن يأتي الخيمة من الزعماء لمشورة، فيخبر الملك أغاممنون بأمره.

ولكن الملك فريام قال قبل أن ينام: «إذا كنت ترغب في أن تدعني أدفن هكطور، فلتكن بين قومي وبين الإغريق هدنة، فننـدب هكطور تسعة أيام وندفنه في اليوم العاشر، ونقيم للشعب وليمة، ثم نجعل فوقه قبراً عظيماً في اليوم الحادي عشر، ونعود في اليوم الثاني عشر إلى القتال، إذا كان لابد من القتال».

فأجاب أخيل: «فليكن ماتريد. وسأوقف الحرب كل هذه المدة».

وبينما كان فريام نائماً أتاه هرمس رسول زفس. وقال: «أتنام يا فريام في وسط أعدائك؟ لقد قبل أخيل الفدية عن هكطور، ولكن أبناءك الباقين سيدفعون ثلاثة أضعاف لأجلك، إذا ماعلم أغاممنون بوجودك بين السفن». فسمع الشيخ ذلك، وارتجف رعباً، وأيقظ رسوله، وشدا الجياد والبغال ومرا بين الجيش لايعلم بهما أحد، ولما بلغا النهر، ذهب هرمس إلى الأولمب، وأنار الصباح أرجاء الأرض، وحملا الجثة إلى المدينة بالبكاء والنحيب.

وكانت كسندرا أول من بصر بهما عند مجيئهما، فقد رأت أباها، ثم الرسول، ثم رأت جثة الميت فوق النعش، فصاحت تقول: «ياأبناء طروادة وبناتها اذهبوا للقاء هكطور إذ طالما ذهبتم قبلاً للقائه جذلين عند عودته من القتال».

ولم يتخلف أحد في المدينة، بل خرجت بنسائها ورجالها، فلاقوا العربة عندما حاذت الأبواب ومشت أمام الجموع امرأته، تتبعها أمه والجمع المحتشد، وحقاً لقد كان بودهم أن

يبقوه هناك إلى المساء باكين منتحبين، ولكن الملك فريام قال:

«دعونا نمر، وسيكون لكم ماتشاؤون من النحيب عندما نأخذه إلى بيته».

وهكذا أخذوه إلى بيته، وأسجوه على فراشه، وقام المنشدون يندبون، والنساء تنتحب. ثم أتت قبل الجميع زوجة أندروماخ تعول وتقول:

ـ «إيه زوجي لقد هلكت وأنت في ميعة شبابك، وتركتني للأيْم. أما ولدي! ولدك وولدي فلا يزال طفلاً. وأخاف أن لايدرك الشباب، فستسقط هذه المدينة قبل ذاك وقد ذهبت عنها، وأنت حامي ذمارها، وسيحملوننا قريباً أمهات وأطفالاً إلى السفن. وستكون أنت ياولدي معناه تقوم على خدمة الغريب في أسْرٍ شائن. ولعل أحد الإغريق يصرعك ثم يمسكك ويقذف بك من فوق السور. أجل أحد الإغريق الذين قتل لهم هكطور في الحرب أباً، أو ابناً، أو أخاً، وقد قتل هكطور منهم الكثيرين، ولم يكن لين اليدين في العراك، ولهذا ينتحب القوم لأجله اليوم. وإن فجيعة والديك لشديدة ياهكطور! ولكن فجيعتي أدهى وأشد! وأنت لم تمد لي من فراشك يدَ وداعٍ، ولانطقتَ بكلمةِ تأسٍ أستغرق في تدبر معناها وأنا أبكيك ليل نهار».

ثم تكلمت أمه إيقاب تقول: «لقد كنت يابني عزيزاً على الآلهة الخالدين في حياتك؛ أثيراً عندهم في مماتك، وعلى الرغم من أن أخيل كان يجرك حول قبر حبيبه فطرقل، فإنني أحسب أنه لم يقدر على إحيائه. وهاأنت الآن ترقد نضراً جميلاً، كرجل ضربه الإله ذو القوس الفضية ضربة مفاجئة فقتله». وأتت آخر الجميع هيلانة، فقالت: «لقد مرت سنون كثيرة منذ قدمت طروادة ـ وياليتني مت قبل ذاك وكنت نسياً منسياً ـ ولم أسمع قط من شفتيك كلمةً مُرَّةً، بل كنت إذا ماسلقتني أخت الزوج و امرأة الأخ أو الحماة بكلمة قاسية ـ إذ إن فريام كان رفيقاً بي كأب ـ كنت ياهكطور تزجرهنّ برقتك، ورشيق كلماتك، ولهذا أبكيك. ولم يبق لي في كل شوارع طروادة الفسيحة من صديق، بل كلهم لي الآن كاره شانئ» وناح القوم جميعاً. ثم تكلم فريام فقال:

ـ «اذهبوا الآن ياقومي، واجمعوا الحطب لدفن هكطور، ولاتخشوا من الإغريق كميناً، فقد وعدني أخيل بأن يكف عن القتال إلى أن يحين اليوم الثاني عشر».

وهكذا جمع القوم في تسعة أيام كثيراً من الحطب، وألقوا على الركام جثة هكطور في

اليوم العاشر، وأوقدوا تحتها النيران. ولما احترقت أخمدوا جذوتها بالنبيذ، ثم جمع إخوته وصحبه العظام البيضاء، ووضعوها في قارورة من ذهب، وغطوا هذه بأثواب أرجوانية، ثم جعلوها في تابوت عظيم، وألقوا فوقها حجارة كثيرة العدد، ضخمة الحجم، وشادوا فوق الجميع أكمة هائلة، وكان الحرس يرقبون في كل تلك الأثناء لئلا ينهض الإغريق للفتك بهم، وأقام الملك فريام آخر الأمر وليمة حافلة في قصره. وهكذا دفنوا هكطور مروض الجياد.

هرمس في دوائر المعارف والموسوعات
وكتب الأعلام والميثولوجيا
العربية والعالمية

جاء في دائرة المعارف الإسلامية ـ الترجمة العربية تحت مادة «إدريس» مايلي:

«إدريس» : اسم نبي ورد ذكره في القرآن مرتين : ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ سورة مريم الآية 75 ومابعدها .

﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [سورة الأنبياء : 58] وليس في هذه الآيات مايميط اللثام عن هذه الشخصية . وظل هذا الاسم مدة طويلة لغزاً عند المستشرقين حتى جاء نولدكه فرجح أنه هو «أندرياس» ج17 ، ص 84 ومابعدها) . وزعم «هارتمان» (المجلة نفسها ، ج24 ، ص 314 ومابعدها) بحق أن أندرياس هذا الذي رفع مكاناً علياً ليس إلا طاهي الإسكندر ، ذلك الطاهي الذي كتب له الخلود . ويذهب مؤلفو المسلمين إلى أن أندرياس هذا هو أخنوخ المذكور في التوراة ، وهو شخص كتب له الخلود أيضاً كما تذهب القصص ، أو دخل الجنة حيا كما تذكر المصادر اليهودية . ومايضيفه كُتَّاب العرب المذكورون إلى إدريس إنما يرجع بنوع خاص إلى مصادر يهودية متأخرة غير موثوق بها . ولأخنوخ المذكور في التوراة ثلاث صفات بارزة توجد أيضاً في القصص الإسلامية المصوغة على مثال قصص اليهود (سفر التكوين ، الإصحاح الخامس ، الآية 23 ـ 24) .

وهي : 1 ـ ورعه ، 2 ـ تعميره 365 سنة على الأرض ، وفي هذا مايشير إلى أنه كان بطلاً من أبطال الأسطورة الشمسية 3 ـ رفعه إلى السماء . واسم «أخنوخ» نفسه ـ الذي توحي حروفه معنى «الملهم» ـ قد أثر في تكوين القصص التي حيكت حوله .

أما فيما يتعلق بهذه المسألة الأخيرة فإن إدريس يبدو في المصنفات الإسلامية ملهماً بالعلوم والفنون ، فقد كان أول من خط بالقلم ، وأول من حاك الثياب وارتداها وكان الإنسان قبله يرتدي الجلود . فهو إذاً «راعي» الخياطين ، وأحد الرعاة السبعة اللذين يرعون النظام النقابي . وكان كذلك أول من عرف الطب ونظر في علم النجوم وحساب السنين والأيام ، أما من جهة الورع ، فقد كان أول من امتطى الفرس للجهاد في سبيل الله ضد أحفاد قينان المفسدين . ومن جهة النبوة ، كان أول من نزل عليه جبريل الوحي . ويروى أن ثلاثين صحيفة أوحيت إليه على هذا النحو ، ويمكن الرجوع إلى تاريخ ابن القفطي خاصة (طبعة لير ، ص 1 ومابعدها) إذا أردنا أن نتتبع أعماله باعتباره نبياً وملكاً . وسمي إدريس لغزارة علمه بما نزل من الوحي قبله ، وهو

علم توصل إليه بالدرس الكثير، ولكن دراية البيضاوي بفقه اللغة العربية جعلته ينكر اشتقاق إدريس من الدرس، ولو أن هذا الاشتقاق ممكن في أخواتها من اللغات. ولابد أن ورعه قد أثار إعجاب الملائكة، فقد سأل ملك الموت الله أن يزور إدريس، فجاءه على صورة إنسان ودعاه في الليل إلى مائدته، ولكن إدريس أبى، فكرر ملك الموت دعوته تلك مرتين متتاليتين. وفي المرة الثالثة سأله إدريس عن شخصه، فلما أجابه طلب إليه إدريس أن يقبض روحه فقبض ساعة من الزمن، ثم استرده مرة أخرى، ثم طلب إليه كذلك أن يرفعه إلى السماء ليراها ويرى الجنة. فلما بلغ الجنة أبى أن يخرج منها وتعلق بنخلة واعتصم بآيتين من القرآن أولهما «كل نفس ذائقة الموت»، وقد ذاقه من قبل، «والثانية وماهم منها بمخرجين» ولذلك فقد تشبث هو بالبقاء في الجنة فأبقاه الله فيها، وسيعود منها إلى الأرض ثانية وكما يعيش هو وعيسى في السماء خالدين، يعيش الخضر وإلياس خالدين في الأرض.

والذي يجعل إدريس في هذه القصة بطلاً من أبطال الأسطورة الشمسية هو أن روحه قبضت عند مغيب الشمس. ونجد في رواية أخرى لهذه القصة عدة نواح تشير إلى صلته بالأسطورة الشمسية. ففي ذات يوم أثناء رحلة له اشتدت عليه حرارة الشمس فسأل الله أن يخفف وطأتها رحمة بالذي يطوي كل يوم رحلة قدرها خمس مئة سنة تحت هذه الحرارة (يعني ملك الشمس). وسأل إدريس هذا الملك أن يؤخر أجله، فحمله هذا الملك نحو مشرق الشمس وأبلغ سؤله ملك الموت، ولم يستطع هذا الأخير أن يجيب سؤاله، فأطلعه ملك الشمس على يوم موته، ولما فتح ملك الموت ديوانه لم يجد فيه وفاة إدريس ففسر الملك ذلك أن وفاة إدريس يجب أن تكون عند شروق الشمس، وقد وجده ملك الشمس ميتاً بالفعل عندئذ. ومع ذلك فإن إدريس خالد لايموت، ومعنى ذلك - لو عبرنا عن الأسطورة الشمسية باللغة الجارية - أن الشمس تموت كل يوم وتحيا. أي أنها خالدة. ومازالت ناحية أخرى من نواحي صلة إدريس بالأسطورة الشمسية ماثلة للأذهان في تفسير «المكان العلي» الوارد في الآية 57 من سورة مريم. بأنه فلك الشمس.

ويجعل أيضاً إدريس عن إلياس والخضر. ويقال إن اليونان عرفوه باسم هرمس. أو كما يقول ابن العبري (تاريخه طبعة بوكوك ص9) هرمس الهرامسة المثلث بالحكمة. وقد وردت معلومات وافية عن هذه الموضوعات في تاريخ ابن القفطي. وتتفق الروايات الإسلامية مع بعض الآيات الواردة في سفر الرؤيا، في أن إدريس قد مر بجهنم.

ويعلق محمد فريد وجدي على مادة «إدريس» الواردة في الترجمة العربية لدائرة المعارف الإسلامية بما يلي:

ورد ذكر أنبياء كثيرين في القرآن الكريم ولكن ليس على سبيل الحصر ولا التاريخ ولكن على سبيل الوعظ بأحوال الأولين والتنبيه على سنن الله في الأمم أجمعين، فقد ذكر الله تعالى أنه لم يَحرم أمة من رسول فقال «وإن من أمة إلا خلا فيها نذير» وصرح بأنه ذكر بعضاً منهم وأغفل بعضاً، فقال تعالى: ﴿ وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ﴾ وبيّن في أكثر من موطن أن أولئك الأنبياء والرسل كانوا رجالاً كسائر الرجال، وإنما خُصّوا بالوحي لتعليم الناس وإرشادهم، فقال تعالى ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلا رِجَالاً نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ﴾ وقال تعالى ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً ﴾ وقال في خاتم رسله محمد صلى الله عليه وسلم «قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي إنما إلهكم إله واحد» وقد كافح القرآن كل ميل كان في الناس لتأليه أنبيائهم أو الغلو في تنزيههم، وقرر الأصوليون عندنا أن الأنبياء منزهون عن الكبائر دون الصغائر التي تبدر منهم بحكم بشريتهم، فيتبعونها بما يمحو أثرها من استغفار أو صلاة أو أية قربة من القربات. كانت التوراة مورداً تستمد منه تواريخ كثير من الأمم التي كانت معاصرة لبني إسرائيل، ولذلك جاء الكلام عنها مطبوعاً بطابع الإسرائيليات، وقد سرى إلى مؤرخينا شيء من الإسرائيليات، وخاصة فيما يتعلق بتاريخ الأنبياء وقد نصح نقدتنا بوجوب الحذر الشديد من الثقة المطلقة بهذه الروايات، ومهما كانت الأحوال فإن القرآن لايلزمه شيء من هذه الإسرائيليات، ولو نقلها بعض المسلمين في تفاسيرهم للكتاب، فإن القرآن ذكر النبوة والرسالة وبين أنهما مرتبتان بشريتان لاتقتضيان لمستحقيهما الارتفاع إلى درجة الألوهية، ولاتخرجانهما عن دائرة الحالات الإنسانية، حتى قرر أن الأعمال الخارقة لاتصدر منهم إلا بإذن من الله لهم فهي ليست ذاتية فيهم.

والمسلم مكلف، إنْ نظر في تواريخ الأنبياء أن يتبع الأسلوب القرآني من التمحيص والتحقق والبعد عن الظنون، إلا مانص الكتاب على أنه معجزة فتلك يعزوها إلى قدرة الله التي لايعجزها شيء في الأرض ولا في السماء.

بعد هـذه المقدمـة نقـول إن المسـلم لايهمـه أن يعـرف مـن أمـر إدريـس أكـثر مـن أنـه كـان صدِّيقاً، وأنه كان مـن الصـابرين، وأن الله رفعـه مكانـاً علياً كمـا ذكـر عنـه في الكتـاب، فأمـا ماوراء هذا مما ذكره المفسرون من أنه كان سبط شيث، وجدّ أبي نوح عليـه السـلام، ومـاذكره المستشرقون من أن إدريس هو أندرياس الذي كان طاهياً للإسكندر أو أنه أندرياس المذكور في التوراة وأنه عمَّر أكثر من ثلاث مئة سنة، فكل هذا لايلزم القرآن منه شيء، وإن ماقاله مفسـر فإنه يفعل ذلك باسم التاريخ لاباسم القرآن ولاباسم الدين، ولذلك فهو يعقب على مثل هذا بقوله: والله أعلم.

والذي ينظر في كتب المسلمين يرى هذا الأسـلوب مـاثلاً فيهـا في صـورة لايمكـن الاشـتباه فيها، فخذ مثالاً لذلك ماكتبه العلامة البيضاوي في تفسير آية إدريس، فقد قال في تفسير قولـه تعالى: ﴿ وَرَفَعْنَـٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ يعني شرف النبوة والزلفـى عنـد الله وقيـل الجنـة وقيـل السـماء السادسة والرابعة.

فانظر كيف فسر الكلام الإلهي بما يتبادر إلى الفهم منه لأول وهلة، ثم لم يرد أن يوصـد البـاب في وجـه أصحـاب الآراء المختلفـة فذكـر أن بعضهـم فسـر مكانـاً علياً بالجنـة وبعضهـم بالسماء، ولكن لاحظ أنـه ذكـر هـذه الآراء بصيغـة تـدل علـى ضعـف القـول، وأثبـت الأول بصيغة التحقيق.

يقول كاتب الفصل الذي نرد عليه من هذه الدائرة أن لأخنـوخ المذكـور في التـوراة ثـلاث صفات بارزة توجد أيضاً في الأقاصيص الإسلامية المصوغـة علـى مثـال الأقـاصيص اليهودية وهي (1) الورع (2) التعمير ثلاثمائة وخمس وستين سنة (3) والرفع إلى السماء.

نقول إن هذا الكلام يشعر بأن كتاب الإسلام مشحون بالأقـاصيص التي مـن هـذا النـوع والواقع أنه ليس فيه واحدة منها.

وقد جاء أيضاً لمحمد فريد وجدي ودائرة معارف القرن العشرين:

«هرمس» هـو هرمـس الأول ولفظـه أرمـس وهـو اسـم عطـارد ويسـمى عنـد اليونـانيين أطرسمين، وعند العرب إدريس، وعنـد العـبرانيين أخنـوخ، وهـو ابـن يـارد بـن مهلائيـل بـن

قيتان بن ألوش بن شيث بن آدم عليهما السلام، ومولده بمصر في مدينة منف منها. قال: وكانت مدته على الأرض اثنتين وثمانين سنة، وقال غيره ثلاثمائة وخمساً وستين سنة. قال المبشر بن فاتك: وكان عليه السلام رجلاً آدم اللون، تام القامة، أجلح، حسن الوجه، كث اللحية، مليح التخاطيط، تام الباع، عريض المنكبين، ضخم العظام، قليل اللحم، براق العينين، أكحل، متأنياً في كلامه، كثير الصمت، ساكن الأعضاء، إذا مشى أكثر نظره إلى الأرض، كثير الفكرة، به حدة وعبسة، يحرك إذا تكلم سبابته. وقال غيره إن أسقليبيوس كان قبل الطوفان الكبير، وهو تلميذ أغاثوذيمون المصري، كان هذا أحد أنبياء اليونانيين والمصريين، وتفسير أغاثموذيمون السعيد الجد، وكان أسقليبيوس هذا هو البادي بضاعة الطب في اليونانيين، علمها بنية وحظر عليهم أن يعلموها الغرباء. وأما أبو معشر البلخي المنجم فإنه ذكر في كتاب (الألوف) أن أسقليبيوس هذا لم يكن بالمتأله الأول في صناعة الطب، ولا بالمبتدئ بها بل إنه عن غيره أخذ، ونهج من سبقه سلك، وذكر أنه كان تلميذ هرمس المصري، وقال إن الهرامسة كانوا ثلاثة.

أما (**هرمس الأول**) وهو المثلث بالنعم، فإنه كان قبل الطوفان، ومعنى هرمس لقب كما يقال قيصر وكسرى، وتُسمِّيه الفرس في سيرها اللهجد، وتفسيره ذو عدل، وهو الذي تذكر الحرانية نبوته، وتذكر الفرس أن جده كيومرث، وهو آدم، وتذكر العبرانيون أنه أخنوخ وهو بالعربية إدريس. قال أبو معشر هو أول من تكلم في الأشياء اللونية من الحركات النجومية وإن جده كيومرث، وهو آدم، علمه ساعات الليل والنهار، وهو أول من بنى الهياكل ومجد الله فيها، وأول من نظر في الطب وتكلم فيه، وإنه ألف لأهل زمانه كتباً كثيرة بأشعار موزونة وقواف معلومة، بلغة أهل زمانه في معرفة الأشياء الأرضية العلوية، وهو أول من أنذر بالطوفان، ورأى أن آية سماوية تلحق الأرض من الماء والنار، وكان مسكنه صعيد مصر، تخير ذلك فبنى هنالك الأهرام ومدائن التراب، وخاف ذهاب العلم بالطوفان فبنى البرابي، وهو الجبل المعروف بالبوبلبربا أخميم، وصور فيها جميع الصناعات وصناعها نقشاً، وصور فيها جميع آلات الصناع، أشار إلى صفات العلوم لمن بعده برسوم، حرصاً منه على تخليد العلوم لمن بعده، وخيفة أن يذهب وسم ذلك من العالم، وثبت في الأثر المروي عن السلف أن إدريس أول من درس الكتب ونظر في العلوم، وأنزل الله عليه ثلاثين صحيفة، وهو أول من خاط الثياب ولبسها ورفعه الله مكاناً علياً.

وأما (**هرمس الثاني**) فإنه من أهل بابل، سكن مدينة الكلدانيين وهي بابل. وكان بعد الطوفان في زمن بزبربالي الذي هو أول من بنى مدينة بابل بعد نمروذ بن كرش، وكان بارعاً في علم الطب والفلسفة وعارفاً بطبائع الأعداد، وكان تلميذه فيثاغورس الارتماطنقي، وهرمس هذا جدد من علم الطب والفلسفة وعلم العدد ماكان قد درس بالطوفان ببابل، ومدينة الكلدانيين هذه مدينة الفلاسفة من أهل المشرق وفلاسفتهم أول من حدد الحدود ورتب القوانين.

وأما (**هرمس الثالث**) فإنه سكن مدينة مصر وكان بعد الطوفان، وهو صاحب كتاب الحيوانات ذوات السموم، وكان نبياً فيلسوفاً عالماً بطبائع الأدوية القتالة والحيوانات المؤذية وكان جوالاً في البلاد طوافاً بها، عالماً بنصبة المدائن وطبائعها وطبائع أهلها، وله كلام حسن في صناعة الكيمياء نفيس يتعلق منه إلى صناعات كثيرة كالزجاج والخرز والفخار وماأشبه ذلك، وكان له تلميذ يعرف بإسقليبيوس، وكان مسكنه بأرض الشام.

وذكرت موسوعة قاموس الكتاب المقدس الصادرة عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى مايلي:

أخنوخ

اسم عبري ومعناه «مكرس» أو «محنك» ولفظ الاسم في الأصل العبري هو نفس الاسم حنوك في الترجمة العربية. وهو ابن يارد وأبو متوشالح (تك 5: 18 و 21) وهو السابع من آدم (يهوذا عدد 14) من نسل شيث. ويخبرنا الكتاب المقدس أن أخنوخ سار مع الله أي إنه عاش في طاعة الله وشركة معه (تك 5: 22 و 24).

وعاش ثلاثمائة وخمساً وستين سنة (تك 5: 23)، ويخبرنا الكتاب أنه لم يوجد بعد ذلك، لأن الله أخذه (تك 5: 24) وقد فسر كاتب الرسالة إلى العبرانيين هذا القول بأن الله نقله لكي لايرى الموت (عب 11: 5) ويذكر يهوذا في رسالته عدد 14 و 15 أن أخنوخ تنبأ عن القضاء الذي يحل بالأشرار. ويمكن أن نرى هذه النبوة مذكورة في سفر أخنوخ (ص91) ـ وهو من الأسفار غير القانونية.

كتاب أخنوخ

سفر من الأسفار غير القانونية ويسمى أيضاً «نسخة أخنوخ الإثيوبية» أو «الحبشية»

ويسمى أيضاً أخنوخ الأول، وينسب خطأ إلى أخنوخ المذكور في (تك 5: 23 و 24). والكتاب عبارة عن مجموعة من الأسفار اليهودية كتبت أصلاً في اللغة الآرامية على وجه الترجيح. وقد فقد الأصل الآرامي ولكن وجدت أجزاء من هذا الكتاب في الترجمة اليونانية. وكذلك توجد نسخة حبشية ترجمت عن النسخة اليونانية التي بدورها ترجمت عن الأصل الآرامي الذي يرجح أنه كتب بين سنة 163 و80 قبل الميلاد.

والكتاب مليء بأخبار الرؤى عن المسيا المنتظر والدينونة الأخيرة وملكوت المجد. ولعقيدة المسيا في هذا الكتاب أهمية خاصة، لأنها تمهد الطريق للعهد الجديد، وكذلك في هذا الكتاب «مسيح الله» انظر ص48: 10. وكذلك يدعى «البار» انظر 38: 2 وقارنه مع أعمال 3: 14 «والمختار» انظر ص40: 5، وقارنه مع لوقا 9: 35 في الأصل اليوناني وكثيراً مايدعى المسيا «ابن الإنسان» ص46: 2 الخ. ويقول كاتب سفر أخنوخ إن «ابن الإنسان» كان موجوداً قبل خلق العالم انظر ص69: 27 وأنه سيدلك على الشعب البار انظر ص62: 1-6.

ويقتبس كاتب رسالة يهوذا في عددي 14 و 15 سفر أخنوخ ص1: 9. وكذلك يوجد لبعض الأقوال الخاصة بأواخر الأيام في العهد الجديد مايقابلها في سفر أخنوخ. وقد اقتبس بعض الآباء في العصور المسيحية الأولى بعض أقوال هذا السفر. ومن بين هؤلاء جاستن الشهيد وأرينيوس الإسكندري وأوريجانوس. . ولكن قادة المسيحيين فيما بعد أنكروا هذا الكتاب ورفضوه. ومن بين هؤلاء. يوحنا فم الذهب وأغسطينوس وجيروم أو لورينيموس. ولم يعتبر اليهود أو المسيحيون هذا الكتاب ضمن الأسفار القانونية.

توجد نسخة سلافية تختلف في محتوياتها عن النسخة السابقة، ويسمى هذا السفر غير القانوني «أخنوخ الثاني» أو «كتاب أسرار أخنوخ» وقد كتب هذا السفر اليهودي أولاً في اللغة اليونانية في مدينة الإسكندرية في النصف الأول من القرن الأول الميلادي. وقد فقد الأصل اليوناني، أما النسخة الموجودة الآن فهي ترجمة سلافية.

ويحتوي على رحلة أخنوخ في السماوات السبع وإعلانات الله لأخنوخ حسبما يزعمون، وكذلك يحتوي على مايقولون إنه تحذيرات أخنوخ لأبنائه.

ومن موسوعة «رجال الكتاب المقدس» للقس إلياس مقار[1].

أخنوخ

لاأعلم كيف فاتني أن أتعمق في دراسة شخصية أخنوخ. ولاأعلم كيف فاتني ـ لسنوات متعددة ـ أن أقترب أكثر من هذا الشعاع من النور الذي أضاء في فجر الحياة البشرية، ولاأعلم لماذا لم أصدق في هذه الهالة التي لفَّت وجه الرجل السابع من آدم، الذي يقول البعض: إن اسمه يعني «المبتدئ» أو «الجديد» أو «المكرس»، وعلى أي حال فإن العدد «سبعة» رمز الكمال في لغة الكتاب، ويبدو أن الرجل كان بمثابة بداية جديدة أو نقطة تحول في مفهوم التكريس وعمقه وجلاله ومجده أمام الله والناس.. هل يرجع الأمر إلى أن الكلمات التي جاءت عنه قليلة ويسيرة في أربع آيات في سفر التكوين، وآية واحد في الرسالة إلى العبرانيين، واثنتين أخريين في رسالة يهوذا؟ أم لأننا مرات كثيرة لاتستلفت القصة أنظارنا إن لم تكن مصحوبة بوقائع معينة، تعين على الرؤيا أو تحديد الملامح؟ أم لأنا في عجلة الحياة وسطحيتها وضجيجها وعدم تعمقها نغفل عن أن نطل على الجواهر المتلألئة المضيئة، فلا نرى الرجل الذي كان أشبه بالفلتة النادرة في عصره فعاش الحياة ولم ير الموت، لأنه عاش أجمل حياة على أرضنا وبرح الدنيا إلى حياة أبدية أسمى وأجمل، دون أن توضع على شفتيه كأس المنون ليجرعها، كما يجرعها كل إنسان على الأرض؟.. لقد أفلت أخنوخ وإيليا من الموت ولن يوجد على شاكلتهما إلا أولئك الأحياء الذين يعيشون دون أن يروا الموت في المجيء الثاني السعيد.. من يكون هذا الرجل وماهي السمات التي يمكن أن تتميز بها شخصيته الرائدة العظيمة؟.. إنه في تصوري هو «التصوف» الأول في الحب الإلهي إن جاز هذا التعبير؟.

فإذا قرأنا عن قافلة المحبين لله، الذين يركضون في سباق الحب الإلهي، فسنجد هذا الرجل أول المتسابقين في فجر الحياة البشرية.. لقد فتحت عينيه على الله، وإذا رآه لم يعد يرى شيئاً في الوجود غيره، فتن بالله، واستغرقه الحب الإلهي، وكان أسعد إنسان في عصره يسير هائماً مع الله، وقد ازدادت سعادته بهذا اليقين الذي ملأ قلبه أنه أرضى الله.. وإذا صح أن رجلاً إنجليزياً عطوفاً تحدث ذات يوم إلى غلام كان يمسح حذاءه، وكان البرد قارساً.. وقال الإنجليزي للغلام بعطف عميق: ياغلام.. هل أنت مقرور؟. وأجاب الغلام بابتسامة عميقة: لقد كنت كذلك ياسيدي إلى أن ابتسمت في وجهي.. إذا صح أن وجهاً بشرياً يطل

(1) ج: طبعة القاهرة ص36 ومابعدها.

على آخر فيصنع الابتسامة ويشيعها فيه، فكم يكون الله الذي أطل على أخنوخ ورضي عنه وأخيه.. إنها قصة جميلة رائعة، تستدعي تأملنا وتفكيرنا، ولذا يمكن أن نرى أخنوخ من عدة نواح.

(أخنوخ من هو..؟)

لاأستطيع أن أتصور أخنوخ دون أن أراه الإنسان ذا الهالة والوجه النوراني، وهل يمكن لإنسان أن يعيش مع الله، ويسير في صحبة الله، دون أن تطبع الصورة الإلهية، أو الجمال الإلهي عليه؟. لقد صعد موسى إلى الله أربعين يوماً وأربعين ليلة، وعاد وجهه يشع بالنور وهو لايدري، ولم يعرف حقيقة حاله، إلا من فزع الإسرائيليين الذين لم يستطيعوا أن يبصروا هذا الإشعاع من النور دون رهبة أو إجلال أو فزع، ولقد تعود موسى أن يضع البرقع على وجهه، ليغطي هذا النور كلما اقترب من الناس أو التقى بهم، فكيف يمكن أن يكون أخنوخ الذي تعرف على الله وهو في الخامسة والستين من عمره، وسار مع الله ثلاثمائة عام بأكملها منذ ذلك التاريخ؟! وإذا صح أن «دانتي» كان يرسم على وجهه ـ وهو يكتب الكوميديا الإلهية ـ كل التأثرات والانفعالات التي تجيش في نفسه، فإذا كتب عن السماء، فهو أدنى إلى الملاك وهو يكتب، مأخوذاً بالصور السماوية الرائعة.. وإذا تحول إلى الجحيم يدير وجهه، وكأنما الشيطان ينعكس من خلال ملامحه ونظراته، فهو أدنى إليه وأقرب،.. وإذا صح أن الحياة تطبع على وجه الإنسان في الأربعين من عمره ـ كما يقال ـ معالمها من ذات السلوك الذي يسلكه بين الناس، فإن الرجل الذي يسير ويستمر مع الله في سيره ثلاثمائة عام متوالية، لابد أن ينال من الجمال الإلهي مالم يعرفه معاصروه أو أجيال كثيرة تأتي بعده،.. وهو الرجل النافذ النظر، البعيد الرؤيا، الحالم الوجدان، الذي يمد بصره إلى ماوراء المنظور، فيرى من لايرى، شخص الله الذي آمن به، واستولى على كيانه وسيطر على كل ذرة من تفكيره وعواطفه وبنيانه،.. وإذا كانوا قد قالوا: إنّ المصور المشهور «هولمان هانت» عندما قيل له كيف يستطيع أن يصور المسيح ويرسمه دون أن يكون قد رآه،.. أجاب: إني سأراه وأعيش معه، سأراه طفلاً في مذود بيت لحم، وسأذهب وراءه إلى مصر، وأعود معه إلى الناصرة، وأصعد وإياه فوق جبل التجلي، وأجول معه في جولاته بين الناس، وأتمشى وراءه في أورشليم، ولن أترك مكاناً ذهب إليه دون أن أذهب، وسأرسمه مأخوذاً بهذه كلها.. فإذا صح أن هذا المصور يعيش بخياله مع المسيح على هذا النحو الجليل فإن أخنوخ ـ وهو يضرب

بقدميه في كل مكان، وقد أخذ الله بلباب حياته ـ لابد أن يكون الإنسان السارح الفكر البعيد الخيال، الممتد الرؤيا، الكثير التأمل، بل لعله من أقدم الشخصيات التي صلت فأطالت الصلاة وناجت فمدت المناجاة، وهل يمكن أن يسير مع الله وهو أصم أو أعمى أو أبكم؟ لقد استيقظت حواسه بأكملها، فهو سامع مع الله، متكلم معه، وهو الذي سيجد من الشركة مع الله، مايعطيه أن يشدو ويترنم ويسبح ويغني!!.. فإذا أضفنا إلى ذلك أن هذا الرجل كان واحداً من أقدم المحبين الذين ملأ حب الله قلوبهم، بل لعلنا نذهب أكثر فنراه المتصوف الذي بلغ أعلى درجات الحب الإلهي،.. فإذا كان اليونانيون قد جاءوا بعد آلاف السنين ليفصلوا أنواع الحب، وكانت هنالك كلمات ثلاث مختلفة عندهم الأولى EVRN وتعني حب الشهوة ليس بين الرجل والمرأة، بل كل الأنواع التي تستحق أن تملك كمثل حب الجمال أو الخير، أو الحب الذي هو أساس الحياة الأدبية كحب الفضيلة، أو أساس الحياة الفنية، كتذوق الجمال أو أساس الحياة الفلسفية، وقد رأوها في حب الآلهة، أو الأبدية أو الخلود... وكانت الكلمة الثانية Phibein وهي حب الخير غير الأناني الذي يعنى بالإنسان والصديق والوطن ومأأشبه، وكان اليونانيون يصفون به أعلى الناس، وقد وصفت به أنتيجون، الفتاة التي تابعت أخاها حتى القبر، وظلت إلى جوار جثته حتى ماتت، ووصفت به نبلوت التي ظلت عشرين عاماً تحدق في الفضاء البعيد تنتظر مجيء زوجها وسفنه الضائعة،.. والكلمة الثالثة Agapan وقد استخدمت أكثر من معنى، وشاعت عباراتها بالمعنى السالف للكلمتين، وإن كانت تعبر عن الحب القوي العميق!!.. إذا كان أخنوخ في فجر الحياة البشرية لم يفصل أو يفرق بين هذه الأنواع، إلا أنه عاشها. فقد عاش يتذوق الحب الإلهي، ولعله صاح طوال حياته للناس: ذوقوا وانظروا ماأطيب الرب، كما صاح المرنم الذي تغنى بذلك بعد آلاف السنين. أو لعله قال: «إلى اسمك وإلى ذكرك شهوة النفس بنفسي أشتهيتك في الليل أيضاً بروحي في داخلي، إليك أتبكر، لأنه حينما تكون أحكامك في الأرض يتعلم سكان المسكونة العدل. يرحم المنافق ولا يتعلم العدل في أرض الاستقامة يصنع شراً ولايرى جلال الرب» كما قال أشعياء فيما بعد!! وعاش الحب الذي خرج به عن نفسه، واستغرق لا العشرين عاما التي عرفتها بنلوب وهي تحدق في الفضاء البعيد، التي لم ترض بغير زوجها بديلاً،.. ولم يرض زوجها بغيرها بديلاً ـ حتى في جنات الآلهة كما سرح الخيال الوثني ـ وظلا كلاهما على الوفاء بعد حروب طروادة حتى التقيا آخر الأمر،.. إن حب أخنوخ لله، كان هو التصوف

الذي أشرنا إليه، والذي عاشه ثلاثمائة عام، وتجاوز به حاجز الموت حتى التقى بالله ليسبح في بحر الحب الإلهي إلى آباد الدهور!!..

وكان أخنوخ - ولاشك، كما وصفه الكسندر هوايت - أسعد إنسان في عصره، وعلى الرغم من أن العصر الذي عاش فيه - كما سنرى - من أشَرِّ العصور وأفسدها،.. لكن الرجل مع ذلك وجد جنته الحقيقية في السير مع الله،.. إنه لم يفزع من الله كما فعل آدم عندما زاره الله في الجنة، وكان عرياناً يخجل من خطيته وعريه، ويتنافر بالخطية تلقائياً عن محضر الله أو السير معه،.. إلا أن أخنوخ كان على العكس، لقد أدرك ترياق الله من الخطيّة، وتعلم كيف يتقرب إلى الله بالذبيحة، بل يلتقي المحبان في نشوة الحب وعمقه وصدقه وجلاله وحلاوته،.. وأجل وتلك حقيقة أكيدة إذ إن حب الله استحوذ عليه فغطى على كل عاطفة أخرى، وجاء البديل لكل حاجة أخرى، وأسكره وهو يعلم أو لايعلم عن كل خمر يمكن أن يقدمها الناس بعضهم لبعض في هذه الحياة!!.. لقد عرف أخنوخ لغة الشاعر المتصوف الذي أنشد قصيدته بعد ذلك وهو يقول لله:

فليتك تحلو والحياة مريرة — وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامر — وبيني وبين العالمين خراب
إذا نلت منك الود ياغاية المنى — فكل الذي فوق التراب تراب

وكان أخنوخ أكثر من ذلك الرجل الغيور الملتهب، إن سيره مع الله لم يحوله إلى مجرد إنسان تأخذه النشوة، فيعيش في الأحلام دون أن يرى الواقع الذي يلمسه في العالم الحاضر الشرير، لقد زمجر كالأسد كما جاء في رسالة يهوذا قائلاً: «قد جاب الرب في ربوات قديسية ليصنع دينونة على الجميع، ويعاقب جميع فجارهم على جميع أعمال فجورهم التي فجروا بها وعلى جميع الكلمات الصعبة التي تكلم بها عليه خطأة فجار». وهنا نرى رجلاً ممتلئاً من الشجاعة، وقف إلى جانب الحق ومواكبه، ورفض أن يساير الباطل أو يرضى على الكذب أو يعيش في دنيا الخداع والنفاق والضلال،.. لقد أدرك أن الحق حق، وسيبقى ويسير هو إلى جانب الحق، حتى ولو امتلأت الدنيا بالباطل!!.. كان شجاعاً، وكان غيوراً، وكان الشاهد على عصره، لعصر يجري سريعاً ويستعد للطوفان المدمر المقبل الرهيب!!.

ولعله من الواجب أن نلاحظ هنا، أن ماأشرنا إليه عند تحليل شخصية أخنوخ، لايعني بذلك أنه كان من طينة غير طينتنا، أو من طبيعة غير الطبيعة البشرية . . . لقد ولد أخنوخ في عالمنا وجبل كما جبلنا، . . وهو يمكن أن يقول ماقاله آخر فيما بعد: «هاأنا الآثم صورت بالخطية حبلت بي أمي» . . . لقد ولد أخنوخ بالخطية، وفي الخطية، ولكنه كأي مؤمن آخر، عرف الحياة الجديدة، والولادة الثانية . . ومن العجب أن هذه الولادة . . جاءت نتيجة ولادة ابنه، إذ يقول الكتاب: «وسار أخنوخ مع الله بعدما ولد متوشالح» . . لقد تطلع إلى وجه ابنه، ومن خلال هذا الوجه عرف الأب السماوي، لست أعلم مدى حبه لهذا الولد، ولكن هذا الولد كان بمثابة الفجر الجديد في حياته الروحية، أو في لغة أخرى: لقد أدرك أخنوخ أبوة الله عندما أصبح هو أباً، ومن خلال حنانه على ابنه أدرك حنان الله عليه.

ماأكثر الوسائل والطرق التي يستخدمها الله حتى تفتح عيوننا على ذلك الطارق العظيم الذي يقف على الباب ويقرع، فإن سمع أحد وفتح الباب، يدخل إليه ويتعشى معه، وهو معه، . . ومن الناس من يجذبه الله بالعطية، فتأتي قرعته الحبيبة في صورة إنسان دافق، وخير عظيم. قد يعطينا ولداً يؤنس حياتنا، أو معونة تسد حاجتنا، أو رحمة تقابل تمردنا وعصبيتنا . . قد يأتي إلينا كما جاء إلى يعقوب الهارب في دجى الليل، بعد أن خدع أباه وأخاه، وكان من الممكن أن يقسو الله عليه أو يعاقبه، ولكنه على العكس رأى سلم السماء والله فوقها يقول له: «أنا الرب إله إبراهيم أبيك وإله إسحاق، الأرض التي أنت مضطجع عليها أعطيها لك ولنسلك ويكون نسلك كتراب الأرض، وتمتد غرباً وشرقاً وشمالاً وجنوباً ويتبارك فيك وفي نسلك جميع قبائل الأرض، وهاأنا معك وأحطك حيثما تذهب وأردُّكَ إلى هذه الأرض ولاأترك حتى أفعل ماكلمتك به» . . وقد كان الله أميناً ودقيقاً وصادقاً في وعده إلى الدرجة التي جعلت يعقوب في عودته يصرخ أمامه قائلاً: «صغير أنا عن جميع ألطافك وجميع الأمانة التي صنعت إلى عبدك، فإني بعصاي عبرت هذا الأردن والآن قد صرت جيشين» . . . وقد يأتي الله بصور متعددة أخرى، قد يكون ظاهرها الغضب، وباطنها الرحمة، أو شكلها التأديب وقلبها المحبة، . . ولكنها على أي حال، هي نداءات الله إلى النفس البشرية حتى تعود من الكورة البعيدة إلى بيت الأب حيث الفرح والبهجة والحرية والجمال والعزم. وقد جاء هذا النداء بقدوم متوشالح ومعه عندما كان أخنوخ في الخامسة والستين من عمره.

أخنوخ المؤمن

فتح أخنوخ بالتجديد الصفحة العظيمة في العلاقة بالله، وهي ماأطلق عليها سفر التكوين: «وسار أخنوخ مع الله بعدما ولد متوشالح ثلاثمائة سنة وولد بنين وبنات».. أو مادعاه كاتب الرسالة إلى العبرانيين حياة الإيمان، «بالإيمان نقل أخنوخ لكي لايرى الموت ولم يوجد، لأن الله نقله إذ قبل نقله شهد له بأنه قد أرضى الله، ولكن بدون إيمان لايمكن إرضاؤه».. أي إن السير مع الله، كان حياة الإيمان المرضية لله، والمبهجة لقلبه،.. ولم يكن هذا السير جدولاً رقراقاً بل نهراً متدفقاً، ولم يكن فتيلة مدخنة، بل ناراً متوهجة،.. أو، في لغة أخرى، كان إيماناً قوياً كاسحاً غلاباً لايتذبذب، وهو بهذا يعد من أبطال الإيمان، وإذا شئنا أن نحلل إيمانه أو نصفه، يمكن أن نراه أولاً وقبل كل شيء، المؤمن الذي آمن عقلياً بالله، وكل خلية في ذهنه كتب عليها الله،.. لقد ابتدأ بما انتهى إليه الفيلسوف ديكارت..

... لقد أراد ديكارت أن يصل إلى الله، فبدأ من النقطة التي عزل فيها فكره عن كل مسبقات،.. وافترض أنه لايوجد شيء يؤمن به، فهو لايرى الطبيعة، وقد يكون الإيمان بها ختال النظر، وخداع الحس، وهو لايؤمن بالله، فقد يكون الله موجوداً أو غير موجود، وظل ديكارت يشك في كل شيء إلى أن بلغ النقطة أنه لايشك في أنه يوجد إنسان يشك، ومن سلم الشك آمن أنه موجود، إذاً فلا بد أن له عقلاً، وأن هذا العقل يستطيع أن يفكر، وأخذ من سلم الشك طريقه إلى الإيمان، حتى توج هذا الإيمان بوجود الله، علة كل معلول، لاأعلم إن كان أخنوخ فكر في شيء من هذا، لكنني أعلم أنه آمن بوجود الله وأدرك أن الله هو الحقيقة العظمى في الوجود، بل إن الله هو حقيقة كل حقيقة وصلت إلى ذهن الناس، وبلغت إدراكهم، فالله هو علة كل معلول، ومسبب كل سبب.. على أن إيمان أخنوخ لم يكن مجرد إيمان عقلي، بل كان أكثر من ذلك هو الإيمان الوجداني الذي تملك عاطفته، وسيطر على مشاعره وإحساساته،.. إن عواطفه كانت كلها إلى جانب الله، هل رأى الله في الطبيعة الساحرة؟ هل رأى الله في الزنبقة الجميلة!!؟ هل رأى الله في خلق العصفور المغرد!!؟ هل رأى الله في الصخرة المذهلة!!؟ هل رأى الله في السموات البعيدة!!؟ هل رآه في الشمس والقمر والنجوم؟ لقد رآه كاتب المزمور الثامن والتاسع عشر، ورآه وردثورت في الجبال العظيمة، ورآه يوناثان إدواردس في مظهر الطبيعة الخلاب، ورأته أعداد من الناس لاتنتهي، ممن يتحسسون الجمال، فلم يؤمنوا بجمال الطبيعة فحسب، بل قالوا مع الشاعر العظيم

ملتون: بناء هذا الكون بناؤك وهو عجيب الجمال فكم أنت في ذاتك عجيب!!.. ورأى أخنوخ الله أكثر في أعماق نفسه، فهو لايرى الله حوله بل أكثر من ذلك يرى الله داخله، أو كما وصفه أحدهم بالقول: إنه لم يره في الجمال الخارجي فحسب، بل رآه في الجمال الداخلي، في ذلك الشيء الحلو الدافق الذي يغمر قلبه، وفي المسكرة اللذيذة التي تدغدغ حياته،.. إنه ذلك المحب الذي يسرح بعيداً بطرفه لا لأنه يرى شيئاً أمامه، بل لأنه يناجي وجدانه الداخلي، وهو مرات كثيرة يمتلئ بالبشاشة والسرور، لأن منظر المحبوب ومض أمام عينيه بصورة تبعث على النشوة، وتملأ الجوانح بسعادة لاتوصف،.. وهكذا كان أخنوخ يسير مع الله وكأنما يشرب كأساً مترعة مردية من الراح!! على أن أخنوخ في سيره مع الله كان أكثر من ذلك المؤمن اختباراً وعملاً،.. كانت له جنته الحقيقية في قصة الحياة اليومية العملية مع الله، ونحن لانعلم هل كان الله يظهر له بين الحين والآخر كما كان يظهر لأبينا إبراهيم؟ لكنا نعلم بكل تحقيق أن صلته لم تكن منقطعة بالسماء، وكل مايفعله الإيمان في حياتنا اليومية، كان من المؤكد يفعله في حياة ذلك الرجل القديم،.. وهل هناك من شك في أن أشواقه كانت سماوية، ففي الوقت الذي كان فيه معاصروه يضجون بما تضج به الحياة الأرضية من أكل وشرب ولهو ولعب وتجارة وعمل وقتال، كان هو يسير بقدميه على الأرض، وأشواقه وأنظاره متطلعة إلى السماء... كان متخفف الثقل من الجاذبية الأرضية، إنه لم يكن يعيش ليأكل «بل يأكل ليعيش.. وكان الناس يحيون في العالم ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً، وأفكارهم واهتماماتهم في الأرضيات، أما هو فعاش ثلاثمائة وخمسة وستين عاماً، وأفكاره بعد الحياة المجددة لمدة ثلاثمائة عام أفكار سماوية، عاش الناس يزرعون حدائقهم، ويروون أشجارهم، ويأكلون ثمارها، أما هو فكان يعيش بطعام أبقى وأسمى، وهو يأكل من حديقة الله غير المنظورة في الشركة مع سيده، كان طعامه من المن المخفي في العلاقة بسيده،.. ولم تكن مجرد الأشواق هي التي تفصل بين أخنوخ ومعاصريه،.. بل الصلاة أيضاً، لقد عرف الصلاة بكل أنماطها وألوانها في العلاقة مع الله، كان من أوائل الذين تخاطبوا مع الله، وأكثروا الصلاة،.. فحياة الشكر كانت على لسانه في كل وقت،.. هل رأى عصفوراً يغرد على شجرة؟. إنه يشكر الله الذي صنع الشجرة، وصنع العصفور، وصنع الصوت الجميل الذي يغرد به العصفور!!؟ هل تمتع بالحياة بمتعة ما، إنه يشكر الله الذي هو مصدر كل متعة يحس بها بين الناس.. وهل احتاج إلى شيء، وانتظر أمراً؟ إنه قبل

أن يتحدث به مع الناس، أو يتخاطب به مع البشر يخاطب به الله الذي يستودعه كل انتظاراته واحتياجاته!!؟. هل جاءت الغيمة، وغطت الشمس، وحل الظلام؟.. إنه يؤمن بأن الشمس خلف الغيمة، وأنه مهما تتلبد الغيوم، فإنها لا بُدَّ أن تنقشع، ويعود النور مرة أخرى، وتتوارى التجارب والآلام والمتاعب!!.. إنه على أي حال يصلي بصلوات وابتهالات وتضرعات.. لأن الصلاة عنده هي النداء الذي يتجه به إلى الله في السماء!!.. لم تكن الحياة عند أخنوخ مجرد التطلع إلى الغيبيات، بل كانت أكثر من ذلك، الحياة التي تواجه الواقع في مختلف ألوانه وظروفه، هل ناله الأذى من الناس؟ هل أمعنوا في إيذائه؟ هل تحولت الحياة ضيقاً مابعده من ضيق؟.. لقد عرف الرجل طريقه إلى النصر، في النظر إلى معنى الضيق في الأرض، لقد أدرك نفسه غريباً في الأرض، يطوي الزمن كما يطوي الجواب الصحراء القاسية، ولابد من الوطن، والضيق يهون، مادام السبيل إلى الله يتدانى ويقترب، وخفة ضيقته الوقتية ستنشئ أكثر فأكثر ثقل مجد أبدياً!!.

وفي كل الأحوال واجه أخنوخ الحياة، وكافح الصعاب والمشقات والمتاعب، ولعله أدرك الحكمة التي غابت عن الصبي الصغير الذي وقف يرفع حجراً ثقيلاً ـ كما تقول القصة ـ وكان أبوه يرقب محاولته اليائسة دون جدوى،.. وقال الأب ـ وقد أدرك جهد ابنه البالغ. هل جربت يابني كامل قوتك في رفع الحجر!!؟. وأجابه الصغير: نعم ياأبي، وليس عندي قوة أكثر من ذلك.. وقال الأب: لاأظن يابني فمثلاً أنا قوتك، ولم تَدْعُني لمساعدتك على رفع الحجر!!.. كان أخنوخ يعلم أن الله قوته التي يستعين بها في مواجهة كل صعوبة أو مشكلة أو معضلة أو تعب.

كان أخنوخ السابع من آدم نبياً، وكان من الأنبياء الشجعان الأقوياء وعندما رأى الفساد يتزايد في الأرض ويستشري، زمجر كالأسد في مواجهة الخطاة، وكشف لهم عن دينونة الله الرهيبة العادلة، وغضب الله الذي سيلحق بفجور الناس وإثمهم، وربما كان أخنوخ أول من تحدث عن عقاب الله الأبدي الرهيب!!..

أخنوخ الخالد

كان أخنوخ الأول في الجنس البشري الذي قفز فوق سور الموت، ودخل الحياة الأبدية دون أن يتذوق كأسه القاسية المريرة، وكان أول البشر في الإعلان عن الخلود في الصفحات الأولى من كتاب الله، بل كان أولهم الذي يمكنه أن يقول: «وإن كان إنساننا الخارج يفنى فالداخل يتجدد يوماً فيوماً، لم يكن هناك موت بالنسبة لأخنوخ، بل هناك انتقال وتطور، كان هناك مجرد انتقال من رحلة الأرض إلى رحلة السماء، . . هل انتقل في مركبة من نار كما انتقل إيليا؟ أم انتقل إذ أخذته سحابة كما أخذت المسيح عن أعين التلاميذ؟ . . وهل جاء الانتقال أمام الناس كما يعتقد الكثيرون، حتى يبدو الأمر شهادة على سيطرة الله على الموت؟ أم أختفى فجأة على وجه لم يستطع أحد معرفة مكانه، وعبثاً وجدوا مكانه، كما فعل أبناء الأنبياء عندما حاولوا التفتيش على إيليا؟ على أي حال. . لقد أمتلأ أخنوخ بالحياة مع الله، وتشبع بهذه الحياة، حتى لم يجد الموت مكاناً له عنده، . . إنه يذكرنا بأسطورة الرجل الذي قيل إن الموت جاءه فجأة ذات يوم، وطلب الرجل إمهاله بعض الوقت، وقيل إن الموت أمهله قائلاً: سأعود إليك بعد سنة وشهر ويوم وساعة، وفزع الرجل محاولاً أن يجد السبيل إلى الخلاص من الموت، فذهب إلى الشمس وسألها: هل يمكن الهروب من الموت؟ . . وأجابته الشمس: إنها تشرق على الناس وصرخاتهم كل يوم وهم يدفنون من لهم، ولم يحدث في يوم من الأيام أن غاب الموت عن الناس في الأرض، . . ذهب إلى الرياح يسألها: هل يمكن الهروب من الموت؟ وأجابته الرياح: إنها تلف الكرة الأرضية، وتلف بالصارخين الذين يصرخون وراء موتاهم في الأرض، ذهب إلى البحر يسأل: هل يمكن الهروب من الموت؟ وقال له البحر: ماأكثر الذين ضمتهم الأمواج والمياه من الغرقى أو الذين ماتوا على ظهر السفن، وطوح بهم تأكلهم الأسماك!!. . وحار الرجل، وفي حيرته التقى بملاك فوجه إليه السؤال: هل يمكن الهروب من الموت؟ . . وقال الملاك: إنك تستطيع إذا سرت في موكب الأرض، والتقيت بالطفل الصغير الباكي، وعليك ألا تتركه حتى يضحك، والبائس حتى ترتسم السعادة على شفتيه والمنكوب حتى يرتفع فوق مأساته ونكبته ويترنم، . . وصدق الرجل، ووقف أمام آلام الناس وأحزانهم ومآسيهم وتعاساتهم، وهو يحول الدموع إلى الضحك والابتهاج والترنم، . . وقيل إن كل ابتسامة أوجدها على فم صغير أو كبير، انتقلت إليه وحولته هو إلى ابتسامة كبرى، دهش الموت عندما جاء لأنه وجد الرجل طيفاً مبتسماً في الأرض، . . هذه خرافة ولاشك، ولكنها

تحمل المعنى العميق بالنسبة لأخنوخ، لقد ظل أخنوخ يتخفف من ثقل الأرض، ويرتفع في اتجاه السماء، حتى أفلت الجاذبية الأرضية، وأخذته السماء بكل مافيها من جلال وعظمة وبهجة ومجد. . . ولم يوجد لأن الله أخذه[1]!.

قد تسألني: ولكن كيف يمكن أن يكون هذا، وكيف يتحول الجسد المادي الحيواني إلى جسد روحاني؟!!

لست أعلم، وليس في قدرتي أن أصف كيف يتجمع التراب والرماد ليعود جسداً ممجداً في القيامة من الأموات، . . كل ذلك فوق علم الإنسان وفهمه وتصوره وخياله، . . لكنني أعلم أن هناك فارقاً كبيراً بين الجسد الذي عاش به أخنوخ على الأرض، والجسد الممجد في السماء. . هذا الفارق هو ذات الفارق بين البذرة، والشجرة، وبين صغر الأولى وضآلة منظرها وحجمها، وكبر الثانية وعظمة صورتها وجلالها. . . ومهما يعجز الخيال البشري عن توضيح الفرق بين الحياة هنا، والحياة هناك، إلا أن أخنوخ كان بانتقاله إلى حضرة الله عبر الخلود وتوضيحاً للكلمات العظيمة التي ستأتي بعد آلاف السنين على فم السيد المبارك: «من آمن بي ولو مات فسيحيا، ومن كان حياً وآمن بي فلن يموت إلى الأبد». . . أو ماقاله الرسول عن المسيح: «الذي أبطل الموت وأنار الحياة والخلود بواسطة الإنجيل».

أجل. . سار أخنوخ مع الله، وعندما بلغ النهر ووقف على الشاطئ حمله الله عبر المجرى إلى الشاطئ الآخر الأبدي، ليسير الأبدية كلها في صحبة الله وملكوته ومجده، مع جموع المفديين، وحق له كالبشري الأول أن يوصف بالقول: «بالإيمان نقل أخنوخ لكي لايرى الموت ولم يوجد لأن الله نقله إذ قبل نقله شهد له أنه قد أرضى الله ولكن بدون إيمان لايمكن إرضاؤه، لأنه يجب أن الذي يأتي إلى الله يؤمن أنه موجود وأنه يجازي الذين يطلبونه. . !!

الموسوعة العربية الميسرة: بإشراف: محمد شفيق غربال

الصادرة عن دار الشعب ومؤسسة فرانكلين طبعة 1965 صفحة 99

إدريس: أحد الأنبياء، ذكر في القرآن مرتين مريم (56) (الأنبياء 85) عُدَّ أول من خط بالقلم وأول من عرف التنجيم والطب. شيخ الصناع وأهل الحرف، احيط اسمه بأقاصيص.

---

(1) انتقلت هذه الفكرة لبعض مذاهب غلاة الشيعة.

معجم المنجد.قسم الأعلام بإشراف فردينان توتل

الطبعة اليسوعية بيروت :

إدريس : شخص ذكر مرتين في القرآن . لقب بالباز وبالنبي ، وذكر مع الصابرين ، ومن المحتمل أن اسم إدريس يكون مصاغاً من إندراوس ، وقال فيه العرب إنه كان نقياً وملهماً بالعلوم والفنون وإنه عاش 365 عاماً على الأرض ثم رفعه الله إليه . وقال بعضهم إن إدريس وإلياس والخضر هي ثلاثة أسماء لمسمى واحد .

.في الموسوعة العربية التي وضعها إلبرت الريحاني وغيره

عام 1955 في بيروت مادة هرمس:

هرمس في الميثولوجيا الإغريقية : ابن زيوس ومايا ، رسول الآلهة ورب اللصوص والمسافرين والتجار . يظهر متنقلاً بصندل مجنح ، ويحمل عصا ملفوفة عليها حيات . يقابل الإله عطارد عند الرومان .

وجاء في دائرة المعارف الأمريكية (أمريكانا) .

أنوخ (أو أخنوخ)

اسم لشخصيتين في العهد القديم . أحدهما ذكر في سفر التكوين مع الشخصيات البطريركية التي عمرت طويلاً ، والتي تعود إلى آدم ونوح ، وقد وصف بأنه ابن (يارد) و (ميتوشالح) (التكوين 5 : 18 ـ 27) ، وقد عاش 365 سنة . أما سفر التكوين (التكوين 5 : 24) فيذكر أن أنوخ قد ظهر مع الله ، ولكنه لم يكن هو ، لأن الله قد أخذه . وقد أثار هذا القول فضول الكتّاب فيما بعد .

أما كتاب سيراخ (أكليركي) ، في الأبوكريفا (14 سفراً تلحق بالعهد القديم أحياناً) ، فيقول إن أنوخ «قد أرضى الله ، ورفع إلى السماء» (44 : 16) . وفي العهد الجديد فتقول (أبيستال) لليهود «إن (أنوخ) بإيمانه ، قد رفع إلى السماء حتى لايرى الموت» ، (5 : 11) . وقد جعلت التقاليد الشعبية (أنوخ) يتنبأ بواسطة العديد من الرؤى . وقد سجلت هذه الرؤى «في كتاب أنوخ» .

أما (أنوخ) الثاني فقد ذكر في (التكوين 4 : 17) بأنه الابن الأكبر (لكاين) .

وجاء في دائرة المعارف البريطانية (برتانيكا) مادة هرمس وهارم

إله إغريقي، ابن زيوس ومايا، ويتماثل غالباً مع الإله الروماني عطارد ومع كاسميلسوس أو كاديلوس، واحد من الكابيري) ومن المحتمل اسمه قد اشتق من (هيرما)، وهي كلمة إغريقية تعني كومة من الحجارة، كالتي كانت تستخدم كحدود لبلد أو علاقة أو مجموعة حصى. ومن الممكن أن أركاديا كانت المركز الأول لانطلاق دينه، حيث اشتهر جبل سيلون بأنه مسقط رأسه. وهناك كان يعبد بشكل خاص كإله الخصب، وكانت صورة فالوسيه (ترمز إلى الاستيلاء). وترافق هرمس في الأدب والدين معاً، مع حماية الماشية والغنم، كما ارتبط بشكل وثيق بآلهة النباتات، وخاصة (بان) (إله الغابات والمراعي والرعاة عند الإغريق) [ونيفس] (الحواري، أو إحدى إلاهات الطبيعة). وعلى أية حال، فإنه يظهر في الأوديسا كرسول الآلهة الذي يصل بين الرأس والحارس (مثوي الأموات). وكان أيضاً إله الأحلام، ولذلك كان الإغريقيون يقدمون إليه الإراقة (الشراب) الأخيرة قبل الخلود للنوم. وكرسول، أصبح أيضاً إله الطرقات والمداخل، فكان يحمي المسافرين، أما مايعثر عليه من كنوز فكان هدية منه، كما كان يعزى إليه كل حظ حسن. وهذا المفهوم ودوره الإلهي في الكسب، والشرف أو الرذيلة، تُستمد بشكل طبيعي من شخصيته كإله الخصب. وفي مجالات كثيرة كان هرمس مثيلاً لـ أبوللو فكان نصير الموسيقى، وقد نُسب إليه اختراع القيثارة، كما كان إله الفصاحة. وأَصبح يترأس بعض أنواع التكهنات (التنبؤات) الشعبية.

كان الرقم المقدس لهرمس هو (أربع)، واليوم الرابع من الشهر هو يوم ميلاده. أما في الفن القديم، منفصلاً عن شكله المحدد كإله، فقد صور رجلاً كامل النمو، ذا لحية، وبرداء طويل وقلنسوة وحذاءين مجنحين. وفي بعض الأحيان كان يُمثّل بشخصيته الرعوية حاملاً خروفاً على كتفيه، وأحياناً أخرى يظهر كرسول الآلهة (كيري كيون)، أو كنذير أو بشير وهذه كانت الصفة الأكثر تكراراً فيه. ومنذ نهاية القرن الخامس بعد الميلاد، أصبح يُصوّر شاباً عارياً بدون لحية، شاب رياضي.

(هارم)

وهو في الدين الإغريقي، شيء حجري مقدس يتعلق بدين هرمس، إله الخصب، ومن

الممكن أن اسم هرمس، بالنسبة لبعض العلماء، قد اشتق من كلمة (هرما) أو تعني بالإغريقية «حجر أو صخر»، توضع كعلامة للحدود، أو «قطعة حصى». ومع تطور الذوق الفني ومفهوم الآلهة التي أخذت شكلاً بشرياً، فقد أخذت هذه الأشياء تميل إلى استبدالها بتماثيل أو أعمدة رباعية الشكل تستدق تدريجياً عند القاعدة لتوحي بشكل بشري. وعادة كانت تُتوج هذه التماثيل أو الأعمدة برأس هرمس (ومن هنا كان اسمه)، ولها رمز للعضو الذكري. ولم تكن تستعمل في الأغراض الدينية فقط، وإنما لأغراض أخرى مختلفة، فمثلاً كحدود، (تخوم) أو معالم (تمثل مرحلة من المراحل التاريخية أو الإنسانية). وكانت هذه التماثيل موضع احترام إن لم تكن تعبد فعلياً. كما ظهر هرمس في النحت الروماني، وربما كان له رأس إله الغابات (سلفانوس)، أو رئيس الآلهة (جوبيترترمينوس). أما في الأزمنة اللاحقة فقد استخدمت (رموز هرمس) الخيالية (العجيبة) كطريقة للتزيين. وقد وجدت رموز هرمس فردية وثنائية، ولم تكن رؤوسها دائماً تمثل الآلهة.

(هرمس في معجم الميثولوجيا العالمية)

ويدعى بالرومانية (مركوري)، وهو ابن (زيوس ومايا)، ووالد (أوتوليكوس)، الذي أنجبه من (كيون). إنه رسول الآلهة، وقد قام بأعمال أكثر تعقيداً أو تنوعاً من أعمال أعظم الآلهة. فكان مسؤولاً عن التناسل عند الحيوان وكان إله الثروة، وإله التجارة والمسافرين، والمراسلات، والحرف اليدوية، والخطابة والفصاحة، وإله اللصوص، والرياح، التي كان قادراً على التحرك بسرعتها، كما كان نصير الرياضيين. بعد بضع ساعات من ولادته، سرق قطيع (أبوللو)، واخترع القيثارة وأعطاها إلى أبوللو، الذي أعطاه بدوره الصولجان، وهو عصا ذهبية في أعلاها جناحان، وتلتف عليها حَيَّتان، وهو شعار مهنة الطبابة اليوم، وأصبح ابنه (أوتوليكوس) بطل اللصوص في العالم. ويعني اسم هرمس (المسرع) وترمز صوره إلى أنه رسول، أو إلى السرعة والبطولة في الطيران. ويروي ميلتون وكوانس وشيللي في أحد قصصهم عن الأعمال التي قام بها في اليوم الأول من حياته: (1) سرقة قطيع أبوللو، (2) اختراع القيثارة، (3) صنع الأحذية المجنحة التي كانت تسمى تالاريا، (4) إضرام النار بحك العصيّ بعضها مع بعض (5) تحضير أول طعام من اللحم من قطيع أبوللو الذي سرقه وذبحه، وتقديم ذلك الطعام إلى الآلهة، وكانت جميع هذه الأعمال في اليوم الأول من

حياته. وقد قدم له زومن رداء مجنحاً سمي بيتاسوس. وتضمنت مهامه كرسول أعمالاً كثيرة: (1) إيصال أرواح الموتى بمقرهم الأخير، (2) أخذ الإلاهات الثلاث إلى محاكمة باريز، (3) مرافقة زيوس في زيارته إلى بانكي وفيلمون، (4) قتل أرجوس ذي المائة عين، (5) تحرير آرس من سجنه (قيده) الطويل، (6) تبرئة (تطهير) دانيد، (7) تقييد آكسوف إلى العجلة، (8) تحذير إينوس بالإسراع إلى إيطاليا، (9) أمر كالبسو بإبعاد (بنفي) أوديسون في رمث، (10) بيع هرقل إلى أومفال ـ وهذه بعض الأعمال التي قام بها. وقد رويت قصة هذا الأوليمبي الكبير مع الصولجان والقبعة والحذاء من قبل كثيرين، من بينهم أبوللو دوروس وهومر وأبوللونيوس في التراتيل الهرمزية نرجيل بانسانياس وأوفيد.

(هرمس في كتاب الآلهة والأبطال والرجال في اليونان القديمة)

لم يكن على أبوللو أن يتعلم من التنبؤ فقط، فقد أحب الموسيقى والغناء، ولكن لم تكن لديه آلة موسيقى يعزف عليها. وقبل معرفة كيف حصل على إحداها، عليك أن تستمع إلى قصة هرمس.

لاأستطيع أن أروي كل شيء بالترتيب كما حدث، وإلا فإن القصص ستكون مجموعة مختلطة. ولهذا علي أن أخبركم كيف انضم هرمس إلى الآلهة. كان هرمس بن زيوس ومايا وعاش في جبل سيلون في أركاديا، حيث ولد هناك طفلاً عجيباً. فقد ولد في الصباح، وعند الظهيرة عزف على القيثارة وفي المساء سرق قطيع أبوللو. وأصبح أمير المحتالين، وأذكى مخلوق في العالم، وصديقاً للماشية، ويجيء بالأحلام، ويمنح الحظ السعيد، فاستطاع أن يخدع الآلهة والرجال على السواء. وغنى قصة السلحفاة، وإليكم هذه القصة.

عندما ولد ووضع في المهد، زحف خارجاً يفتش عن قطيع أبوللو. ورأى خارج الكهف سلحفاة كبيرة، تسير ببطء فضحك هرمس وقال: «هذه أول شيء، وهي علامة للحظ السعيد! أتمنى لك يوماً طيباً. إني مسرور برؤيتك أيتها السلحفاة، من أين أتيت بهذا الدرع المرقط ليحميك، بل بهذا الكنز الجميل في هذه التلال؟. سآخذك داخل الكهف، وسوف تنبئيني بأشياء عظيمة، وسأكنّ لك أكبر احترام. ولكن لسوء حظك أنك خرجت هذا الصباح، فليس هناك مكان مثل البيت، وخارجه خطر عليك. عندما تكونين على قيد الحياة

ستبعدين السحرة، ولكن إذا فارقت الحياة فسأعلمك الغناء[1]».

وحالما أنهى كلامه، أدخل السلحفاة إلى الكهف، وقطع رأسها وأرجلها. وفرغها من اللحم، ونزع الجزء الأسفل من درعها، وفتح ثقوباً في الدائرة العلوية من الدرع، ثم ثبت قصباً إلى داخلها، وشد قطعة من رباط جلدي في الجزء الفارغ من الدرع فوق القصب ثم ثبّت قرنين في الجزء العلوي من الدرع، ووصل رأسيهما بجسر، وأخيراً ربط الجسر بسبعة أوتار من أحشاء الغنم، وشد كلاً منها أكثر من الآخر، وثبت نهاياتها في أسفل الدرع. ثم لمس (ضرب) كل وتر بدوره، فأعطى كل منها نغمة مختلفة، فقد كان يختلف كل وتر بثخانته وشده عن الآخر، وأخذ يعزف ألحاناً، وهو يغني قصائد قصيرة كلها مرح وطرب.

إلا أن تفكيره تحول الآن إلى أشياء أخرى، فوضع قيثارته الجديدة في المهد، وركض خارجاً يبحث عن شيء يأكله.

فتسلق هضبة تطل على سهل ترعى فيه ماشية الآلهة. وهبط إليها واختطف خمسين رأساً من أفضل الأبقار، وساقها إلى مكان منعزل، ثم قادها إلى الخلف، ليمحو آثار مشيته، وربط حزمة من غصينات الآس تحت قدميه حتى لايترك أثراً لها.

وفي طريقه، مرّ برجل مُسن، يزرع كرمته، فقال له: «أعتقد أيها العجوز أن هذه الكروم ستحمل لك غلة جيدة، وستصنع منها الكثير من الخمر، وذلك إذا حفظت لسانك هادئاً في رأسك، وتذكر أن تنسى ماقد رأيته». وتابع سيره، إلى أن خيّم الليل، ووصل إلى زريبة، وسواقٍ (قنوات) للشرب تتفرع من نهر (الفيوس). وهناك قدم للقطيع العلف والماء.

ثم جمع كومة من الأغصان ليضرم النار: كان هرمس أول من أشعل ناراً بحك عصوين إحداهما بالأخرى، فأخذ بعض الأخشاب الجافة، وعصا جافة بعد أن دبب طرفها، ثم فتل رأس العصا على الخشب إلى أن خرج منها بعض النشارة، وأخذت تسخن تدريجياً، وأخيراً تحولت إلى لهب. ثم وضع الأغصان في حفرة وأشعلها. ولابد أن هرمس كان سيسبب بعض المتاعب لبروميثوس، لو أنه وجد في العالم من قبل.

ثم ألقى بقرتين على الأرض، وأحنى رأسيهما إلى جنبهما، وقطع رأسيهما،

(1) لعل هذا أساس بعض الاحترام والحب الذي يكنه بعض العامة للسلحفاة.

وسلخهما، ونشر جلديهما على الصخر. ثم نزع أفضل الأجزاء ووخزها بسفّود، وشوى بطنيهما وظهريهما فوق النار. وأخرج اللحم ووضعه على الأحجار الملساء، وقسمه إلى اثني عشر جزءاً وقدمه قرابين للآلهة العظيمة. وعلى الرغم من رغبته الكبيرة في أن يأكل بعضاً منه، إلا أنه اكتفى بالرائحة لكونه إلهاً. وبعد ذلك أحرق الرأسين والحوافر، ولم يترك أثراً لسرقته، ثم ألقى الأغصان التي ربطها بقدميه في النهر. وعاد إلى كهفه بهدوء، حيث انسل إلى مهده، وإلى جانبه قيثارته المحبوبة.

إلا أن أمه رأته، وقالت له: «أيها الخبيث الماكر! ماذا كنت تفعل خارجاً في الليل دون حياء. أظن أن أبوللو سيطردك حالاً من هذا المكان، ويقيدك بالحبال كاللص. هل أتيت لتؤذي الآلهة والرجال!».

فأجابها هرمس: «لماذا ياأمي توبخينني وكأنني طفل صغير؟ لا، إني سأمنحك الحظ والسعادة. لماذا نعيش في هذا الكهف دون أتباع وقرابين؟. إننا آلهة، وبإمكاننا أن نصبح أغنياء كذلك، ونتمتع بحياتنا مثل الآلهة. سأكون نداً لأبوللو، أو أميراً للصوص، وسأقتحم بيته الكبير في بيثو، وسآخذ منصبه وكنوزه الأخرى، وسترين كيف سأفعل ذلك!».

وعندما أشرقت الشمس، ذهب أبوللو إلى مكان قطيعه، فوجد أن خمسين بقرة قد فقدت، فأخذ يبحث عنها. وبعد فترة، مرّ بالرجل العجوز الذي كان يعلف بهيمته، فقال له: «إني أبحث، أيها الشيخ عن خمسين بقرة من قطيعي كانت قد شردت، فهل رأيت أحداً يسوق بقراً؟».

فأجابه: «حسناً ياسيدي، من الصعب أن يخبر المرء عن كل شيء تراه عيناه، لقد مرّ مسافرون كثيرون في هذا الطريق، بعضهم صادق وبعضهم كاذب، ومن الصعب أن أميِّز بينهم، وعلى أية حال، فقد كنت أزرع كرومي طول النهار، وأظن أنني رأيت طفلاً مع بعض الأبقار، ولكني لست متأكداً، وكان معه عصا طويلة، وكان يمشي من جانب إلى آخر ويسوق القطيع إلى الوراء ورؤوسه في اتجاهه».

فتابع أبوللو طريقه إلى أن وصل إلى مكان القطيع، فقال وهو ينظر إلى المرج «إنه هنا، ولكن ماذا يمكن أن تكون تلك الآثار الأخرى، فمن غير الممكن أن تكون آثار قدمي رجل أو امرأة أو ذئب أو دب أو أسد. إنها عجيبة، وكل منها يدعو للدهشة أكثر من الآخر».

وتابع سيره إلى أن وصل إلى جبل سيلون ثم إلى الكهف، فدخله. ولكن هرمز اختبأ في مهده، متكوراً على نفسه داخل اللفائف، وبدا كأنه يغط في النوم، ولكنه كان مستيقظاً وقيثارته تحت إبطه. ونظر أبوللو إلى الأم والطفل، وفتح الصناديق الموجودة إلا أنه لم يجد شيئاً. ولكن أبوللو عرف أن الطفل هو اللص، فقال له: «اعترف أيها الطفل بسرقة البقر، وإلا سأنفيك إلى ظلمات طرطروس، حيث تبقى طفلاً إلى الأبد، وتصبح أمير الأطفال إذا رغبت في ذلك».

فأجابه هرمس: «ماهذه الكلمات الفظة التي تتلفظها؟! هل تبحث عن أبقار؟ إني لم أر شيئاً ولم أسمع عنها من قبل، ولذا فأنا لاأستطيع أن أفيدك عنها بشيء، أو أحصل على مكافأة إذا قدمت جائزة. هل أبدو كسارق أبقار؟. أنا لاأهتم إلا بالحليب والنوم والحمام الدافئ، فلا تدع أحداً يسمع بهذا النزاع، وكم ستكون دهشة الآلهة عند سماعهم بأن طفلاً وليداً قد ساق قطيع أبقار!. لقد ولدت البارحة، ولاتزال قدماي طريتان والأرض خشنة، ولكني سأقسم يميناً برأس والدي بأني لم أسرق أبقارك، إذا أردت، كما أني لاأعرف من فعل ذلك، ومهما تكن تلك الأبقار فأنا لم أر واحدة منها، وإنما سمعت باسمها فقط».

وعندما انتهى من كلامه، أخذ ينظر هنا وهناك، ويحرك حاجبيه، ثم بدأ يصفر بصوت عال، وكأن كلام أبوللو كان قصة تافهة. ولكن أبوللو ضحك بلطف، وقال: «أيها الصغير الخبيث، إنك تتكلم بمنتهى البراءة، وأظن أن لديك خبرة كبيرة في السرقة، وإني أقول لك بجرأة إنك هدمت كثيراً من البيوت ليلة أمس، ولم تترك لأصحابها غصناً يجلسون عليه، وستنزل كارثة بكثير من الرعاة في الأيام القادمة عندما تتوق لأكل اللحم. ولكن تعال الآن، فإذا كنت لاتريد أن تنام نومك الأخير في هذا المهد، يارفيق الليل، فقد أعطيتك لقب أمير اللصوص بين الآلهة الخالدة».

ثم رفعه أبوللو من ذراعيه. ولكن الطفل عطس بصوت عال فألقاه أبوللو على الأرض وقال: «لاتخف أيها الرضيع، يابن مايا وزيوس، وأقسم بذلك البشير أني سأجد قطيعي بكل تأكيد». فقفز هرمس، ورفع غطاءه إلى أذنيه وقال: «إلى أين ستأخذني بهذه السرعة؟ هل أغضبك فقدان أبقارك هكذا؟ إني أتمنى أن تفنى جميع الأبقار في العالم، فأنا لاأعرف من سرقها، ولاأعرف حتى ماهي البقرة، لذلك دعنا نضع القضية بين يدي زيوس، فهو يحكم بيننا».

وهنا وجد هرمس أنه لاجدوى من المقاومة، فبدأ يمشي على الرمال، وتبعه أبوللو، وتسلقا قمة جبل الأولمب، حيث يحمل والدهما زيوس ميزان العدالة. وكان هناك اجتماع للآلهة الأوليمبيين في ذلك اليوم، فوقف كلاهما عند ركبتي زيوس.

فقال زيوس: «من أين أتيت تدفع أمامك هذه الغنيمة الوافرة، ياأبوللو؟ إنه طفل وليد ولكنه يمشي أمامك وكأنه رائد، فلا بد أن هناك أمراً هاماً سأقرره». فقال أبوللو: «إنها مسألة مهمة ياسيدي، رغم أنك تسر باستهزائك مني، وكأني الإله الوحيد الذي يبحث عن السلب والنهب. إنه طفل، ولص وسارق وجدته على هضبة سيلون، وإني لم أشاهد طفلاً وقحاً مثله في حياتي، فقد سرق أبقاري البارحة وساقها بعيداً إلى بيلوس، وترك آثاراً غريبة تدل على أن السير كان باتجاه مكان أبقاري، أي المكان الذي أتت منه، وقد مسح المكان كله، فلم يكن يمشي على قدميه أو يديه، ولكن على بضعة غصينات كما يبدو. وتتبعت أثره على الرمل، وعندما وصلت إلى الأرض الصلبة، وجدت عجوزاً كان قد شاهده. وبعد أن أخفى القطيع في مكان ما، عاد إلى بيته، ورقد في مهده في الكهف المظلم. وعندما وجدته، عرك عينيه وقال: «لم أر شيئاً ولم أسمع عن الأبقار، وليس هناك جدوى من تقديم مكافأة لي لأجدها». ثم قال هرمس مشيراً بإصبعه إلى أبوللو: «إني ولد صادق ياأبي ولاأستطيع أن أكذب. لقد أتى إلى كهفنا عند الشروق باحثاً عن أبقاره. ولم يأت بشهود معه، وأمرني بعنف أن أعترف أو أنه سيرميني في طرطروس، وذلك لأنه قوي، أما أنا فقد ولدت البارحة فقط، وليس من المعقول أن أكون سارق أبقار. صدقني إنني لم آخذ الأبقار إلى البيت، وإنني لم أتخط العتبة، إن الشمس هيليوس تشهد كل شيء، أما هو فلم ير ذلك. وأنا لست مذنباً كما تعلم، وأقسم ببيتك على ذلك! وإني سأعاقبه يوماً ما على اتهامه القاسي، ولكن ساعد الصغير بيننا، الآن!».

وكان يختلس النظر بطرفي عينيه، أثناء حديثه، ليرى وقع الكلام عليهم، ويرفع ثيابه بشدة إلى كتفيه. أما زيوس فضحك بصوت عال من ذلك المحتال الماكر الصغير، وقال: «فليذهب كلاكما، وأنت ياهرمس، أرشده إلى حيث خبأت الأبقار». وبهذه الكلمات أحنى رأسه، وهي إشارة ليطيعه الجميع. فقاد هرمس أبوللو إلى المكان بقرب النهر الفيوس، وأخرج الأبقار. ورأى أبوللو جلد البقرتين على الصخور فقال:

«كيف استطعت أن تسلخ بقرتين وأنت طفل وليد، أيها الخبيث الماكر؟ أظن أن الوقت لن يطول بك لتصبح لديك قوة جبارة يوماً ما»!

وأخذ أغصاناً قوية، وحاول أن يقيد هرمس، ولكن حُلَّ الوثاق، وكان هرمس يخفي القيثارة تحت إبطه، فلمحها أبوللو وهما يتعاركان. فأخذ يلاطف الطفل ويتودد إليه، فأخذ هرمس القيثارة بيده اليسرى، وداعب الأوتار بيده اليمنى فرددت نفحاتها، وسرت الموسيقى إلى روحه فضحك بصوت عال. وكان هرمس يعزف عزفاً جميلاً، وأخذ يغني بصوت عذب: فغنى قصص جميع الآلهة، وكيف تشكوا، كل في دوره، ثم كيف تلقى كل منهم نصيبه، ثم غنى قصائد (تسابيح) عن ميركوري، وهي أم الإلاهات التسع، فقال أبوللو:

«إن أغنيتك تستحق خمسين بقرة، وأعتقد أننا سنسوي نزاعنا بهدوء وسلام، ولكن أخبرني من أعطاك هذا الشيء الرائع، ومن علمك الغناء؟ فأنا لم أسمع أحداً يغني في جبل الأولمب مثل هذا الغناء ولم أشاهد مثل هذا الكنز، إن لنا أغنياتنا وعندنا مزاميرنا، ولكني لم أكن أهتم بها كثيراً. أما هذا فهو خيار بين ثلاثة أشياء مرة واحدة، المرح، أو الحب، أو النوم، فموسيقاك تحويها جميعاً. والآن استرح أيها الصبي العزيز، واستمع لكلام من يكبرك سناً. إني أعدك بشهرة واسعة لك ولأمك، وسأجعلك قائداً معروفاً بين الآلهة، وسأهبك هدايا عظيمة». ففهم هرمس مايرمي إليه أبوللو فقال:

«إنك تطرح المسائل بشكل جيد، إني لاأضّن عليك بتعليمك فني، وأنا مستعد تماماً لأفعل ذلك، وإنك ستتعلمه في هذا اليوم، وأقصد بذلك أن نصبح صديقين. إنك تعرف كل شيء، فأنت أحد أفراد الآلهة، وقد منحك زيوس رسُله، وعلمك قوانينه، ولذلك فمن السهل أن تتعلم ماترغب فيه. وبما أنك عزمت أن تعزف على القيثارة، فاقبلها هدية مني، اعزف، وغنِ واطرب، واصطحبها معك في الأعياد والرقص لتكون متعة في الليل والنهار. فمن يعزف علِيها ببراعة وحكمة يحقق كل مايبهج العقل وذلك إذا ضمها بمودة ولطف، ومن يعزف عليها بعنف فستردد نفحاتها له الحماقة والباطل، ولهذا سأعطيك هذه القيثارة ياابن زيوس النبيل وسأكون راعياً للقطيع، وإنك لن تغضب بعد ذلك، وعلى الرغم من أنك قد غُبنت في هذه (المساومة)».

ودفع هرمس القيثارة، فأخذها أبوللو، وأعطاه سوطه، وجعله راعياً للقطيع. ومنذ

ذلك الحين، أصبح هرمس أرينوس، أو صاحب الصوف، نصير وحامي الرعاة، وأصبح إله وراعي التجار ومن يعقد الصفات.

وعاد الاثنان إلى الأولمب صديقين. ولكن أبوللو قال له: «أخاف أيها الخبيث الماكر أن تسرق مني قيثارتي وقوسي أيضاً، فأقْسِمْ يميناً عظيماً بأنك لن تفعل إلا مايسرني».

فحنى هرمس رأسه، كما فعل زيوس، ووعده بألا يسرق شيئاً يخصه، وألا يدخل مملكته، وأما أبوللو فقد أقسم بأن يحب هرمس دائماً، وأن لايفضل أحداً عليه. ثم قال له:

«سأمنحك عصا الأغنياء، وهو صولجان ذهبي، يحفظك سالماً بقدر ماتقوم بأعمال طيبة. وأنا أعرف أنك تتمنى أن تتعلم فن التنبؤ ولكني لاأستطيع تعليمك إياه، رغم أنك أشرت إلى ذلك. إنني وحدي من يعلم بخطط زيوس الحكيم، وقد أقسمت يميناً أمامه بأن لاأعرفها إلى إله آخر، ولذلك سأحفظها إلى أن يأمرني بالكشف عنها. أما بالنسبة للرجال، فإن أتوا إليّ تتقدمهم الطيور المبشرة بالخير، فإني أخبرهم الحقيقة ولا أخدعهم. أما إذا تقدمت أحد الطيور التي تغرد لغواً وألحوا ليعرفوا أكثر مما تعرف الآلهة رغماً عن إرادتي، عند ذلك تصبح مهمتهم لاطائل منها، وسآخذ مامعهم من هبات. إلا أن هناك ثلاث أخوات جليلات، ذات أجنحة ويطرن كالنحل ليتغذين بالعسل. فعندما ينفخ العسل فيهن الروح، يصبحن قادرات على قول الحقيقة، أما إذا حُرمن منه فإنهن يقلن باطلاً، وتحوم إحداهن حول الأخرى وهي تئز بأجنحتها، وإني سأمنحك هذه الأخوات، فتعلم منهن، وأدخل البهجة إلى قلبك، وإن شئت فعلم الرجال ليفعلوا مثلك».

وتذكر زيوس أن هرمس كان يتقدم أبوللو وكأنه رسول، فجعله رسول ومنادي (نذير) الآلهة، وجعل له مقاماً في الأولمب، وجعله رسوله الخاص. وقد أمر أن يعود بصولجانه السحري أرواح الرجال إلى مثواها الأخير. فبلمسة منه يجعل العيون النائمة تصحو، والعيون المستيقظة تغط في النوم، وترأس جميع الألعاب ومباريات الرجال، واحتل مقاماً بلقب «هرمس في الحلبة» في مدرسة المصارعة والجمباز، وأصبح يمنح الحظ والثروة، فحيثما يجد المرء شيئاً يحبه، عليه أن يشكر هرمس وأن يدع ماعثر عليه هبة هرمس أو هرميون. كما أصبح سيد طيور الإنسان، وسيد بهائم الغابة وبهائم الحقل. ولم يعزف على القيثارة وإنما يصفر ألحانه في المصفار، الذي ينسب البعض اختراعها إليه.

ورُحِّب بأبوللو مع الخالدين، وأصبح يعزف على القيثارة ألحاناً عذبة، وتغني أثناء عزفه جميع الأنعام، بينما ترقص الإهات الحسن والفصول مع الإيقاع والشبان، وتمسك أفروديت (إلهة الحب والجمال عند الإغريق) بيد كل منها. وتشترك أيضاً أخته أرتميس في الرقص، بينما تنظر الآلهة الأخرى وتستمع.

هيرمس في معجم

الأعلام والميثولوجيا اليونانية والرومانية

هو أحد أبناء الإله (زيوس) و (مايا) ابنة الإله أطلس. وقد ولد هرمس في كهف في جبل سيلِّين في أركاديا. ومن ثم سُمي أطلانتيدس أو سيلينيوس، ولكن المؤرخ فيلوستراتوس يقول إن مكان ميلاده كان في جبال الأولمب ويقول إنه في الساعات الأولى لمولد هرمس هرب هذا من مهده ثم ذهب إلى بيريا وسرق بعض ثيران أبوللو. ولاتذكر الإلياذة ولا الأوديسية هذا الحادث، مع أنها تصف هيرمس بأنه لص حاذق. وهنالك مصادر أخرى تشير إلى حادثة السرقة هذه، ولكن تحدد السرقة في مرحلة متقدمة من مراحل حياة هذا الإله. ولكيلا يكتشفه أحد، أخذ يخفي آثار قدميه وكان يلبس صندلاً (حذاءاً خفيفاً)، ثم ساق الثيران إلى بيلوس حيث ذبح ثورين وأخفى الثيران الباقية في كهف. ونشر جلود الثورين المذبوحين على صخرة وطبخ جزءاً من لحومهما وأكله وأحرق باقي اللحوم. وفي نفس الوقت قدم الأضحيات (الذبائح)، للآلهة الاثني عشر، ولذلك أصبح يدعى مبتدع العبارة الإلهية والأضاحي (الذبائح) وبعدها رجع إلى سيلِّين حيث وجد سلحفاة على مدخل كهفه الذي يعيش فيه. فأخذ صَدَفَةَ السلحفاة ورسم عليها رسوماً، وهكذا اخترع القيثارة وريشة العازف، ويقال إن عدد أوتار القيثارة التي اخترعها ثلاثة، وبعضهم يقول إنها سبعة، وكانت الأوتار مصنوعة من أمعاء الثيران أو الغنم. وقد اكتشف أبوللو (بما لديه من قوة التنبؤ) تلك السرقة، وذهب إلى سيلين ليقاضيه أمام أمه (مايا). أظهرت (مايا) الطفل وهو في مهده وهو في منتهى البراءة. ولكَن (أبوللو) أخذ الولد إلى (زيوس) وطلب إرجاع ثيرانه. سأل زيوس هيرمس على جلية الخبر فأنكر هرمس السرقة ولكنه عندما أدرك أن لاأحد يصدقه، أخذ أبوللو إلى كهف بيلوس وأرجع له ثيرانه. ولكن عندما سمع أبوللو صوت القيثارة سُحر بها لدرجة أنه سمح لهيرمس

أن يستبقي الثيران ولم يأخذها منه. عندها اخترع هيرمس (المزمار) وهي آلة موسيقية بدائية من آلات النفخ تتألف من سلسلة أنابيب متدرجة الطول. وهكذا تطورت الصداقة الحميمة بين الاثنين بعد أن باح هيرمس لأبوللو بجميع أسرار اختراعاته. وقد أهدى أبوللو صديقه الصغير عصا الرعي الذهبية الخاصة به وعلمه فن التنبؤ بالغيب بواسطة رمي مكعبات الزهر (النرد). ثم جعله زيوس رسوله وسفيره ورسول آلهة العالم السفلي، ولكن طبقاً لترنيمة هوميروس، نرى أن أبوللو رفض أن يعلم هيرمس فن التنبؤ بالغيب، وحوله إلى الأخوات الثلاث اللواتي يسكنّ في بارناسوس، ولكنه وهبه المقدرة على حماية القطعان والمراعي.

إن الظاهرة الرئيسية في التقاليد عن هيرمس تدور حول كونه رسول الآلهة، وتظهره قصائد هوميروس في نفس هذه الصفة. وإن شخصيته الأصلية القديمة وهو إله الطبيعة في بالاسجيا وأركاديا بدأت تختفي بالتدريج من الأساطير، وأما كونه رسول الآلهة فامتاز بفصاحة الخطاب ومهارته في الكلام بصورة عامة، لأن الرسل هم لسان الشعب الناطق في المجتمعات والمناسبات الأخرى، وكانوا يرسلونه رسولاً في المهمات الخطيرة، ولهذا كانوا يقدمون له ألسنة الذبائح والقرابين ليأكلها. ولما كان من المفروض أن يكون الرسل رجالاً عاقلين وحكماء، لذلك كان هرمس أيضاً إله الحكمة والمهارة في جميع العلاقات الاجتماعية، وهذه الصفات كانت تشترك مع صفات أخرى، كالدهاء في الكلام والعمل حتى في الغش واليمين الكاذب، والميل للسرقة، ولكن هيرمس لم يقترف مثل هذه الأعمال إلا بمهارة ولباقة مع شيء من العظمة، وهنالك أمثلة على هذا في ترنيمة هوميروس عن هرمس.

ولما كان هرمس موهوباً وبهذه الصفات من الذكاء والحنكة اعتبر مؤلفاً ومبتدعاً لكثير من الاختراعات، وفضلاً عن اختراع القيثارة والمزمار، فإنه اعتبر أنه اخترع الأحرف الهجائية والأرقام وعلم الفلك والموسيقى وفنون القتال والجمناستيك، وزراعة شجرة الزيتون والمقاييس والأوزان، وأشياء كثيرة أخرى، وقد كان يُنْعِمُ ببعض صفاته وقواه على من يحب من بني البشر، وكل من يمتلك هذه الصفات يصبح تحتَ حمايته ويعتبره ابنه. وقد استخدمه الآلهة وخصوصاً زيوس في مختلف المهمات المذكورة في القصص القديمة. وهكذا فهو الذي قاد (بريام) إلى (أخيل) ليساعده في جلب جثة (هيكتور) (ابن بريام ملك طروادة) وهو الذي شهد (أكسيون) في الدولاب، وهو الذي قاد (هيرا) و (أفروديت) و(أثينا) إلى باريس. وهو الذي شهد (بيروميثوسي) إلى جبل (كوكاسوس)، وهو الذي أنقذ (ديونيسوس) بعد مولده

من ألسنة اللهب، وهو الذي استلمه من يدي زيوس وحمله إلى (أتاماس)، وهو الذي باع هيرايليس إلى (أومغالي)، وهو الذي أمره زيوس ليحمل (لد) الذي كان قد تحول إلى بقرة، وكان يحرسه (أرجوس) ولكن عندما خانه هيراكس ذبح أرجوس. وفي حروب طروادة كان هيرمس إلى جانب اليونان. وإن خدماته لزيوس لم تكن محصورة بوظائف السفير والرسول بل هو سائق عربته وحامل كؤوسه، أي الساقي، وكان هو الذي يوصل الأحلام التي يرسلها زيوس للبشر ومن ثم ساد الاعتقاد أن هرمس هو الإله الذي باستطاعته أن يمتع الإنسان بنوم عميق مريح منعش أو بالعكس، وهناك وظيفة أخرى لهرمس وهو أن يوصل الموتى من العالم العلوي إلى العالم السفلي.

إن فكرة كونه رسول وسفير الآلهة وتنقله من مكان إلى مكان وإجراء المعاهدات تشير إلى أنه كان المشجع للاتصالات الاجتماعية والتجارية بين بني البشر، وأنه كان صديقاً وودوداً للإنسان. وبموجب هذه الصفة فهو الذي يحافظ على السلم، وهو إله الطرق الذي يحمي المسافرين ويعاقب كل من تسول له نفسه إيذاء المسافرين أو عدم مساعدتهم على الطرق. ولهذا كان القواد الحربيون الاثينيون عندما يبدؤون في حملة حربية يقدمون الذبائح والقرابين لهرمس، وكان هناك عدة تماثيل لهرمس موضوعة على الطرق وعلى أبواب البيوت وبوابات المدن، وهذا جعل له ألقاباً متعددة وأوصافاً كثيرة. ولما كان هرمس هو إله التجارة، ولما كانت التجارة هي مصدر من مصادر الثروة، لذلك أصبح إله الربح والثروة، خصوصاً الثروات الفجائية التي طالما تصيب الأثرياء من جراء الصفقات التجارية المربحة. وباعتباره واهباً للثروة والحظ الحسن لذلك اعتبر المسيطر على لعبة النرد (الزهر)، وكل من لعب هذه اللعبة كان يرمي ورقة زيتون على النرد، وكان يسحب هذه الورقة أولاً. ولقد لاحظنا خلال حديثنا عن هرمس أنه كان يعتبر مخترع الذبائح والقرابين، ولذلك لايعتبر ممثلاً لدور الرسول أثناء الاحتفالات والضحايا فحسب، بل هو أيضاً حامي الحيوانات التي يضحى بها، وهو الذي يزيد خصوبة وفحولة الأكباش، ولهذا السبب كان المعبود المحبوب لدى (الرعاة)، ويذكر في قصص (بان) وعرائس البحر، وهذا المظهر من مظاهر شخصية هرمس هو من بقايا الديانة الأركادية القديمة، حيث يعتبر إله الخصوبة على الأرض الذي يرسل نعمه على بني البشر، ولا تخلو أشعار هوميروس من ذكر نتف من هذه الصفات.

وهناك وظيفة أخرى لهرمس وهو كونه حامي جميع الألعاب الجنبازية (ألعاب القوى)

في بلاد اليونان ويظهر أن هذه الفكرة حديثة لأننا لانجد أي أثر لها في أشعار هوميروس، ولكن لما نجد له كثيراً من التماثيل على أبواب مراكز ألعاب القوى لذلك أصبح يعتبر هو حامي الشباب مثل هيزكوليسي وديوسيكيوري وحامي الإغريق الذين يعتبرونه المثل الأعلى ويصورونه كشاب يملك منتهى اللياقة البدنية وجسمه قد أصبح مثالياً بسبب التمارين الرياضية. ويظهر أن أثينا كانت المدينة الأولى التي عبدته باعتباره يمتلك هذه الصفات. ويظهر أن تعدد صفات هذا الإله جعل اليونان يعتقدون بتعدد الآلهة التي تحمل هذا الاسم فشيشرون يذكر خمسة، وسيرفيوس يذكر أربعة، ولكن هذه الأرقام ربما اشتملت على آلهة غريبة كات تشبه هيرمس اليوناني.

إن أقدم مركز من مراكز عبادة هرمس كانت (أركاديا) وهي مسقط رأسه، حيث بني إله لاكاون بن (بيلاجوس) أول معبد. ومن ثم انتقلت عبادته إلى أثينا، وأخيراً انتقلت إلى جميع أنحاء بلاد اليونان، ولما أتى الرومان سموه (عطارد)، وبين الأشياء التي يقدسها ربما نذكر شجرة النخيل والسلحفاة والرقم أربعة وعدة أنواع من السمك، وأما القرابين التي كانت تقدم له فهي البخور والعسل والكعك والخنازير، وبصورة خاصة الخراف الصغيرة والماعز الصغيرة.

والصفات الرئيسية لهرمس التي تميزه هي القبعة المستعملة للسفر ذات الإطار العريض التي زينت في الأزمنة المتأخرة بأجنحة صغيرة، وهذه الأجنحة أحياناً تظهر وكأنها تخرج من ضفائر شعره، إذ إن رأسه لاتغطيه القبعة تماماً. ثم هنالك العصا وهي مذكورة في الأشعار الهوميرية باسم العصا السحرية التي يقفل ويفتح بها أعين البشر. ولكن لايذكر مصدر هذه العصا من أين جاءت ولامصدر الثعابين الملتفة على العصا التي تظهر في الأزمنة المتأخرة، ولكن طبقاً لترانيم هوميروس ولأبوللو دوروس فهو قد استلم هذه العصا من (أبوللو). ويجب علينا أن نميز عَصَوَيْن اتحدتا فأصبحتا فيما بعد عصا واحدة. أولاهما عصا الرسول العادية، الثانية العصا السحرية التي يمتلك أمثالها كثير من الآلهة.

والأشرطة البيضاء التي تحيط بالعصا تحولت فيما بعد على يد الفنانين المتأخرين إلى ثعابين مع أن القدماء كانوا يعتبرون هذه الثعابين ممثلة للحكمة والأعمال البطولية والحياة والصحة وماشابه ذلك. والعصا في الأزمنة المتأخرة زينت بالأجنحة أي بزوج من الأجنحة وهي رمز إلى السرعة التي ينتقل بها الإله من مكان إلى مكان. الصندل أو الحذاء الخفيف،

وهذا الحذاء جميل وذهبي، وكان يحمل الإلـه فوق الأرض والبحر بسرعة الرياح، ولكن هوميروس لايذكر أبداً أن هذا الحذاء له أجنحة. فالفن البلاستيكي كان بحاجة إلى شيء يرمز إلى صفة من صفات هذا الحذاء وهي سرعة الحركة، فاخترعوا الأجنحة التي وضعوها عند الكاحل أي كاحل القدم. وبالإضافة إلى هذه الصفات فقد كان هيرمس يحمل كيس نقود في يديه. هذا وقد وصلت لنا عدة صور لهذا الإله في مختلف أطوار حياته، فضلاً عن وصفه أثناء قيامه بأعماله المختلفة ووظائفه، ولكي نلقي بعض الأضواء على أصل وظائف هيرمس من الضروري أن ندرس الفلسفة الأفلاطونية الجديدة ومراميها وأهدافها، فالمعتقدات الدينية اليونانية هي في الحقيقة مرتبطة بشكل ما بالمصريين من فترة قديمة نسبياً، وهكذا فإن هيرمس اليوناني يماثل ويطابق (ثوت) المصري منذ أيام أفلاطون، ولكن الامتزاج المتبادل للفكرات الدينية للبلدين أصبح أكثر وضوحاً عندما بدأت الديانة المسيحية تزدهر، وعندما قامت الفلسفة الوثنية بشكل الأفلاطونية الحديثة بآخر جهد مستميت للدفاع عن الوثنية ضد الديانة المسيحية. فبذلت المحاولات لإعلاء شأن حكمة المصريين القدماء، ومزج هذه الحكمة مع أفكار وحكم اليونان، وهكذا، بأن تضفي الحكمة اليونانية معاني دينية عميقة سامية، جعلتها تبدو نوعاً من الوحي الإلهي كمقابل مناسب لأفكار الديانة المسيحية، فالإله المصري ثوت أو هيرمس كان المؤلف الحقيقي لكل الأفكار التي اكتشفها العقل البشري، هو أب لجميع أنواع الحكمة والاختراعات والتشريعات والأديان الخ... وهكذا فكل مااكتشفه الإنسان وكتبه ماهو إلامن أفضال هيرمس. ولما كان هو مصدر كل المعرفة والتفكير وتجسيداً لها، أصبح يدعى هيرمس التريسمحبسوس، وقد ذكرت بعض الخرافات أن فيثاغورس وأفلاطون قد أخذا كل معرفتهما من هيرمس المصري الذي كان قد سجل جميع أفكاره واختراعاته على أعمدة، وهنالك عالم إسكندري اسمه كليمنس Clemens يذكر اثنين وأربعين كتاباً من تأليف هيرمس تحتوي على زبدة وخلاصة المعرفة البشرية والحكمة والمعالجة، في علوم الكون والفلك والجغرافيا والدين بكل أشكاله وطقوسه، وبصورة خاصة عن الطب، وليس لدينا أي سبب يدعونا لنشك في صحة وجود مثل هذا الكتاب أو هذه الكتب تحت اسم هيرمس في زمن كليمنس هذا، وفي زمن الأفلاطونيين الحديثين، انتشرت فكرة تآليف هيرمس بشكل كبير، وطبقت على جميع أنواع الآداب، وهي تصف جميع الفنون والعلوم عند المصريين، وكلها تحمل اسم هيرمس، وأضاف أنه في الزمن القديم كان جميع المؤلفين يدعون بأن كتبهم

من عمل هيرمس. وهذه الحقيقة تفسر تلك الملاحظة الغريبة التي ذكرها المؤلف لامبليكوس أن هيرمس قد ألف عشرين ألف كتاب، ولكن (مانثيو) يزيد هذا الرقم 36525 كتاباً، وهذا لامبليسكوس يذكر ملفات هيرمس في عدة مقاطع، ويقول إنها ترجمت من اللغة المصرية إلى اللغة اليونانية. ويذكر (بلوتارك) أيضاً عن مؤلفات تعزى إلى هيرمس، وكذلك (جالين) (وسيريلوس).

وإن وجود مؤلفات باسم هيرمس في القرن الثاني الميلادي أصبح أمراً لايتطرق إليه الشك، ومحتوياتها كانت ذات طبيعة دينية فلسفية، عن طبيعة الكائنات الإلهية. ومع أن هذه المؤلفات وضعت خصيصاً لسحق أفكار الديانة المسيحية إلا أننا نلاحظ أن الديانة المسيحية كان لها تأثير واضح على هذه الأفكار وعلى مؤلفها.

ولكن قضية صحة نسبة هذه الكتب والمؤلفات لهرمس (ثلاثي الرحمة) كما كانوا يدعونه لاتزال موضع بحث واختلافات، ولكن الرأي الأكثر احتمالاً هو أن هذا إنتاج من خيال الأفلاطونيين المحدثين. فبعضها يظهر أنه كتب بروح خالصة صافية، وكان من القصد منها نشر تعاليم الأفلاطونية الحديثة، وجعلها مألوفة لدى الشعب ضد قوة المسيحية النامية المتعاظمة، ولكن البعض الآخر كان يتألف من تخمينات سحرية في علم التنجيم، وهو الموضوع المحبب للأفلاطونية المحدثة، وقد وصلت إلينا عدة مؤلفات من هذا القبيل بعضها باللغة الإغريقية والآخر مترجم إلى اللغة اللاتينية، ولكن كل ماهو موجود الآن من نوعية رخيصة، ومن المحتمل أنها كتبت في أزمنة حديثة من فترات الأفلاطونية الحديثة، وقد تجسدت تلك الأفكار في كثير من الأفكار المسيحية، ويمكن أن نفترض، بشكل بدهي، أنه ليس هنالك أي مؤلف يحمل اسم هيرمس يرجع في عهده إلى فترة أقدم من القرن الثالث أو الرابع، مع أننا لانستطيع أن ننكر أن هناك بعض أفكار تعود إلى فترات أقدم من هذه قدم الأفلاطونية الحديثة نفسها. ولايسعنا إلا أن نقول إن معظم النسخ المطبوعة موجودة أو مدفونة في مكتبات خاصة مختلفة.

1 ـ هنالك كتاب عن هيرمس يدعى الأكتانيتيوس وهو أقدم كتاب بين المؤلفات التي تعزى إلى هيرمس، وقد اقتبس من الأصل اليوناني (الأكتانتيوس)، ولكن لدينا ترجمة لاتينية تعزى إلى أبوليوس، من (مادورا) ويحمل هذا التاب اسم أسكيلبيوس، ويبدو أنه كتب قبل عهد لاكتانيوس بقليل. وكان الهدف من هذا الكتاب دحض التعاليم المسيحية،

ولكن المؤلف يبدو أنه استخدم التعاليم المسيحية لمصلحته ولأغراضه الخاصة. ويبدو أن هذا الكتاب قد كتب في مصر، وربما في الإسكندريّة، وهو بشكل محاورة يتحدث بها هيرمس مع أحد تلاميذه (إسكليبيوس)، وهو مطبوع في بعض نسخ من كتب أبوليوس، وكذلك في نسخ (بيومندر) تأليف فيكنيوس وبارتيكوس، والنسخ الأخيرة فضلاً عن نسخة (البيوماندر)، تأليف (هادر)، وإن نسخة ترينيوس تحتوي عليها.

2 ـ وهناك كتاب أيضاً من المحتمل أن يكون من إنتاج نفس المؤلفين كالعمل السابق فإن إسكليبوس الذي يدعو هيرمس باسم السيد أي سيده يناقش قضايا من نفس الطبيعة مثل الإله والطبيعة والإنسان وماشابه ذلك.

3 ـ كتاب (بيامند) وهذا عمل أكبر من السابق، وهو أهم إنتاج من النوع الذي نمتلكه، فالعنوان (بيامندر) وهو (الراعي) أو (المراعي)، يبدو بأنه اختير تقليداً لمرعى هيرمس الذي يعتبر أحياناً أنه هو مؤلف (بياماندر) أو الراعي. فالعمل جميعه قد قسمه (فيمينوس) إلى أربعة عشر كتاباً، ولكن (باترينكويس) قسمه إلى عشرين كتاباً، كل كتاب بعنوان منفصل، وهو مكتوب بشكل محاورة، ولكن قد لايمكن أن يكون قد ألف قبل القرن الرابع من عصرنا. وهو يبحث في الطبيعة وخلق العالم والإله وطبيعته وصفاته، والروح البشرية والمعرفة وماشابه ذلك. وكل هذه المواضيع قد بحثت في الأفلاطونية الحديثة روحاً ونصاً، ولكن نرى أحياناً أن بعض الأفكار المسيحية والشرقية واليهودية قد مزجت فيها بشكل ملاحظ، يظهر من الحركة التوفيقية بين المعتقدات بشكل غريب، روح العصر الذي ألفت به. فقد نشرت لأول مرة في ترجمة لاتينية كتبها فيسينوس طبع عام 1471. وقد أعيد طبعها في البندقية عام 1481، 1483، 1493، 1947، وأما الأصل اليوناني ومعه ترجمة فيسينوس فقد كتب بقلم هادر تورنيبوس ـ باريس عام 1554 وبعد ذلك نشر ثانية عام 1593 وبعدها نشر عام 1611 وفي كولون عام 1630 مع تعليقات بقلم هانيبال روسليوس.

4 ـ وكتاب آخر وهو عمل ذو أهمية أقل، ويحتوي على تعليمات للتأكد من وجود المرض بمساعدة الرياضيات أي علم التنجيم، فالمؤلف يحاول أن يظهر للقارئ أن طبيعة المرض، فضلاً عن طبيعة العلاج، يجب أن يتأكد منه من وضعية النجوم التي نشأ هذا المرض تحتها ويتأثر منها، وإن مادة هذا العمل تبدو أنها غير معروفة (لفيرنيكوس) (حوالي منتصف

القرن الرابع) وهذا يجعلنا نفترض أنه كتب قبل زمن (فيرنيكوس)، وقد ترجم هذا العمل إلى اللاتينية ونشر بهذه اللغة.

5 ـ وكتاب في التنجيم يبحث في طريقة تغيير طبيعة الأشياء في كل سنة، ويبدو أن النسخة الأولية كتبت باليونانية، مع أن بعضهم يقول إنها كتبت باللغة العربية، ولكن يظهر أنها كتبت في فترة متأخرة عن الكتاب المذكور في رقم 4.

6 ـ كتاب تنجيمي آخر يحتوي هذا الكتاب على مئة فرضية تنجيمية، ويقال إنها كتبت أولاً باللغة العربية، ولكن ليس لدينا الآن إلا ترجمة لاتينية طبعت مراراً وتكراراً في البندقية وبازل وأولم.

7 ـ وثمة كتاب تنجيمي آخر أيضاً، ينتمي هذا الكتاب لنفس طبقة الكتب التنجيمية، وقد كتب باللاتينية، ويظن أنه ألف في القرن الرابع، وهو مقسم إلى أربع أجزاء، مرتب حسب الأحرف الهجائية، فهو يصف علاجات سحرية طبية تتألف من عدة أنواع من الحجارة والنباتات والحيوانات، وتحت كل عنوان يذكر بعض الأدوية النباتية والمعدنية والحيوانية، ويعتقد أن هذا العمل قد أخذ من مصادر فارسية وعربية ومصرية.

وبعض الأعمال التي تحمل اسم هيرمس تبدو بأنها قد ألفت في القرون الوسطى.

8 ـ وكتاب في الفلسفة يبحث في حجر الفلاسفة، وقد قسم هذا العمل إلى سبعة فصول، وهي تعتبر الأختام السبعة لهيرمس ثلاثي الحكمة، وقد نشر هذا الكتاب باللغة اللاتينية بقلم د. جنوسيوس ليبزخ عام 1610 و 1613.

9 ـ ومقالة في السيميا (اسم الكتاب) مقالة عن تعليم صنع الذهب نشرت في نورنبورغ عام 1541 و 1545 وفي (استراسبورغ) عام 1566.

10 ـ وكتاب في الأفلاك عبارة عن كتيب ولكنه يعود إلى فترة أقدم من الأعمال السابقة ويعالج نفس المواضيع.

11 ـ وكتاب في الزلازل ويبحث عن الزلازل، أو بالأحرى التنبؤ بحدوث الزلازل، وهو عبارة عن كتيب، ويحتوي على ستة وستين بيتاً من الشعر سداسي التفاعيل، ويعزى أحياناً لهيرمس. وأحياناً لأورميوس.

أنوخ (هرمس) كما جاء في معجم الكتاب المقدس[1]

أنوخ بن كاين: الذي دعيت المدينة التي بناها في أرض (نود) شرقي (عدن) باسمه، دعيت (أنوختا) حيث نرى أن بليني وبتوملي أشارا إليها باسم (هنوشي)، ويحتمل أن هذا الاسم قد اشتق من أحد الأسماء التالية:

أنوش بن جاريد وأبو ميتوشالح وهو أوسع أسرته ثقافة وكثرة أولاد. وقد قضى أكثر عمره الطاهر يعيش بإيمان، يسير مع الله متبعاً تعاليمه ويخشاه. ومكافأةً من الله على أعماله فقد أطال عمره، إذ عاش ثلاثمائة وخمساً وستين سنة، وأكثر من ذلك رفعة للجنة (بروحه وجسده) دون أن يذوق الموت. وقد كتب بعض الكتب إلا أنه لم يصلنا شيء منها، ولكن وصلنا نتف من موعظته الأخيرة «إن الله سيأتي مع عشرة آلاف من الملائكة ليقتلع ضعاف القلوب والأرواح القاسية والوفيات الكافرة وليعاقبهم على مااقترفوه».

وهذه الحكمة كانت تأتيه بالوحي المنزل.

وقد أحدث الكتاب الشرقيين من عرب وفرس ضجة حول النبي أنوخ أو إدريس كما يسمونه. وقالوا بأنه قد تلقى ثلاثين صحيفة من السماء تنزلت مع العلوم الجدية، وهناك كتاب نسب إليه (ولكنه بالتأكيد لايعود إليه)[2] ولكنه كتب من يهود قدماء قبل مجيء المسيح أو بعد المسيح مباشرة. ولمدة ألف سنة دفنت في النسيان، حتى جاء جوزيف سكيلجر منذ مائتي سنة فاكتشف جزءاً من هذا السفر.

وبغباء قيل إن هذا السفر يعود لما قبل الطوفان حيث إن الملائكة رأوا بنات من بنات آدم تزوجوهم فانجبوا العمالقة القدامى الذين ابتدعوا علم الفلك، وكثيراً من العلوم والفنون الأخرى في العالم فهل، كانت بداياتنا العلمية قد جاءت من قبل أنوخ بن يارد.

وقد وصف أنوخ بأنه تحلى بأخلاق ممتازة وعاش في خدمته للرب وكان يعمل وفق مايرشده به إيمانه.

---

(1) Dictionary of the Holy Biblle .

(2) يعني الكاتب سفر أنوخ من الأسفار الباطنية (أبو غريفا) التي كتبت من قبل اليهود أثناء السبي البابلي إلا أنهم أنكروها فيما بعد، راجع التوراة الباطنية ترجمة د. سهيل زكار وأحمد غسان سبانو.

لقد ذكر أنوخ مرتين كما لو أنه (ابن). . وقد كرم بتميز إذ إنه رفع إلى السماء دون أن يذوق الموت.

ولكونه نبياً عظيماً فقد تنبأ (بالموعظة الأخيرة) بانهيار الضعف العام لمملكة يهوذا، ونتيجة لذلك انتقلت إلينا أصول (معلوماتنا) ذات الأصل اليهودي عنه بعد أن دمرت روما مملكة يهوذا، وحل الغضب على تلك الأمة إلى النهاية، وبقي أنوخ الذي كتب له البقاء بشكل دائم وأكبر من الطوفان.

غراميات هرمس: كما جاءت في موسوعة لاروس لميثولوجيا العالم:

نسب إلى هذا الإله مغامرات حب عديدة، فقد أنجب ولداً من (شيون) دعي (أنتوليكوس) أظهر ميلاً متميزاً لسرقة أي شيء يريده دون أن يكتشف ذلك. واشترك هرمس في بعثة (أركومانوس) وخدع (أنتوليكوس) ابنة (أنتيكليا) بأن جمعها مع (سيسيلون)، في الوقت ذاته الذي زوجها فيه إلى (لارتيس). وهذا هو السبب في أن (أوليس) الابن الشرعي لـ (أنتيكليا) و (ليرليس) كان يعتبر أحياناً ابن (سيسيلون) الذي عرف أيضاً بحيله الماكرة.

واعتقد في أثينا أن (هرمس) قد أحب (هيرس) إحدى بنات (سيكرويس)، وقد أنجبت له البطل (سيفالوس)، كما قيل بأنه أنجب من (أكليروس) وهي ابنة أخرى لـ (سيكرويس) ولذا سمي (سيراخ) وهو أول كاهن ورسول لـ (أليسيس)، وكان نفس الموضوع أيضاً مرتعاً لمغامرة أخرى اشترك فيها (هرمس) مع (دينيفرا) الذي يبدو أيضاً أنه اسم لقب شعائري (بيرسيفون). وقد ظهر عند ولادة البطل الذي سمي باسمه (إليسيوس)، كما ذكر بينلوب بتعليق غامض بأن هذا الأخير أب سلالة (بان) الذي أنجبه من (بينيلوب)، وذلك عند خيانتها لـ (أوديسيوس) أو قبل زواجها منه.

لقد كان هرمس دائماً يؤول بكل بساطة الإرادة الإلهية، فمثلاً منح الأسلحة للأبطال عندما أعطى (بيرسوس) خوذة الجحيم، وأعطى فرينكوس وهيلي الكبش صاحب الصوف الذهبي ليحملهما في الجو. وكلفه زيوس بقتل (أركو) سجان (أيو) ومرافقة الإلاهات الثلاث إلى مسابقة الجمال على جبل (إيدو) وفوق ذلك، فقد كان زيوس ـ ممنوناً منه لانتصاره على (إيفيوس) وعزا (إفيس) حريته إليه.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر العربية

1- الآثار الباقية عن القرون الخالية للبيروني / دار المثنى بغداد

2- آثار البلاد وأخبار العباد للقزويني / دار صادر بيروت

3- آثار الدول في التاريخ للقرماني / عالم الكتب بيروت

4- الأخبار الطوال للدينوري / تحقيق عامر، دار المثنى بغداد

5- الأدب اليوناني والأدب الهليني محمد غلاب / ط 1 مصر

6- الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير د. رمزي نعناعة / ط1 دمشق 1970

7- أضواء على مسلك التوحيد الدرزية د. نسيب مكارم / دار صادر بيروت

8- إلياذة هوميروس ترجمة عنبرة الخالدي / طبعة بيروت

9- الإنجيل

10- الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل للعليمي / طبعة عمان الأردن

11- الإكليل للهمداني / تحقيق الأكوع بغداد 1977

12- البداية والنهاية لابن الأثير / مكتبة المعارف بيروت 1977

13- بين التاريخ والآثار عبد القدوس الأنصاري بيروت 1969

14- تاريخ ابن خلدون ابن خلدون / طبعة بيروت 1972

15- تاريخ الحكماء للقفطي / دار الآثار بيروت

16 تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس للديار بكري / طبعة بيروت

17- تاريخ الطب د. شوكت الشطي / دمشق 1956

18- تاريخ دمشق لابن عساكر / مخطوط بالظاهرية

19- تاريخ الرسل والملوك للطبري / دار المعارف مصر

20- تاريخ سورية — للمطران يوسف الدبس/ طبعة بيروت المصورة

21- تاريخ لبنان — الأب لامارتين اليسوعي ترجمة: الشرتوني بيروت 1889

22- تاريخ مختصر الدول — لابن العبري/ المطبعة الكاثوليكية بيروت

23- تاريخ اليعقوبي — أحمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب/ بيروت 1960

24- تفسير القرآن الجليل — للنسفي/ المكتبة الأموية بيروت ـ دمشق

25- التفسير الكبير — للفخر الرازي/ ط2 دار الكتب طهران

26- التوراة

27- توراة البحر الميت — ترجمة: د. سهيل زكار، أحمد غسان سبانو/ المركز الجغرافي الفلسطيني 1982

28- جامع البيان في تفسير القرآن — ابن جرير الطبري/ دار المعرفة بيروت 1978

29- دائرة معارف القرن العشرين — محمد فريد وجدي/ طبعة بيروت

30- دائرة المعارف الإسلامية — الترجمة العربية/ دار المعرفة بيروت

31- ديموقريطش فيلسوف الذرة — د. علي سامي النشار/ طبعة الإسكندرية

32- رجال الكتاب المقدس — للقس إلياس مقار/ طبعة القاهرة

33- رسائل إخوان الصفا — إخوان الصفا/ دار صادر بيروت

34- طبقات الأطباء والحكماء — لابن جلجل/ المعهد الفرنسي بالقاهرة 1955

35- طبقات الأمم — لابن صاعد الأندلسي/ بيروت 1912

36- عبقرية الحضارة العربية — ترجمة: عبد الكريم محفوض/ وزارة الثقافة بدمشق

37- في ظلال القرآن — سيد قطب / طبعة دار الشروق بيروت 1956

38- قاموس المنجد — قسم الأعلام/ المطبعة اليسوعية بيروت

39- قاموس الكتاب المقدس — لجنة مختصة/ طبعة بيروت 1971

40- قصص الأنبياء — لابن كثير الدمشقي/ طبعة الإسكندرية 1981

41- القرآن الكريم

42- كتاب التيجان في ملوك حمير — وهب بن مُنية/ مركز الدراسات اليمنية 1347هـ

43- كتاب زجر النفس — لهرمس الحكيم/ تحقيق: فيلمون الكاتب بيروت 1903

44- كتاب السبع كواكب السيارة | لهرمس الحكيم
45- كتاب الفهرست | لابن النديم/ طبعة مصر
46- كتاب المعارف | لابن قتيبة الدينوري/ تحقيق : الصاوي مصر 1934
47- الكامل في التاريخ | لابن الأثير/ دار الفكر بيروت1978
48- كشف الظنون من أسامي الكتب والفنون | حاجي خليفة/ طبعة المثنى بغداد 1941
49- مختار الحكم ومحاسن الكلم | المبشر بن فاتك/ تحقيق : البدوي بيروت 1981
50- المختصر في أخبار البشر | لأبي الفداء/ طبعة بيروت المصورة
51- مروج الذهب | للمسعودي/ تحقيق : عبد الحميد
52- مع الأنبياء في القرآن | عفيف طبارة / بيروت 1979
53- الملل والنحل | للشهرستاني/ تحقيق : محمد طبعة القاهرة
54- ملوك حمير وأقيال اليمن | نشوان الحِمْيَري/ تحقيق : الجرافي المؤيد، دار العودة بيروت
55- الموسوعة العربية | إلبرت الريحاني/ بيروت 1975
56- الموسوعة العربية الميسرة | بإشراف محمد شفيق غربال/ مصر 1965

المصادر الأجنبية

1- Encyclopedia Americana — New York
2- Encyclopedia Britanica — London
3- Gode, Heroes,and men of Ancient Greece W.H.D. Rouse, New American Library — New York
4- Greek & Roman Biography & Mythology. By Smith — London
5- Dictionary of the Holy Biblle , Brown — London
6- Larousse word mythology paul HamlyN — London
7- Dictionary of Classical Mythology J.E. Zimmer man — U.S.A

الفهرس